

# ndu spirit

أم الشوارع الغاضبة الصاخبة الهادرة، تملأ  
الساحات بالشعارات تحجب الشمس أو تشق  
للسماء حجباً، ودونها الدم المسفوح يبلغ  
سيله الزبي، والتكلم واليتم وانكسار القلوب  
على شفاير الانتظار الظامي، والحقول شح  
زرعها، والمصانع صم صداها، ورؤوس  
الأموال إلى تسيب وتهريب؟  
.. حقاً، ما الذي يُبني بحسن المآل؟  
فيا لله كيف يمضي العمر، وليس في يدنا ما  
نطمئن به لا إلى يومنا ولا إلى غدنا، ولما  
نزل ندعي أننا وأننا.. نلجس المبرد!  
كم نحن تاعسون.. وتافهون أيضاً!!  
التحرير

«ثورة الأرز»، هل كانت السنونوة التي بشرت بقدم «الربيع العربي»؟  
كم نحب أن نصدق أننا صنّاع ثورة وبيع!  
كم نحب أن نرى بدائع الثورة وطرائف الربيع!  
ولكن، ما الذي يُبنى بحسن المآل؟  
أهي مزايده سلطة «المقوديين» على المطالبين بالحرية  
والديمقراطية وكرامة العيش، بإغداق وعود بالإصلاح والتغيير،  
وإلقاء التهم عن حق أو عن باطل على أيدي الترغيب والترهيب، بعد  
نومة على كراسيهم أطول من نومة أهل الكهف، بل إهمال واستغلال  
وتفتك بأمور الناس وبروك على صدورهم.. وعلى القبور؟  
أم يقظة «المنتصرين للحقوق»، يشهرون سيوفهم الصدئة البالية وقد  
زال عنها بريق العدالة ناراً ونوراً، تارة بتحذير وطوراً بحظر وعقوبات  
وأحياناً بتمويل ودبابات، وما في نفوسهم إلا أشياء وأشياء من بسط  
التفوذ وحصد المصالح؟

NDU Spirit دورية حول علامات

الحياة في عالم جامعة سيدة اللويزة

رئيس التحرير

جورج مغماس

التحرير بالانكليزية

كينيث مورتيمر

تتبع أنشطة

تاتينا روحانا

تنضيد بالعربية

ليديا زغيب

تصوير

عبدو بجانى و ملحم بو شبل

تصميم وإخراج

ريبيكا موراني

طباعة

مطابع معوشي وزكريا

هاتف: ٢٠٨ ٩٩٦ (٠٩)

هاتف/فاكس: ٢١٤ ٢٠٥ (٠٩)

موقع الكتروني: www.ndu.edu.lb/

research/ndupress/spirit

## ثالث الألفية

THIRD MILLENIUM

### أبحاث

٤٥ مَيَّ زيادة في عالم جبران  
في ضوء الشعلة الزرقاء  
أ/د عبد القادر سلامي

٥١ العذراء مريم في الشعر  
العربي في الفترتين  
المملوكية والعثمانية  
د. يوسف عاد

### ملفات

٣١ إلغاء الطائفية  
السياسية: مشروع  
طائفي أم علماني؟  
- هاني فحص  
- بولس وهبه  
- سجعان القرّي  
- شريف فياض

### مدارات الجامعة

٠٨ عيد تأسيس الجامعة الـ ٢٤

١٣ لقاء مريمي:

- ظهورات العذراء مريم  
الأب يونان عبيد

- Marie dans l'Eglise Entre  
Présence et Manifestation  
F. Ramzi Jreige

٢٢ يوحنا بولس الثاني.. شفيحاً

٢٣ جوزيف ولور مغيزل.. حضوراً بليغاً

٢٦ مشروع نشر ثقافة الاقتصاد والأعمال

٢٧ ضباط دورة الأركان في الجيش يزورون

٢٨ الجامعة شمالاً: الأقاليم الشابّة

٢٨ من حصاد العمل الرعويّ

### كلمة

الديكُ يصبح..  
والضوءُ على الله  
جورج مغماس



## مقالات

- ٥٩ تنقصنا الاستثمارات في البنية التحتية  
د. لويس حبيقه
- ٦١ نظرة وتوقعات.. كنسيّة  
د. جورج لبكي
- ٦٤ نعم للمواطنة  
ناجي نعمان
- ٦٥ كَرَجُل ١٨ حزيران ١٩  
جورج مغماس
- ٦٦ ألخبز والأدب  
إيلي مارون خليل
- ٦٧ ماذا نعرف عن اللغات الساميّة؟  
د. أنطوان صفير
- ٦٩ زوادة روحية  
فادية الحاج
- ٧٠ صلاة  
الأب بطرس بوناصيف

## شعريّات

- ٧٥ قيامة الشهيد  
أنطوان رعد
- ٧٦ هواها القلبُ  
٧٦ يا رَبِّي  
فريد حلو

## قصة

- ٧٣ كلمات  
د. جميل الدويهي

## من منشوراتنا

- الشرق والغرب:  
د. منصور عيد
- زهرة السراج:  
الأب بطرس طريبيه



جورج مغماس

## الديك يصيح.. والضوء على الله

يا هذا «المسؤول»، أيًا كنت وكان موقعك والدور المنوط بك والنفع المتوخى منك أو الغرض المرسوم لك، إليك عني.. إذا كنت بوجهين ولسانين، تقول شيئًا وتعني آخر، تعلن خلاف ما تظمر، وكلام الليل لديك يمحوه كلام النهار؛ أو كنت تخاتل وتخاذع وتماحك وترائي، توارب وتدهن، تدالس وتوالس، تفرز وتفرز، تفتري وتفتري، وتوقظ العر وهو نائم؛

أو كنت أهوَجُ أرعن، تثير غبارًا وسرابًا، تُهيج الرياح النعور، تلقي شكًا قلقًا واضطرابًا، تُوقد النيران، تلهب الجراح، تقيم المقتلة وتجري الدم الطهور؛

أو كنت لا تبسط يدك إلا لأخذ قبض، ولا تتصدق إلا مما تزني، وتحصد مما لا تزرع، وتهوى أهواءك، ولا تسمع إلا صوتك، ولا تعمل إلا بوحى بُعيتك ومُنبتك وسُدتك، تكيل بمكيالين، وتجعل صيفًا وشتاءً على سطح واحد.. ترى إلى السواسية من خلقه، من ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، أبناء ست وأبناء جارية؛

أو كنت تقدم المتأخر لتسخر، وتؤخر المتقدم لتقهر، وترفع الوضع لتعبث، وتخفض الرفيع لتبخس، وتقرب اللئيم وتبعد الحلِيم وتذل الكريم لتجذف على نعم وقِيم ومناقب، وتغتصب الأحلام والآمال وما دون آكامها والآفاق من رغائب وجواذب، وتفطم الرضيع عن غد له تحت وجه الشمس..

إليك عني يا «هذا»..

إذا كنت قزادا وقفازا زعاقا، وتراوح في حلبة المطاحنة والمكسرة فوق رؤوس الناس وعلى رؤوس الناس، وتتوخل،

وتُمعن في رذية وأذية ورذيلة عشاء شعواء شعواء؛ أو كنت تُزري بكل أمر وتهاون به وتُعيبه وتضع من حقه وتحترقه وتستخف به، وتقلقل الزعاع، وتزغزغ بكلام ومتكلمين، وتزعج إلى المعاصي والموبقات وسوء العاقبة؛ أو كنت لرجا لرجا نزقا نزقا نبزا، وتتهتك لا أمر لك ولا ناهي، تأتي الخلاعات، وتنقض الأحلاف، وتُخلف بالوعود، وتبذر الشوك والعوسج، وتسنب الحراب، وتُفشي الخراب؛ أو كنت مستكبرا محتقرا محتكرا، لا تبالى بخيبة وحسرة وأنة ودمعة ونومة على ضيم، وتقول في كل شاردة وواردة ما لُفنته كما تقول البيغا..

إليك عني «يا»..

إذا لم تكن مني ومن الناس: من ترابنا وتراثنا ومعاجن أيامنا ونجاوى القلوب؛ ولم تقُد خطانا إلى حقول قمح وحدائق نور ورجاء؛ ولم تحدق إلى عين الشمس بعين الاختراع والابداع؛ ويكن لك جناح للحق، وجناح للخير، وصداح للجمال ومصدر كل حق وخير وجمال.. كل حياة..

يا هذا «المسؤول»..

أين هي الحرمات التي حفطت، والعهود التي وقيت، والوعود التي أعدقت، والحقوق التي حميت، والاستعدادات التي أبديت، ومبادئ بها تغنيت، وفرائض أتممت؟ وأين هي غيرتك ونخوتك والأمانة، ومبادرات العناية والرعاية والرفق بالأحوال والعيال.. والانفتاح على المصالح

والمصائر ومراوح المنازع والآراء؟

وكيف غصضت الطرف، وصممت الأذن، وأدرت الظهر..

لغذاء ودواء وكساء وسقف وعلم ورجية وأمن وأمان؟

بل مَنْ الَّذِي يُمْكِنُهُ أَنْ يَظَلَّ يَريْدُ مَا لَا يَريْدُهُ الشَّعْبُ،  
ويذهبُ إلى الطَّعْنِ بِمَا يَريْدُهُ هَذَا الشَّعْبُ، يَصْمُهُ بَعَارِ  
المؤامرةِ النَّكْرَاءِ وَخِزِي الخوراجِ العُصَاةِ العُتَاةِ؟  
أَتَرَكَ أَحْرَصَ عَلَى النَّاسِ مِنَ النَّاسِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ! فلماذا  
تَتَمَسَّكُ بِكَرْسِيِّكَ، وَتَمَسَّكُ بِسَبِيلِهِمْ؟ أَلَيْ مَا بَعْدَ خَرَابِ  
البصرة، أَمْ إِلَى أَنْ تَوَوَّلَ إِلَى نَبْدٍ وَحَجْرٍ وَسَجْنٍ وَنُفْيٍ.. وفناءِ  
فِي دِمَنِ الثَّرَى وَلَعْنَةِ الظُّلَمَاتِ؟  
أَمَا كِفَاكَ مَا وَرِثْتَ وَوَرِثْتَ وَأَرِثْتَ، وَمَا بِهِ تَمَتَّعْتَ وَمَنَّهُ  
حَرَمْتَ، وَهَذَا الاسْتِبْدَادُ وَالقَمْعُ وَالْعُنْفُ وَاغْتِيَالُ اليُنَابِيعِ  
وَأَعشَاشِ العِصَافِيرِ؟  
وَهَلْ حَقًّا لَا تَرَى حَقًّا كَيْفَ تُكْتَبُ قِصَصُ السَّاحَاتِ، وَقِصَصُ  
الْأَسْمَاءِ، وَقِصَصُ أَوْلِيَاءِ الدَّمِ.. أَنْبِيَاءِ العَهْدِ الجَدِيدِ.. عَهْدِ  
الدَّوْلَةِ المَدِينِيَّةِ الحَدِيثَةِ؟  
يَا هَذَا «المَسْؤُولِ»، التَّقَطُّ لِلحِظَّةِ البِيضَاءِ. شُقُّ الفِيلِجَةِ  
الصَّوَانِيَّةِ. كُنِ الضَّرَاشَةُ العِجَابِيَّةِ فِي مِلءِ الضَّوْءِ. أَلْقِ  
عَلَى الرِّبْعِ وَشَاحِ العِيدِ. وَتَدَكَّرْ أَنْ كَمَثَلِ مَا يَفْعَلُ المَعْرُوفُ فِي  
العَفْصِ، يَفْعَلُ العَفْصُ فِي جِلْدِهِ.  
فَتَحَرَّرْ!  
تَحَرَّرْ مِنَ المَرَاوِحَةِ، مِنَ المَرَاوِعَةِ، مِنَ التَّصَلِّبِ، مِنَ  
الصَّدَأِ، مِنَ التَّحَلُّلِ...  
تَمَرَّدْ عَلَى التَّوَحُّلِ، عَلَى التَّدَمُّمِ،.. وَابِكِ مَعَنَا عَلَى الوَطَنِ..  
عَلَى الوَطَنِ المَفْقُودِ!  
إِبِكِ حَتَّى بَلُوغِكَ الصَّلِيبِ.. الصَّلِيبِ الَّذِي سَمَّرْتَنَا عَلَيْهِ.  
هَلْ فَاتَكَ الفُوتُ؟  
إِرْحَمِ نَفْسَكَ. إِرْحَمِ شَعْبَكَ. إِرْحَلْ.  
إِرْحَلْ!  
الدَّيْكَ يُصِيحُ.. وَالضَّوْءُ عَلَى اللّهِ.

وماذا تَقُولُ لِمَنْ مَاتُوا فِي فِقْرِهِمْ، وَفِي قَهْرِهِمْ، وَفِي  
جَهْلِهِمْ، وَفِي غُرْبَتِهِمْ، وَفِي بؤْسِهِمْ وَيَأْسِهِمْ، وَفِي ثُكْلِهِمْ  
وَيُتْمِهِمْ وَأَيْمَتِهِمْ.. وَأَلَامِ الجَسَدِ وَالرُّوحِ وَمِراثِي الأَشْوَاقِ  
الجَمِيلَةِ وَالْحَنِينِ العَذْبِ؟  
يَا «هَذَا»، مَا الَّذِي دَهَاكَ!  
أَلَا تَرَى إِلَى الصُّورِ تُحْرَقُ، وَالتَّمَاثِيلِ تُحَطَّمُ، وَالشَّعَارَاتِ  
تَخْلُو وَتَقُومُ، وَالنِّسْوَةَ خَلَعْنَ حِجَابًا وَسِتَارًا، وَالْأَطْفَالَ أَجْيَالُ  
الحِجَارَةِ، وَالرِّجَالَ قَبْضَاتِ وَحِجَابِ تَكَبَّرُ وَتَوَحَّدُ وَتَسْتَظِلُّ  
الرِّيَازَاتِ خُضْرًا سُودًا حُمْرًا أَنْجَمًا وَهَلَالًا؟  
وكيف لَا تَرَى التَّظَاهِرَةَ تَسْتَدْعِي التَّظَاهِرَاتِ، وَالعَدَدَ يَضَاعِفُ  
الأَعْدَادَ، وَالدَّمَّ يَسْتَسْقِي الدَّمَاءَ، وَتَلِي كُلَّ جَنَازَةٍ جَنَازَةٌ..  
يَحْتَشِدُ الشَّهَدَاءُ، تَدُقُّ النُّعُوشُ أَبْوَابَ العُرُوشِ، يَهْتَفُ نَجِيعُهَا  
وَزَهْرُ وَدَمْعُ وَمِنْدِيلُ وَدَاعٍ: أَنَا يَوْسُفُ الجُمُعَةِ أَنَا يَوْسُفُ  
الجُمُعِ، أَلَيْسُونِي سَحْنَةَ أَحْمَدَ أَوْ حَمزَةَ أَوْ هَاجِرَ أَوْ زَيْنَبَ  
الْبِتُولِ، وَأَتُوا، غَدًا أَوْ بَعْدَهُ القَرِيبِ، إِلَى مَائِدَتِي وَأَعْدَالِي،  
كُلُوا مِنْ رَاحَتِي نَقِيعَ كَبِدِي فِي رَحِيقِ الرِّبِيبِ؟  
«يَا»..  
يَا عَظِيمًا فِي البَرَايَا، إِلَهِي التَّأْوِيلِ وَالتَّدْبِيرِ، وَتَقَبُّعُ فِي  
حَصِينَتِكَ عَلَى طُوفِ تَفْلِيسَةِ الدِّيْمَاغُوجِيَّةِ، وَتَسْتَمِرُّ  
الإِيغَالَ فِي غَيْكِ وَغُلُوكِ وَالشَّهَوَاتِ، وَتَتَهَمُّ بِالعِمَالَةِ  
وَالخِيَانَةِ وَالتَّرْهِيْبِ وَالتَّخْرِيْبِ وَبُرْدَالَةِ وَحُثَالَةِ وَارْتِزَاقِ  
وَبِشَاعَاتِ..  
أَمَا تَتَعَطُّ وَتَرَعُوي وَتُقْلَعُ عَنِ مَلاحِقَاتِ وَاعْتِقَالَاتِ وَمَواجِهَةِ  
النَّدَاءَاتِ وَالمِنَاشِدَاتِ بِالبِنَادِقِ وَالدَّبَابَاتِ وَالأَدْعَاءَاتِ  
وَالإِفْتِرَاءَاتِ، وَتَدْرِكُ أَنْ إِلَى مَتَى تَسْتَطِيعُ قُوى النِّظَامِ أَنْ  
تَحْمِي مَواقِعَ النِّظَامِ، وَتَسْتَطِيعُ بِنَاهُ الكَرْتُونِيَّةِ وَمِفاصلُهُ  
البُولِيسِيَّةِ أَنْ تَصْمَدَ بِوَجْهِ الثُّورَةِ العَارِيَّةِ.. الثُّورَةِ الَّتِي بَلَ  
حُدُودِ.. الثُّورَةِ الإِلِكْتَرُونِيَّةِ وَأَنْهَارِ الجَمَاهِيرِ الرِّبِيعِيَّةِ؟

## عيد تأسيس الجامعة الـ ٢٤ برعاية الراعي المؤسس

- البطريك الراعي يدعو السلطة اللبنانية إلى ضبط الوضع الجامعي، والجامعات اللبنانية إلى رؤية إستراتيجية، والجامعات المارونية إلى شرعة تربوية.

- الأب موسى لجامعة لكل لبنان ولكل إنسان، تربّي على العلم والأخلاق والحوار والبحث والإبداع والإيمان والانتماء.



٢. ويطيب لي أن أحییّ قدس الرئيس العامّ الأبّاتي سمعان أبو عبدو ومجلس المدبّرین، ومن خلالهم من سبقهم، شاكرًا لهم دعمهم الدائم لهذه الجامعة واحتضان الرهبانيّة المارونيّة المريميّة لها منذ البداية. ويسعدني أن أعرب عن أخلص التهاني بعيد تأسيس الجامعة لحضرة رئيسها الأب وليد موسى ومعاونيه في الإدارة، وهيئة الأساتذة، وسائر الموظفين والطلاب وأهلهم، ومجلس الأمناء الذين يخصّونها بكثير من العناية والبذل والعطاء.

ولا يسعني في هذا العيد إلا أن أخصّ بالتحية والدعاء المئة والخمسين ألف طالب جامعيّ، المتوزّعين على ٤٢ جامعة، من بينها ٧ جامعات كاثوليكيّة، وأحییّ أهلهم، وكلّ الذين يتولّون شؤونهم الإداريّة والتعليميّة.

نشكر الله والسيدة العذراء، سيّدة اللويزة، على ما يكسبه شبابنا وشاباتنا من علم جامعيّ يغني شخصيّتهم ثقافيًا وروحيًا وخلقياً، ويمكّنهم من تحقيق ذواتهم وتحفيز مكتسباتهم العلميّة، والقيام برسالتهم وخدمتهم في لبنان وسائر البلدان.

٣. ولكن، من الضروريّ في هذا المجال، مناشدة السلطة اللبنانيّة إصدار التشريعات اللازمة، وتطبيق تلك الموجودة، وضبط المؤسسات غير المرخّصة. وكم هو مهمّ وحيويّ أن تنسّق الجامعات في ما بينها وتتعاون في وضع رؤية

في ١٢ أيّار ٢٠١١، أشرق مساءً جامعة سيّدة اللويزة بنور سيّدة بكركي، يشعّ من محيا غبطة الكلي الطوبى مار بشاره بطرس الراعي، ويحلّ بركة عليها وعلى من أمّها من وجوه عزيزة كريمة أهل رأي وموقف وأدوار...

السيدّ البطريك حضر راعيًا لعيد تأسيس الجامعة الرابع والعشرين، هو الذي حلم منذ ثلاث وثلاثين بما صار إليه هذا الحلم اليوم علّيّ وأبعاداً...

ماذا قال البطريك الراعي؟

١. من أجمل لحظات الحياة أن تعود إلى نقطة الانطلاق لتجدّد حاضرک. يسعدني أن أعود إلى جامعة سيّدة اللويزة حيث بدأت مسيرتي مع الجامعيّين، طلابًا وأساتذة وإداريين، في تشرين الأوّل عام ١٩٧٨. يومها كانت الانطلاقة مع «مركز سيّدة اللويزة للتعليم العالي»، بالتعاون مع كليّة بيروت الجامعيّة التي أضحت اليوم «الجامعة اللبنانيّة الأميركيّة»، وكنا نرى في الحلم ما أصبحه هذا المركز منذ سنة ١٩٨٧، أعني «جامعة سيّدة اللويزة». بدأت الانطلاقة مع ٧٢ طالبًا وطالبة. أحبيهم مع أساتذتهم وإداريّهم حيثما هم، وكانوا الرعيل الأوّل الذي أرسى أساسات الجامعة. كما أحییّ كلّ الأجيال من الطلاب والأساتذة والإداريين الذين تعاقبوا إلى اليوم.



العبوديات والعصبية العائلية والطائفية والفئوية؛ **مواطنون** مؤمنون بالديموقراطية والتنوع والحق في الاختلاف، قياديون وأصحاب جهودية للخدمة وتحمل المسؤوليات بتجرد ونزاهة وشفافية.

٦. **من هنا ينبغي أن يتخرج الانسان** بكل إنسانيته الخلقية، جميلاً ببهاء صورة الله فيه، لا تنال منه جرائم المادية والأناثية والاستهلاكية والنسبية وعبادة المال؛ إنسان يُعشقه روح صافٍ منزّه من الفساد، وتوقُّ إلى حبِّ الحياة الخلقية وحبِّ العائلة الصغيرة، بحيث تكون الخلية الحية للعائلة الكبيرة الاجتماعية والوطنية، والمدرسة الطبيعية الأولى للقيم وفي مقدمتها الحب النقي والفضائل الإلهية والانسانية.

٧. إن هذه التطلعات تقتضي من الدولة اللبنانية أن تحافظ على شباب لبنان، وتؤمن لهم فرص العمل الكفيلة بتحفيز إبداعهم. وإنها لفاعلة ذلك إذا أمنت الاستقرار السياسي والاقتصادي والأمني، وإذا أطلقت عجلة الحياة العامة، ورفعت المستوى الاقتصادي بتحسين جميع قطاعات الانتاج من صناعية إلى سياحية، ومن زراعية إلى خدماتية، من تكنولوجية إلى إلكترونية؛ وإذا أحسنت استثمار إمكانيات لبنان ومرافقه وماله العام، واستراتيجية موقعه الجغرافي عى ضفاف المتوسط، الجاعل منه جسر تواصل بين الشرق والغرب، وأهمية نظامه المنفتح على الحريات العامة وسائر حقوق الانسان، والجاعل منه ملتقى للحضارات والديانات.

٨. **وإني**، في ختام هذه الكلمة، أودُّ أن أعرب عن شكر الكنيسة للجامعات على دعمها المادي للطلاب بالمنح والمساعدات والمكافآت، الذي على ضخامة كميته، يبقى دون مستوى

مشتركة للقضايا التربوية والوطنية، وأن تتفق على استراتيجية تُجسد سياسة جامعية موحدة في التطلعات والأهداف. لكننا نتطلع إلى جامعاتنا المارونية بأمل أن تضع شرعة تربوية تستمد مبادئها من تعليم المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، والإرشاد الرسولي «رجاء جديد للبنان»، ومن المجمع البطريركي الماروني ومن تقليد كل جامعة وخصوصيتها ومن الميزات المشتركة، ومن موقعها في العالم العربي وعلى ضفاف البحر المتوسط، بحيث تصل شخصية الطالب بالمبادئ العلمية والخلقية والثقافية والوطنية.

٤. إن التحديات التي يواجهها لبنان والمنطقة العربية تقتضي من الجامعة أن تهيئ من هم رجال ونساء الغد الذين يشكلون منذ اليوم مستقبلنا الذي نرجوه تواملاً مع الذين كانوا في الماضي رواد النهضة العلمية والثقافية، الاقتصادية والصناعية والإنتاجية. **من هنا ينبغي أن يخرج أشخاص** أغنياء بالعلم والإبداع؛ **أشخاص** مؤمنون ومهيأون للحوار والبحث ووضع الخطط الجديدة الكفيلة بإيجاد البدائل؛ **أشخاص** مزيّنون بروح المسؤولية ويعرفون أن يُقدّموا الحلول للمعضلات اليومية في حقول البيئة والصحة والكهرباء والماء وحقوق الانسان وإنماء الشخص البشري والمجتمع؛ **أشخاص** منفتحون على كل ما يُعزّز أوضاع المرأة والعامل والمسن والطفل، والمعوق وكل ذوي الحاجات الخاصة.

٥. **من هنا ينبغي أن يتخرج مواطنون** مخلصون لوطنهم، أصحاب ذهنية جديدة تُعطي الأولوية للخير العام، ولكرامة الوطن، ولعزة المواطنين؛ **مواطنون** أحراراً مزيّنون بالحرية الحقيقية التي تُحسن خياراتها من بين كل ما هو حق وخير وجمال، ومتحرّرون من عبادة الاشخاص والإيديولوجيات، ومن



الفضي، مع ذاك الراهب بالذات، غبطة البطريرك الماروني مار  
بشارة بطرس الراعي.

تراه التاريخ مجموعة صُدَفٍ تتراكم وتتلاحق؟ لا، أيها  
الأصدقاء، لم يكن إنشاء الجامعة صدفة، ولم يكن اختيار  
الراهب بشارة الراعي بطريقاً صدفةً أو لعبة حظ. إنها علامات  
الأزمة، وخطوات في مسيرة نضال وبناء، وقرار مشترك بين  
الله والانسان. فشكراً لك، يا الله، أعطيتنا، وأعطيت الرهبانية  
والجامعة الكثير، وأفضت علينا نعمك الكريمة، وأشعرتنا بمدى  
الدور الذي نضطلع به، والمسؤولية التي علينا أن نتحملها.  
أيها الأصدقاء.

انطلاقاً من مفهوم المسؤولية، أتحدث إليكم اليوم، يا أسرة  
الجامعة. في السنوات الخمس الماضية، كانت كلماتي تتمحور  
حول العناوين التالية:

سنة ٢٠٠٦: تحدثت عن الجامعة بين العولمة والأصولية.

سنة ٢٠٠٧: تحدثت عن الجامعة بين الانتساب والانتماء.

سنة ٢٠٠٨: تحدثت عن الجامعة بين الانتماء والإينماء.

سنة ٢٠٠٩: تحدثت عن الجامعة والسياسة، انعكاساً لشرعة  
العمل السياسي التي أصدرتها الكنيسة.

سنة ٢٠١٠: تحدثت عن الجامعة والثقافة، وكيف نعدّ طالباً  
مثقفاً.

أمّا اليوم، وفي خطابي السادس—الأخير— كرئيس لهذه الجامعة،  
فإنني أتحدث عن **الجامعة والمسؤولية**، مؤكداً لكم، أننا بقدر  
ما فرحنا، باختيار أيينا بشارة الراعي بطريقاً، بقدر ما رهبنا  
مسؤولية أن نكون جديرين، وعلى قدر التحدي، في حمل رسالة  
المؤسسة الرهبانية والمؤسس، غبطة أيينا البطريرك.

يوم ١٥ آذار، منذ شهرين تقريباً، لم يكن حدّاً فاصلاً، بل كان  
محطّة للتأمل بمسؤوليتنا الجديدة التي تفرض علينا أن نتابع  
جامعتنا نموها الانساني على الأسس التالية:

الحاجات المتزايدة. كما أشكرها على ما تقدّم من مؤتمرات  
علمية ولقاءات حوار، ومن نتاج فكري وثقافي، وما تُغني به  
المكتبة العربية من أبحاث ومنشورات علمية متنوعة.  
حفظ الله الجامعة والجامعيين، وكافأ الهيئات الإدارية  
والتعليمية فيها، وكلّ مساند لها وصديق.  
عشتم، عاشت الجامعة، عاش لبنان.

أمّا رئيس الجامعة الأب وليد موسى فكان قال:

منذ ثلاث وثلاثين سنة، عمر يسوع، وقف راهب، أمام مدرسة  
سيّدة اللويزة، على مقربة من هنا، وتطلّع إلى البناء الحجري  
الشامخ، قائلاً: أليس مؤسفاً أن تبقى هذه المدرسة فارغة  
مظلمة، طوال فترتي بعد الظهر والمساء؟  
كان الوطن يعيش مرحلة صعبة، أمنياً وسياسياً واقتصادياً:  
اضطرابات وقطع طرق وخطف وقتل. وكانت الرهبانية المارونية  
المريمية بقيادة الأباتي بطرس فهد، رحمه الله، تعاني مرارة  
هذا الوضع الحزين.

نحن مسؤولون عن أجيالنا الجديدة، قال الراهب، وتساءل: ماذا  
نعمل؟ وكانت الفكرة الرائدة: نتعاون مع الآخرين لإنشاء جامعة.  
ومن دون تردد، استجاب الرهبانية، واستجابات الجامعة  
الشقيقة BUC، وبدأ العمل.

انطلاقاً من هذه الرؤيا، كانت هذه الجامعة التي بدأت بثلاث  
غرف، والتي تحوّلت اليوم إلى مدينة جامعية، تحمل اسم مريم،  
وتراث الرهبانية، وبصمة ذاك الراهب الذي نفخر باستقباله  
اليوم: بشارة الراعي. بدأت «الشركة والمحبة» منذ ذلك  
التاريخ، ولا تزال.

أجل، أيها الأحباء، ثلاث وثلاثون سنة، على إنشاء مركز اللويزة  
للتعليم العالي، وأربع وعشرون سنة، على الترخيص لجامعة  
سيّدة اللويزة، وفي السنة القادمة، سيكون لنا الاحتفال باليوبيل





٤. **دورنا التثقيفي التربوي:** كثرت الجامعات والمدارس، وكثرت الاختصاصات، ولكنّ الجميع يشهد أنّ الثقافة تعاني مشكلة التسطيح والتفريغ. نحن جميعاً، أساتذة وموظّفين وطلّاباً، مدعوّون إلى العمل على إنماء العمل الثقافيّ، بوجوهه الثلاثة: الحوار، البحث، الإبداع. ولكلّ من هذه الكلمات دوره الخاصّ في جعل جامعتنا منارة ثقافيّة مميّزة.

٥. **دورنا الاجتماعيّ:** نحن أبناء هذا المجتمع، انطلاقاً من دير سيّدة اللوزية، مروراً بزوق مصبح العريزة وكسروان الشامخ، إلى كلّ لبنان. لسنا جزيرة، ولا نعرف الانغلاق والتقوقع. تعالوا نعمل من أجل هذا المجتمع، بذلك نكون أبناء بيتنا، في همومها المناخيّة والصحيّة والإنمائيّة والاقتصاديّة. عملنا لا يقتصر على إصدار شهادات، بل على إيجاد حلول لمشاكل مجتمعنا.

انطلاقاً من هذه الأسس الخمسة، سنعمل، يا صاحب الغبطة، لنكون أبناء لك، وجديرين بالقول أنّنا أبناء جامعة الرهبانيّة المارونيّة المريميّة التي أسّسها البطريرك بشارة الراعي. مسؤوليتنا كبيرة، ولكننا بتوجيهاتكم وبشفاعة مريم وبيركة الرهبانيّة، سنعمل على تحقيق الغاية المنشودة.

فيا أسرة الجامعة،

قدس الأبائي وأعضاء مجلس المدبّرين

رئيس مجلس الأمناء والأعضاء

نواب الرئيس والعمداء والأساتذة

رفاقي الرهبان،

الموظّفين والطلّاب والخريجين الأحباء،

كلّ الشكر والتقدير، لما قدّمتم لهذه الجامعة. ولا يسعني إلا أن أقول أنّ تقدّم هذه الجامعة لا يحتكره رئيس أو مدير أو شخص

١. **روحانيّة وتراث الرهبانيّة:** فنحن مريميون، ونحن أحفاد المجمع الذي انعقد سنة ١٧٣٦، ونحن أبناء مارون المنتشرين في كلّ أنحاء لبنان والعالم؛ وإذا كانت جامعتنا تستلهم الروح الكاثوليكيّة، فإنّ ذلك يحتمّ علينا العمل بتعاليم الكنيسة ومجامعها المقدّسة، كما بالإرشاد الرسوليّ «رجاء جديد للبنان»، وبالمجمع البطريركيّ المارونيّ، لتكون، بالفعل، لا بالقول، جامعة لكلّ لبنان، ولكلّ إنسان.

٢. **انتماءنا الوطنيّ اللبنانيّ:** في هذا الزمن المضطرب، العاصف، داخلياً ومن حولنا، نحن مدعوّون إلى دور فعّال ومسؤول: توعية طلّابنا وتوجيههم نحو الايمان بلبنان، بكلّ أرضه وشعبه، بكلّ عائلاته الروحيّة، بكلّ فئاته وتجمّعاته. دورنا ألا نترك طلّابنا فريسةً لهذه الانقسامات الطائفيّة والحزبيّة والشخصيّة، ولبشاعة الغرائز التي تولّدها بعض الخطب وبعض وسائل الإعلام.

هدفنا أن نجتمعهم على حبّ الوطن والحرية والانسان. أن نبذر فيهم روح الحوار ومحبة الآخر واحترام الاختلاف. إن لم نفعّل ذلك لا نكون جديرين بحمل الرسالة.

٣. **رسالتنا الأخلاقيّة:** لسنا نعامة لنغرس رؤوسنا في الرمال. شبيبنا معرّضة لأخطار كثيرة، على الصعيد النفسيّ والأخلاقيّ. ليس المهمّ أن نعلّمهم، وننقل إليهم معلوماتنا فحسب، بل المهمّ أن نصونهم من الأخطار الناجمة عن تفشّي الفساد. نحن والعائلات مدعوّون إلى دور تربويّ يرتفع بطلّابنا من عالم الانحطاط إلى عالم الروح والنور. وننح أكثر أنّ التكنولوجيا الحديثة، بقدر ما تقدّم لنا من منافع، بقدر ذلك تفسح في المجال لكثير من الأخطاء والخطايا. فلننتبه لذلك.



فرد. إنها مجدداً، مسألة «شركة ومحبة». كلكم عملتم، وبفضلكم توصلت هذه الجامعة إلى ما هي عليه من مستوى تربوي ووطني وثقافي مرموق. لقد عملت معكم ست سنوات، وأشهد أمام الله، وأمام سيدنا وأمامكم أنني عملت جهدي لأكون في مستوى المسؤولية، فإن قصرت، فأنتم أهل السماح والتسامح. ومعكم، أنهي كلامي بهذه الصلاة: اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا، كما نحن نغفر لمن خطئ وأساء إلينا. وكل عيد وأنتم بخير.

وفي نهاية الاحتفال، قدم الأب موسى مع الأباتي سمعان أبو عبود بدعة حبرية مطرزة مقصبة مع تاجها، تحمل شعار صاحب الغبطة «شركة ومحبة»، تذكراً لزيارته الغالية.

ثم، وقبل الكوكتيل فالعشاء التكريمي، أزيحت الستارة عن رخامة تذكارية، هي:

## لقاء مريمي ظهورات العذراء مريم



بدايةً، العقيدة هي موضوع أساسي غير قابل للجدل حول تعليم ديني أو فلسفي. وهي أيضًا إعتقاد أو رأي لا يُمس، ويُفرض كحقيقة غير قابلة للنقاش.

١. حيث أن الديانة على اختلاف عقائدها وشرائعها وطقوسها، هي صلة الإنسان المخلوق بخالقه، فالإيمان المسيحي أحق وأسمى من أن يكون مجرد ديانة. إنه «البشرى» السعيدة الفريدة، التي تفوق بلا حد كل تصور وانتظار، وحتى كل وحي ونبوءة. إلهنا نحن المسيحيين ليس هو المعروف بالأدلة المنطقية والبرهان، ولا الموصوف بالأسماء الحسنى، بل المكشوف من خلال عمله الخلاصي. إلهنا حقًا وحصراً هو «إله خلاصنا»، أي الله الذي عرفناه ووصفناه وعبدناه من خلال ما كشفت لنا أعماله الخلاصية المكتملة بالمسيح الإله المتأنس.

٢. إن سرّ الخلاص هو جوهر إيماننا المسيحي وركن عقيدتنا نحن المسيحيين: إلهنا مخلص، مرتبط اسمه وفعله بخلاصنا، حسبما نعترف ونعلن في قانون الإيمان، وهذا ما يميّزنا على وجه الإطلاق عن جميع الديانات وأيضًا عن الموحدة منها. القول الفصل عندنا أن تدبير الله الخلاصي المحجوب منذ الدهور قد انجلى بتجسد الابن وحلوله في مسارنا البشري، ليملأه ويكمله ويسمو به، وبالخلق كله إلى غايته الأبدية. وقد أعطي لنا نحن المسيحيين بنعمة من الله أن نقبل هذا السرّ ونعمق في وعيه وجلاء غناه اللامحدود، لنحيا ونشهد له حتى المنتهى.

٣. مريم العذراء هي حلقة الوسط في تدبير الله الخلاصي. بشخصها تمّ الاتصال بين السماء والأرض. فالمسيح الإله والإنسان معًا هو الوسيط الأوحى، وقد أصبح وسيطًا بين الله

بدعوة من مركز الدراسات المريمية في الجامعة بإدارة الأب عبدو أنطون، الذي يجهد لجعل المركز لكل لبنان ولكل المتطلعين إلى مريم، على ما عبر رئيس الجامعة الأب وليد موسى، انعقد في ٢٣ أيار ٢٠١١ لقاء بموضوع «ظهورات العذراء مريم»، رعاها البطريرك الراعي، ممثلًا بمدير المركز الكاثوليكي للإعلام الخوري عبدو أبو كسم، وفي حضور السفير البابوي المونسنيور غبريال كاتشا، وشارك فيه على التوالي الآباء يونان عبيد ورمزي جريج (نصاهما في ما يلي بالعربية والفرنسية) وسالفاتوري بيريلّا (Perella) وجوقة الانشاد في الجامعة بإدارة الأب خليل رحمه.

ومّا جاء في كلمة **الأب موسى**: وبعد، تسألون: لماذا نحن معنيون بمريم؟

هي، في مسيحيتنا، علامة التجذّر والحب... ولتكن مشيئتك. هي، في رهبانيتنا، الصورة-الرمز، لما نؤمن به. وهي في جامعتنا، عنوان رسالتنا التربوية التي تسعى إلى بناء الانسان، أو إلى إعداده، على الأسس الأخلاقية السلمية، والايمانية المنفتحة.

وختم بوجدانية: لم أستطع يومًا أن أميز بين أمي وبين مريم. أمي هي ملاكي الحارس، ومريم هي أمي الروحية التي ألجأ إليها، كل صباح، وأستنير بها، إزاء مشاكل الدنيا وصعوبات الحياة. الوجيهان يتماهيان، يتداخلان، يترابطان. فألى أمي ألف قبلة، والى مريم ألف صلاة.

وتحت عنوان: «التعليم الكنسي العقائدي حول مريم العذراء»، تكلم **الأب يونان عبيد**. قال:

فيسوع المسيح هو «الرب»، ولقب الرب هو من أسماء الله. فالرب هو الله. فإذا كان المسيح هو الرب، فأَمَّ الرب هي «والدة الإله».

#### نظرية نسطوريوس:

«منذ بضعة أيام تُطرح علينا أسئلة واهية: يسألوننا هل يجوز لنا أن ندعو مريم بلقب والدة الإله، أم يجب أن ندعوها فقط «أمَّ الإنسان»؟ كيف يكون لله أم؟ إننا لدى سماعنا هذا اللقب، لا بد لنا من أن نعذر الوثنيين الذين يعطون أمهات للآلهة. لا، يا صاح، مريم لم تلد الإله... الخليقة لم تلد خالقها، بل ولدت إنساناً هو آله في يد الله، إنساناً حاملاً لله».

١. لا شك أن نسطوريوس يتكلم عن وحدة في المسيح. فيقول إن المسيح الذي هو إله وإنسان، هو شخص واحد. ولكن وحدة هذا الشخص ناتجة، في نظره، من اتحاد الطبيعتين أو الشخصين المتميزين. فالطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية اجتمعتا في ما يدعوه نسطوريوس «شخص الاتحاد».

٢. في ما يختص بمريم العذراء، ينتج من نظرة نسطوريوس هذه أن مريم هي أمَّ المسيح الإنسان، وليست أمَّ الكلمة ابن الله. فيجب ألا ندعوها «والدة الإله» (Theotokos) بل والدة المسيح (Chris Tokos).

#### مجمع أفسس

لم يلتزم مجمع أفسس لتحديد عقيدة بشأن مريم العذراء، بل لتحديد عقيدة بشأن السيد المسيح. فأعلن، ضد نسطوريوس، أن المسيح شخص واحد في طبيعتين، وليس شخصين متحدين أحدهما بالآخر اتحاد كرامة وسلطة. وينتج من هذا التحديد أن مريم العذراء، التي هي أمَّ هذا الشخص الواحد، شخص ابن الله، هي حقاً «والدة الإله».

#### خلاصة القول مريم هي أمَّ الله

بهذه الصفة الجوهرية نعرف بها ونكتفي. فارتباطها بالله، لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر، وبسبب اتحادها هذا بسرَّ الله السرمدى، يُقال إنَّ العذراء مريم، هي اسم الـ عمر له، فوق الزمن، يتخطى التاريخ والأمكنة والأزمنة والخلق كله. فالمسيح هو إله بأبيه وإنسان بأمه. وُلد من أزلية أبيه ومن بتولية أمه. وُلد من أبيه بدون واسطة أم، ومن أمه بدون

والبشر بواسطة أمه مريم. منها تجسّد فوحّد لاهوته بناسوتنا في الزمن وإلى الأبد. فهي إذا أداة وساطته وشريكته فيها. وهي لذلك الخليقة إلى الله، ليس فقط زماناً ومكاناً بل طبيعةً وكياناً، أي بموجب سرّي الخلق والخلص: إنها الخليقة البشرية كما أرادها الله في بدايتها ونهايتها: في نقائها الأول أي حين خلقها، وفي سناها الخير أي حين خلصها ومجدها.

#### العقيدة الأولى: مريم العذراء والدة الله

إن الإعلان عن أن مريم العذراء هي حقاً «والدة الله» قد تمَّ في المجمع المسكوني الثالث المنعقد في أفسس سنة ٤٣١ في أيام الأمبراطور ثيودوسيوس الثاني. تلك هي العقيدة المريمية الأساسية التي تجمع كلَّ المسيحيين من كاثوليكين وأرثوذكسيين وإنجيليين (الملقبين بالبروتستانت). لماذا تمَّ إعلان تلك العقيدة؟ وماذا تعني.

#### لقب «والدة الإله» قبل مجمع أفسس

إن أول شهادة لاستعمال هذا اللقب نجدها في رسالة ألكسندروس أسقف الإسكندرية حول مجمع التأم في الإسكندرية سنة ٣٢٠ للحكم على بدعة أريوس: «بعد هذا تناولنا عقيدة القيامة من بين الأموات التي صار فيها ربنا يسوع المسيح باكورة الثمار. فقد لبس في الحقيقة لا في المظهر جسداً اتخذه من مريم والدة الأله».

وقد ورد هذا اللقب عند كثير من آباء الكنيسة قبل مجمع أفسس، ممّا يبرهن عن شيوعه في الكنيسة الجامعة منذ القرون الأولى. نكتفي هنا بذكر بعض أقوالهم:

القديس أثناسيوس الكبير (٢٩٦ – ٣٧٣): «إنَّ الكلمة هو نفسه قد ولد بالجسد من مريم والدة الإله» (عظات أريوس).

القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥ – ٣٨٦): «رئيس الملائكة جبرائيل يشهد لله في حملهِ البشارة إلى مريم، والعذراء والدة الإله مريم تشهد له أيضاً».

القديس غريغوريوس النيصي (٣٣٠ – ٣٩٥): «إنَّ ابن الله قد اتخذه لنفسه جسداً من العذراء، لذلك حق للعذراء أن تُدعى والدة الإله».

القديس غريغوريوس النزينزي (٣٢٠ – ٣٨٩): «إن كان أحد لا يؤمن أن القديسة مريم هي والدة الإله، فهو غريب عن الله».

من أين أتى هذا اللقب؟ لقد استقاه المسيحيون من قول أليصابات: «من أين لي هذا أن تأتي أمَّ ربِّي إليَّ؟» (لو ١: ٤٣).

يسوع ابن الله الذي ولد من مريم العذراء<sup>٩</sup>. إلى أن أتى مجمع لاتران (٦٤٩) وحدد العقيدة بقوله: «إن يسوع حبل به من الروح القدس بدون زرع بشري». وعلى أثر نبوة أشعيا «ها إن العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمه عمانوئيل»، أعلن آباء الكنيسة، بأن ولادة يسوع هي علامة من الله. إن بتولية مريم تدل على المبادرة المطلقة لله في عملية التجسد: فيسوع آدم الجديد والخليقة الجديدة، ليس له إله سوى الأب.

إن التعمق بالإيمان بتولية مريم، قادت الكنيسة لأن تعلن بتوليتها الدائمة، وهذا يعني أن ولادة يسوع كرست بتولية مريم الدائمة البتولية.

وهكذا استسلمت مريم لله، لا ليفتني بها، بل لتفتني به وتفتح له السبيل لينزل إلى خليقته، وتتيح له أن يظهر حبه اللامتناهي للبشرية والخليقة. لذا لا يُعقل أن تراود مريم، بعد اختبارها الحميم، فكرة إرادة العيش مع سائر الناس ورغبة إنجاب أولاد آخرين. فالله امتلك كل كيان مريم العذراء. لذا، لا بد أن تكون قد كرست لله ذاتها بكل قوى جسدها وروحها. لذا من الطبيعي بالأ تعود تشعر بأي رغبة في الزواج، بل تبقى سالكة في طريقة البتولية، مما يؤكد **قداسة مريم**، انطلاقاً من كونها «ممتلئة نعمة» وولدة المسيح ابن الله. فمريم هي منزّهة من كل عيب وإنها لم تقترف خطيئة. إذ إن الله أنعم عليها منذ الحبل بها في حشى أمها بنعمة خاصة قدست طبيعتها منذ تكوينها. لذا سُميت «بالحبل بلا دنس»، موضوع العقيدة الثالثة.

#### العقيدة الثالثة: الحبل بلا دنس

تاريخياً، كان الشرقيون المسيحيون سباقين بتسمية مريم «الكلية القداسة»، «والمنزّهة من كل أثر للخطيئة»، كونها مجبولة بالروح القدس ومكوّنة كخليقة جديدة. إزاء هذا الوضع، أيقنت الكنيسة أن مريم الممتلئة نعمة، حسب كلام الملاك، افتديت من الخطيئة الأصلية منذ اليوم الأول للحبل بها. هذه الفكرة لم ترق لبعض اللاهوتيين، مثل القديس برنردوس وتوما الأكويني، وبونافنتورا. ففي الجيلين الخامس عشر والسادس عشر، عُقدت عدّة مجامع وأقر عيد للحبل بلا دنس، إنمّا دون إعلان العقيدة.

مع بيّوس التاسع ١٨٥٤، أعلنت العقيدة: «إن الطوباوية مريم

واسطة أب. هو من أبيه مبدأ الحياة، ومن أمّه نهاية الموت. وهذا يعني أن مريم هي أمٌ حقيقيّة بكلّ ما في لفظة أمّ من معنى حقيقي وواقعي. لكنّ أمومتها هي من نوع خاص. كلّ ذلك بسبب قدرة الله التي ظلّت مريم وبذرت الحياة في أحشائها. وكونها لم تعرف رجلاً وولدت كلمة الله، فهذا لا يخفّف من أمومتها ولا تُعتبر أقلّ أمومة من سائر الأمّهات، بل بالعكس فإنّها تجسّد ملء الأمومة. فهي الوحيدة في العالم أعطت ابناً دون علاقة رجل. وإن طبيعة ابنها الانسانية قد استمدّها كلّها من طبيعة أمّه. فالله هو أب يسوع في السماء، ومريم هي أمّه على الأرض. وإن الله حاضر فيها لأنّها صارت له أمّاً. كلّ ذلك بسبب حضور الله فيها.

#### العقيدة الثانية: مريم هي الدائمة البتولية

وكلمًا ذكرنا العذراء نؤمن وندرك أن للمسيح المخلص ولادتين، إنّه المولود مرتين: مولود من الأب قبل كلّ الدهور، ومولود من أمّه العذراء في ملء الزمان من أبيه «طبيعته الإلهية» ومن أمّه طبيعته الانسانية. أخذ من أمّه كلّ ما يأخذ الطفل من أمّه. فهو ابنها حقاً ابناً. من هنا شرف أمومة العذراء، إذ هي خطّ التماس بين السماء والأرض، ومن هنا أيضاً شرف كلّ أمومة: بالأمّ بكلّ أمّ تلامس الأرض السماء.

من هذا الكلام نستنتج أن مريم العذراء هي «أمّ وبتول معاً». وهي، بحسب إيماننا المسيحي، «الدائمة البتولية». ويؤكد اللاهوت والليتورجيا أن مريم هي بتول قبل الولادة وفي الولادة وبعد الولادة. أي إنّها حبلت بيسوع المسيح دون مباشرة رجل: تلك هي بتولية مريم **قبل ولادتها** ابنها يسوع؛ ثمّ إنّها ولدتها وبقيت بتولاً: تلك هي البتولية **في الولادة**، وبعد أن ولدتها لم يكن لها علاقة مع أيّ رجل: تلك هي البتولية **بعد الولادة**. إن ما تركز به المسيحية قد يبدو مناقضاً للعقل. ولكن ليس من أمر يستحيل على الله. فالذي في البدء وضع نواميس الحبل والولادة لدى البشر يغيّرهما الآن في الحبل به وولادته، جامعاً في أمّه أروع مفخرتين تعترّ بهما كلّ النساء: البتولية والأمومة.

#### صيغة العقيدة

اعترفت الكنيسة بتولية مريم. منذ بداية الجيل الثاني، توقّف اغناطيوس الأنطاكي على الإيمان بيسوع «المولود حقاً من عذراء». كذلك سأل هيبوليت الروماني وقال: «هل تؤمن بالمسيح



عملياً، إنَّ سرَّ الحبل بلا دنس هو ينبوع نور داخليّ ورجاء وتعزية. ففي قلب المتاعب والمصاعب، تقول لنا مريم أمّ المسيح، بأنَّ النعمة هي أكبر من الخطيئة، وأنَّ رحمة الله هي أقوى من الشرِّ وهي قادرة لأنَّ تحوِّله إلى خير، لأنَّ الله لا ينقِّص في منح الحبِّ والحياة. هو الذي هيأ المعاهدة الجديدة والأزليّة، مغمّسة بدم ابنه، المولود من امرأة. هذه المرأة هي العذراء مريم التي **عُصِمَتْ مسبقاً بالموت الفدائيّ والخلاصيّ لابنها**، إذ منذ اللحظة الأولى للحبل بها، عُصِمَتْ من وصمة الخطيئة. لهذا السبب تقول لنا عبر قلبها: سلّموا ذواتكم ليسوع، فهو يخلّصكم.

ملاحظتان:

١. بسبب نظرتها إلى الخطيئة الأصليّة، رفضت الكنيسة الأرثوذكسيّة عقيدة الحبل بلا دنس. بالنسبة إليها، فإنّها تتحدّث عن **خطيئة آدم وحواء**، التي لا تشمل كلّ الناس. فأدم وحواء وحدهما «خطئا» خطيئة فعلية. أمّا نسلهما فيرث حالة من **الانحطاط**، تستلزم خلاص المسيح والولادة الجديدة. في هذه الحالة يستطيع هذا الانسان أن يُسهّم مع النعمة في خلاصه. وعلى الرّغم من الخلاف بين الكنيستين، فإنَّ الكنيستين تؤمّنان بأنَّ مريم العذراء هي فائقة القداسة.

٢. في الخامس والعشرين من شهر آذار، ١٨٥٨، وهو عيد البشارة، ظهرت مريم العذراء لبرناديت سوييرو، وقالت لها: «أنا الحبل بلا دنس».

#### العقيدة الرابعة: الانتقال

حسب منطق «الحبل بلا دنس» لا يمكن لمريم، المعصومة من كلّ خطيئة، أن تعرف فساد الموت. لذا «رُفِعَتْ بالنفس والجسد إلى السماء».

إنَّ الإيمان **بانتقال** مريم إلى السماء، لا يركّز على أسس كتابيّة، ولا على نصوص عائدة للزمن الأوّل للكنيسة. لكنّ هذا لم يمنح البابا **بيّوس الثاني عشر** من أن يأخذ مبادرتين: الأولى عندما

العذراء قد **عُصِمَتْ** منذ اللحظة الأولى للحبل بها من كلّ دنس الخطيئة الأصليّة، وذلك بنعمة وإنعام فريدين من الله القدير، ونظراً إلى استحقاقات يسوع المسيح مخلص الجنس البشريّ، هو تعليم موحى به من الله، وواجب من ثمّ على جميع المؤمنين الإيمان به إيماناً ثابتاً لا يتزعزع».

#### استنتاجات

١. في هذا التحديد، يعلن قداسة البابا عن أمرين: الأوّل: إنَّ مريم حُفِظَتْ تماماً من كلّ دنس الخطيئة الأصليّة. والثاني: تمّ ذلك بنعمة من الله وبفضل استحقاقات سيّدنا يسوع المسيح الذي هو وحده مخلص الجنس البشريّ، ولا خلاص بغيره. إذاً مريم افتديت، استباقاً لاستحقاقات ابنها، وأنَّ الحبل بها وولادتها هما من عمل العناية الإلهيّة وتصميم الخلاص.

٢. حنة حبلت بمريم كما تحبل سائر النساء. وعلى الرّغم من ذلك، فإنَّ نفسها الشريفة كانت حاصلة على نعمة القداسة، ومن ثمّ **خالية** من كلّ خطيئة، منذ أن خلقها الله واتّحدها بالجسد في أحشاء حنة. وقد حصلت مريم على كلّ ذلك، باستحقاقات ابنها يسوع فادي البشر.

٣. ولو أنّ مريم افتديت مثلنا. فإنَّ نعمة الفداء لم يكن لها نعمة تبرير من خطيئة، بل نعمة مناعة وعصمة، تقي تلك **النفس** الكريمة من أيّ تلوّث. كلّ ذلك، لأنَّ مصيرها كان مرتبطاً ارتباطاً حميماً، بمصير ابنها الإلهيّ. فهي حواء الجديدة التي تسهم مع آدم الجديد في ولادة البشريّة إلى حياة جديدة على أساس العذاب وإراقة الدم الزكيّ.

٤. في شرحه عن الخطيئة الأصليّة، يرى القديس أغوستينوس بأنَّ مريم العذراء قد تحرّرت كلياً بنعمة خاصّة من الخطيئة الأصليّة ولاسيّما من الاستعباد للشهوة والخطيئة. وقد منحها الله هذه النعمة عندما ولدت.

تصميم الله فتبدو وكأنها منافسة لابنها على عبادة هي لله وحده، فتحلّ محلّه أو تحجبه عن المؤمنين.

٢. من مظاهر هذا الانحراف المَرَضِيّ في النفوس، ما نشهده في كنائسنا أثناء القدّاس الإلهي، حيث نرى البعض يتركون المسيح جانباً ويتلهّون عنه بقرع الصدور وحرق الشموع وسكب الدموع أمام صورة العذراء، أو بتلاوة مسبحتها وطلبتها وتساعتيتها أو فرض أخويتها، فيما الاحتفال الليتورجيّ بامتياز، وهو الجوهر والمحور، أمامهم على المذبح وكأنّه غير ذي قيمة بالنسبة إلى ما يفعلون، فنراهم يفضّلون الشمعة والصورة على الافخارستيا.

٣. هناك ظاهرة هستيريا التعلّق العاطفيّ بظهورات ورؤى مزعومة للعذراء على الطرقات أو في زوايا الشوارع أو بصورة لها معلّقة على حائط كنيسة أو منزل يرشح منها الزيت. فتزحف إليها جماهير السدّج حفاة الأقدام حاملين مسابحهم والشموع والبخور ومنشدين التراتيل، فيما العذراء غائبة عن السمع والبصر وليس عندها علم أو خبر بما يشيّع باسمها وعلى لسانها. وما إن تمضي أيام قليلة حتّى ينتهي كلّ شيء بانتظار ظهور آخر مزعوم في مكان ما لتعود هستيريا الهرولة من جديد، وكأنّهم لم يتعلموا الأمثلة بعد. وقد فضح القدّيس يوحنا الصليبيّ هذا الايمان الغبيّ الذي يلحق إهانة كبرى بالله، فقال: «بعد أن أعطانا الله ابنه الذي هو كلمته النهائية الناجزة، لم تبقَ هناك كلمة أخرى يعطينا إيّاها. لقد قال لنا بكلمته كلّ شيء ولم يترك شيئاً آخر يقوله لنا... فالذي يرغب في الظهورات والإحياءات، لا يُعتبر عمله هذا جنوناً فقط بل إهانة لله. لأنّه لم يركّز عينيه على المسيح وحده بل راح يفتش عن شيء آخر جديد».

٤. إنّ الايمان لا يقوم على الحواسّ والعواطف، ولا على براهين العقل، ولا على عمليّات حسابيّة؛ إنّهُ نعمة يفيضها الله في قلب الانسان؛ إنّهُ الايمان بأقنوم حيّ هو يسوع المسيح الاله المتجسّد «الذي هو هو أمس واليوم وإلى الأبد» (عبر ١٣/٨)، وبما تعلّمه كنيسته المعصومة عن الأسرار والعقائد وعن أمّه مريم العذراء والقدّيسين وعلاقتهم بالذي «هو حجر الزاوية» (اف ٢/٢٠)؛ (وهو الألف والياء... الأول والآخر، البداية والنهاية» (رؤ ١/٨ و١٨).

سأل في الأوّل من أيّار سنة ١٩٤٦، أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة في العالم كلّهُ «هل يؤمن المسيحيّون في أبرشيّاتهم بانتقال مريم بالنفس والجسد إلى السماء؟ فكان الجواب إيجابياً». والثانية، وهي الأساس عندما أعلن البابا المذكور، **الانتقال** عقيدة إيمانيّة، حسب الصيغة التالية: «بعد أن وجّهنا إلى الله صلوات ملحة، والتمسنا نور الحقّ، لمجد الله القدير، الذي أغدق بسخاء عطفه الخاصّ على مريم العذراء، وإكراماً لابنه، ملك الدهور الحيّ قاهر الخطيئة والموت، وزيادة في مجد والدته السامية المقام، وفي سبيل الفرح والابتهاج في الكنيسة جمعاء، بسلطان ربّنا يسوع المسيح، والرسولين بطرس وبولس، وبسلطاننا الخاصّ نصرّح ونعلن ونحدّد كعقيدة أوحاها الله أنّ مريم والدة الإله المنزّهة عن العيب والدائمة البتوليّة، بعد أن أنهت مسيرة حياتها على الأرض، رُفعت بالنفس والجسد إلى المجد السماويّ».

#### مقومات عقيدة الانتقال

• **الاتحاد الوثيق بابنها يسوع**: كرّمت الكنيسة العذراء الأمّ والأمة المتواضعة، وقدمتها قدوةً وشفيعاً للمؤمنين، إنّما دائماً وأبداً **بالاتحاد مع ابنها يسوع** «الوسيط الوحيد بين الله والبشر» ووسيط العهد الجديد الذي قرّب نفسه إلى الله بروح أزليّ قريباً لا عيب فيه» (عبر ٩/١٤ - ١٥). بفضل هذا الاتحاد بات من الطبيعيّ جدّاً أن يكرّم يسوع أمّه ويحفظها من فساد الموت.

• **شهادة آباء الكنيسة**: منذ القرن الثاني، رأى آباء الكنيسة في مريم، **حواء الجديدة**، الخاضعة لأدم الجديد، ولكن متّحدة به اتّحاداً وثيقاً ضدّ العدوّ الجهنميّ.

• **اتّفاق أساقفة العالم على إعلان الانتقال** واعتباره كعقيدة إيمان إلهيّ وكاثوليكيّ. هذه الحقيقة التي تستند إلى الكتاب المقدّس، والمغروسة في قلوب المؤمنين، والمعلنة منذ القرون الأولى في عبادة الكنيسة، والمفسّرة والمعروضة بشكل رائع في أعمال اللاهوتيين وعلمهم وحكمتهم.

#### استنتاجات

١. الكنيسة المؤتمنة على كلمة الله وسرّ المسيح لا يمكنها أن تنسب إلى مريم ما ليس لها أو أن تحرمها ممّا هو لها في



وحول موضوع: مريم في الكنيسة ما بين الحضور والظهور  
(Marie dans l'Eglise Entre Présence et Manifestation)،  
حاضر الأب رمزي جريج (F. Ramzi Jreige, C.M) بالفرنسية،  
قال:

Je voudrais commencer mon exposé, par faire une lecture herméneutique de l'évangile de Marie et de Marthe dans Luc 10/38-42. Dans le temps, on disait que Marie représentait la contemplation et Marthe l'action. « Ora et labora ». Mais en regardant de plus près le texte nous constatons deux choses qui nous poussent à ne pas accepter cette interprétation. D'une part, Jésus a loué l'attitude de Marie qui a choisi la meilleur part ! Et alors ? Est-ce que le Seigneur préfère la contemplation à l'action ? N'est-ce pas lui qui a dit un jour : « Ce n'est pas celui qui me dit Seigneur Seigneur ... mais celui qui fait la volonté de mon Père ... » (Mt. 7/21). D'autre part si nous plaçons cette scène en relation avec ce qui précède, nous trouvons qu'elle vient directement après l'entretien de Jésus avec l'homme de la loi sur l'amour du prochain. Jésus lui a répondu par la parabole du bon samaritain et par le conseil : « Toi aussi, vas et fais de même ». Donc la Parole de Jésus que Marie écoutait attentivement n'est pas une parole à contempler dans un intellectualisme désincarné ni dans une spiritualité abstraite. C'est une parole qui renvoie à l'action. Pour Jésus la méditation est l'âme de l'action, et l'action est l'incarnation de la prière, et l'une sans l'autre est morte : Une âme sans corps ou un corps privé de son âme.

La différence donc, entre Marie et Marthe doit d'être recherchée ailleurs. Qui est Marie ? Que représente-t-elle ? Qui est Marthe ? De quoi est-elle le symbole ? Marthe est celle qui faisait du bien au Maître, elle le servait, elle lui préparait la table. Mais dans cette attitude, elle ne faisait que ce qui lui semblait être le bien, c'était son bien, selon son point de vue et sa logique. Mais Jésus est venu pour que l'homme fasse

٥. كم تدعو الحاجة اليوم أن ننقي ذاكرتنا ونعي بنضج إيماننا وممارساتنا أن مريم العذراء لها مكانها ودورها وكرامتها المجيدة في عقيدة الكنيسة وشركة القديسين، وأن شفاعتها ووساطتها وعبادتها تدرج بعمق تحت أولوية يسوع المسيح وسيادته المطلقة ومن أجل مجده. وليس في ذلك أيّ انتقاص من قدرها وقدرتها بل وضعها في المكان الذي وضعها ابنها فيه. فهي بدونها ليست شيئاً، ولا يمكنها أن تعطينا أيّ نعمة، كما لا يمكنها أن تغفر لنا خطيئة عرضية واحدة. فقدرتها، كقدرة أيّ قديس آخر، نابعة من نعمة ابنها يسوع ومرتبطة به ارتباط الغصن بالكرمة (يو ١٥/٥). فهو لا هي ولا هم، من يمنح النعم، ويغفر الخطايا ويصنع العجائب ويخلص الانسان.

#### الخاتمة:

مريم هي الشريكة في سرّ الخلاص. عايشت المخلص في صميم حياته وتديره الخلاص وباسمنا جميعاً. يصعب جداً أن نتصور درجة الائتلاف الحميم الذي ساد بين يسوع ومريم، بين ابن الله وأمه العذراء أقدس وأنقى خلائقه. هي التي قبلت كلمة الله جسدياً في حشاها وقبلت كلمة الله روحياً في روحها أي امتثلت لمشيئة الله امتثالاً كاملاً. وحوّلت كلمة الله وتحوّلت معها ذبيحة وقرباناً على الصليب، واتحدت بكلمة الله على الوجه الأكمل والنهائي في سرّ القيامة المجيدة. مريم هي أيضاً وجه الكنيسة الأبرز وأمّ الكنيسة ومثالها الفريد. حققت الدعوة الخلاصية وأصبحت أمّ الحياة وأمّ الخلاص، أمّ المخلص وأمّ المخلصين. فكما ولدت المخلص بقوة الروح الإلهي، نولد نحن أيضاً للروح عينه لحياة الله في حضن الكنيسة. ومن ثمّ فحياتنا الروحية هي حياة مريمية وعهدنا المسيحي عهد مريمي، وذلك تعبيراً في الزمن والأبدية، عن اتحاد الأمّ العذراء بابنها، وعن اتحاد الأبناء جميعاً في الابن، وعن اتحادهم جميعاً في أمّه وأمّهم العذراء.



une « Métanoia », une conversion, un changement de mentalité et de logique. Marie, par contre, était la toute attentive pour savoir le bien que Lui, le Maître, voulait d'elle. Dans leurs attitudes envers Jésus, l'une se rapportait à lui à partir d'elle-même, même en se prodiguant, mais toujours centrée sur elle-même, prisonnière de son « ego ». L'autre, Marie, dans sa relation au Maître, s'est décentrée d'elle-même pour être toute tournée vers Lui. Comme le Fils qui, au sein de la Sainte Trinité, est tout tourné vers le Père. La sainteté chrétienne n'est pas un « faire le bien » mais plutôt « faire le bien que Dieu veut de chacun de nous ». La sainteté n'est autre chose qu'accomplir sa volonté. La sainteté chrétienne pousse l'homme à sortir de soi-même, à se dépasser, se décentrer, et à se vider de soi-même pour aller vers l'autre. Et le savoir sortir de soi pour rencontrer l'autre est une renonciation à soi, qui n'est possible que dans la rencontre de l'amour inconditionnel et inconditionné de Dieu. Un amour gratuit, sans limite, et éternel. Un amour capable de libérer l'homme de son isolement et de l'enfermement en soi pour découvrir l'amour et passer à l'amour, le vrai, le grand amour, « l'amour de celui qui donne sa vie pour ceux qu'il aime ». Cet amour est l'attitude des ressuscités, il est le fruit de la victoire sur la mort. Aimer dans la dimension de la Croix suppose avoir vaincu la mort.

Ce n'est pas par hasard que le repas de Béthanie est suivi de la prière du « Pater Noster » où l'homme est appelé à se décentrer dans la prière pour demander d'abord la sanctification du nom de Dieu et l'accomplissement de sa volonté...

A chacun sa façon de devenir saint, selon la vocation à laquelle il est appelé dans l'Eglise, Corps du Christ. Dans ce corps chacun, membre vivant du Christ, a un rôle à exercer pour que le corps soit bien articulé avec différents charismes. C'est comme dans une mosaïque où chaque pierre a sa place unique, sa taille prévue, et sa couleur harmonieuse. Imaginez un visage en mosaïque sans le point noir de l'œil, c'est horrible! Ce point qui n'est qu'une petite pierre noire, donne la beauté à tout le dessin. Bienheureux celui qui fait ce que l'architecte ou l'artiste lui donne à faire. Même s'il ne comprend pas beaucoup au moment même, mais quand il verra l'œuvre terminée il comprendra le pourquoi de sa couleur, de sa taille et de sa place. Chacun

de nous est très beau là où il doit être. La foi est obéir pour comprendre.

La Vierge Marie, comme Marie de Béthanie, est celle qui a cru, ou plutôt elle est la mère des croyants. Sans comprendre beaucoup, elle s'est déclarée la servante du Seigneur pour le laisser faire en elle ce qu'il voulait. Elle n'était sûre que de son amour et que son projet sur elle était le meilleur. Un projet de salut et de vie et non un projet de destruction et de mort.

Marie ne comprenait pas beaucoup, mais elle conservait tout cela en le méditant dans son cœur. La méditation nourrissait son action et son obéissance ; son action était l'incarnation de sa foi vécue dans la prière. Elle était sûre d'une seule chose : Si c'est la volonté de Dieu et si elle est disponible, Dieu réalisera ce projet par l'œuvre de l'Esprit Saint et le Très-Haut la couvrira de son ombre. Mais Dieu ne peut rien faire sans notre « FIAT », sans notre acceptation et notre correspondance. On est appelé à la fois à une activité passive et à une passivité active. Accepter de le laisser faire en nous de grandes choses nous rend acteurs de notre vie. Accepter sa volonté dans notre vie nous décentre de nous-mêmes pour être des instruments dociles dans les mains du créateur. L'image la plus significative de la foi est la réponse de Marie à l'ange : « Voici, je suis la servante du Seigneur qu'il m'advienne selon ta Parole ».

La vocation n'est donc pas une inclination personnelle ou un désir du cœur, elle n'est même pas une chose que l'homme a ou n'a pas. Mais elle est un appel personnel lancé par une personne libre à une autre personne libre. Il m'appelle ! Il est présent ! Il s'exprime ! Il me connaît ! Il a un projet, il a besoin de moi ! Il demande ma collaboration ! Il m'arrive parfois de refuser l'appel : j'ai autre chose en tête, j'ai d'autre projet... Mais en fin de compte, si je marche avec lui je découvre que sa volonté est le projet le meilleur pour ma réalisation.

Répondre à sa vocation c'est se rendre présent à sa présence, présent pour lui, être attentif à sa parole et à sa volonté comme Marie de Béthanie à ses pieds et comme la vierge Marie depuis l'Annonciation et jusqu'à la mort.

Ici se pose la question : Quel est le rôle de la Vierge Marie dans l'Eglise ? Quelle est sa vocation dans le projet du Royaume ? Le Concile Vatican II a placé

Marie à l'intérieur de la vie de l'Eglise. Elle en fait parti. Elle est la première croyante du Nouveau Testament, la première disciple de son Fils, elle est l'aurore de l'église. Pour cela elle en est la Mère.

Mère de l'église et première disciple, Marie est donc le modèle de l'église et l'image de tout croyant. En elle, Dieu, Auteur du salut, a donné au monde la maquette de ce que sera son Eglise, l'épouse de son Fils et le temple de son Esprit. En effet, chaque architecte après avoir conçu et imaginé une œuvre, commence par lui donner corps dans une maquette. Cette maquette servira de modèle et de point de référence sur lequel on revient afin de ne pas dévier de sa conception originale. Marie est l'image parfaite de la conception que Dieu a eue de l'homme, déjà dès avant la création du monde, à savoir, un être « debout devant lui saint et immaculé dans l'amour » (Eph. 1/4). C'est la conception de l'origine que Dieu a dans la tête quand il a créé l'homme. Pour cela Marie est l' « Immaculée Conception ». Nous reviendrons plus tard sur ce point.

Marie, présente à Dieu, est aussi présente à l'Eglise. Sa présence maternelle apparaît à chaque fois que l'Eglise est en danger ou chaque fois que sa mission dans le monde est menacée. Marie, comme une mère accourt au secours de ses enfants dès qu'elle voit qu'ils sont en danger. En ces moments là sa présence devient manifestation. Par danger nous entendons naturellement un péril spirituel et un grand éloignement de la sainteté et non point les contrariétés de la vie, parfois nécessaires à notre sanctification et maturation spirituelle. Le vrai danger qui menace l'Eglise est tout ce qui l'éloigne de sa vocation et de sa mission d'être lumière du monde, sel de la terre et levain dans la société.

Marie accomplit sa fonction prophétique quand elle apparaît et se manifeste dans les moments critiques de la vie de l'Eglise. Elle était là quand Dieu avait besoin d'une bonne terre humaine pour accueillir la semence du Verbe. Elle devient ainsi dans l'humanité et pour l'humanité le sein disponible et virginal dans la foi et l'abandon. Elle est là soutenu par Joseph pour accueillir, élever et protéger le Fils de Dieu fait chair.

Elle réapparaît à Cana. Jésus avait rassemblé sa première communauté, il venait de commencer sa mission. Le danger était dans une fausse interprétation de cette mission, de le prendre pour un thaumaturge quelconque, de penser à un salut matériel ou politique, bref, le danger était de rechercher Jésus pour chercher un miracle, une solution et l'émerveillement

dans les prodiges. Mais Jésus n'est pas venu pour faire des miracles, il est venu pour sauver et être l'époux de l'Eglise. Sa présence elle-même est la vie de l'homme. Etre avec lui c'est le salut. Dans son dialogue avec lui à Cana, Marie passe de la position de celle qui recherche d'une façon naturelle un miracle, à une attitude de foi, celle requise pour que l'heure du salut arrive. L'heure du salut qui n'est autre que la rencontre de Dieu et de l'homme. Leur union dans l'amour, nécessite la présence de Dieu à l'homme d'une part et la présence de l'homme à Dieu d'autre part. Marie se hausse au domaine de la foi et de l'abandon et devient, elle la servante, celle qui enseigne aux serviteurs de la noce d'être à Lui aussi disponible qu'elle, au moment de l'Annonciation : « Faites tout ce qu'Il vous dira ». Marie femme de foi devient maîtresse de foi. Et dès que l'Eglise semble être dans la volonté de Dieu, et les disciples être au niveau de la foi, elle se retire dans une présence silencieuse et cachée laissant la nouvelle communauté faire l'expérience de cheminer avec le Maître. A Cana, ce n'est pas Jésus qui a avancé sa montre pour hâter son heure et satisfaire sa mère, mais c'est sa mère qui a changé de disposition intérieure se mettant à l'heure de la volonté de Dieu. Le jour où on a accusé Jésus d'avoir perdu la tête et qu'elle était venue avec ses frères pour le ramener à la maison, Marie a entendu cette réponse : « Qui est ma mère ? Qui sont mes frères ? Ce sont ceux qui entendent ma parole et la mettent en pratique » Elle renonce alors, car elle comprend et se rappelle que la logique de Dieu n'est pas la logique humaine. Puis elle retourne au silence méditatif de sa foi, cette foi qui s'est toujours concrétisée dans un effacement de soi pour que son Fils apparaisse.

En fin au pied de la Croix quand tous les disciples, scandalisés et abattus, avaient fui, elle est là, debout. Debout ! Portant la flamme de la foi du vendredi soir jusqu'au matin de Pâques. Ce jour là elle était toute seule l'Eglise. C'est pour cela que le samedi est consacré à Marie. Et quand l'annonce de la Résurrection arrive aux disciples, elle rentre de nouveau dans son silence, jusqu'au jour de l'Ascension où elle réapparaît pour soutenir l'Eglise dans l'attente du Saint Esprit afin de lui enseigner comment attendre dans la prière. Avec les disciples, son attente se fait mémoire, « anamnèse ». Elle, déjà toute remplie de cet Esprit, elle sait comment il faut l'attendre et comment l'accueillir. Marie sait se retirer dans l'ombre quand l'Eglise re-

❖ trouve le bon chemin. Sa présence qui devient manifestation et apparition dans les cas de nécessité, se poursuit, discrète et cachée, mais non moins active et efficace, quand l'Eglise semble hors de danger grave et imminent.

Après son Assomption elle continue à faire au ciel ce qu'elle a fait sur la terre. Elle poursuit sa mission et sa vocation dans l'Eglise. Elle continue à être le modèle de tout croyant, à être l'icône de la foi, elle continue à secourir ses enfants à chaque tournant de l'histoire et à chaque danger. Sa présence continue, devient manifestation quand il le faut. Mais quand elle ne se manifeste pas elle est toujours là à l'œuvre et bienheureux celui qui sait découvrir sa présence cachée et son active sollicitude maternelle.

Pour cela la voici à la colonne de Saragosse pour soutenir Saint Jacques dans l'évangélisation de l'Espagne et fortifier sa foi dans le découragement face à la dureté du cœur des hommes.

La voici à Guadalupe pour soutenir et accompagner l'évangélisation des Amériques. Elle se manifeste à un indigène de ce Continent.

La voici à la Rue du Bac et à Lourdes en France. Ces deux apparitions ne sont que deux volets d'un même chapitre. Et pourquoi au milieu du XIXe siècle en 1830 et 1858 ? Pourquoi en France et à Paris même ? Et pourquoi l'Immaculée Conception ? Nous voici en France, en plein Paris à l'apogée du siècle des lumières. La Révolution Française ne finissait pas de finir. Nous sommes au début de la révolution industrielle. L'humanité allait s'embarquer dans un processus de progrès à pas géants dans tous les domaines : industriel, économique, médical, scientifique et de la communication. Un développement qui va aller de plus en plus vite et allait proclamer l'idéologie du progrès continu comme un dogme. Cette idéologie allait un danger réel pour toute l'humanité car elle occultait l'homme. Le progrès sans l'amour mène à la destruction et à la mort au lieu d'aboutir à la construction d'une civilisation de la vie.

Qui doit rappeler à l'homme la nécessité de l'amour, qui doit redire à l'homme sa vocation originelle ? Qui doit représenter à l'homme le dessein pour lequel il a été conçu et créé ? L'Eglise naturellement ! Et qui précisément sinon celle qui en est l'image et le modèle, celle qui est créée dès le sein de sa mère sans tâche, celle qui est l'image de l'humanité avant le péché, de l'humanité telle qu'elle est sortie des mains

de Dieu, Sainte et Immaculée dans l'amour, à l'image et la ressemblance de Dieu. Marie par son Immaculée Conception, à Paris comme à Lourdes, rappelle à l'homme sa vocation à l'amour et lui indique le chemin du retour à la beauté et la verginité de l'origine. Elle rappelle à l'homme la nécessité de retrouver la ressemblance perdue par le péché. Car plus les moyens sont grands, plus grand est le danger d'autodestruction, surtout si la technoscience mène l'homme à la lune, aux planètes et à la bombe atomique. Marie la « Conçue sans péché » est un cri lancé à la conscience de l'humanité et un avertissement à l'Eglise afin de ne pas se laisser noyer dans la mer des convoitises, de ne pas se conformer à la mentalité du siècle, de ne pas s'égarer dans la recherche du progrès et du bien-être et de ne pas perdre sa mission prophétique dans le monde. Car le monde sans la mission de l'Eglise et l'annonce de l'Evangile est un monde sans lumière, une terre sans sel et une pâte sans levain. Le message de la Rue du Bac et de Lourdes est toujours actuel. Actuel pour nous aujourd'hui, pour nous apprendre à prier et à demander la grâce. Nous apprendre à revenir aux pieds de l'Autel et y rencontrer l'amour de Dieu ; pour boire à la source de la vie afin d'éteindre la soif de l'homme et laver ses souillures. Les mains de Marie sont remplies d'anneaux afin de les distribuer à ses enfants. Ce sont les anneaux des enfants égarés. Elle est là pour les distribuer aux hommes pour qu'ils retrouvent la filiation du Père et les fiançailles avec le Fils et devenir ainsi le temple de l'Esprit Saint. Saurions-nous retrouver la présence de Marie au-delà de ses apparitions pour ne pas nous égarer et dévier de notre vocation ? Marie est toujours là, présente à Dieu et présente à nous. Renouvelons notre présence à Elle pour retrouver notre présence à Dieu et trouver le sens de notre existence, découvrir notre vocation et nous réaliser. Tournons-nous vers elle pour nous rappeler le sens ultime de notre vie : celui d'être devant Dieu Saints et Immaculés dans l'amour. Et celui qui a ce projet sur nous saura le réaliser et le protéger si nous apprenons à l'école de Marie la disponibilité de la foi.

## يوحنا بولس الثاني.. شفيعاً



في عيد القربان الأقدس، الخميس ٢٣ حزيران ٢٠١١، وبعد ثلاثيّة صلاة جامعة وتطوافٍ دأبت عليه الجامعة منذ خمس سنوات تكريمًا وتبرّكًا، وبرعاية السفير البابويّ المطران غبريال كاتشيا، وأمام حشدٍ خاشعٍ من المؤمنين، رُفعت الستارة عن تمثال للطوباويّ البابا يوحنا بولس الثاني بإزميل النحات المبدع بيار كرم، في حديقة على اسمه، تُشرف على عتبات الجامعة، ومَن طريقه إليها ومنها، ولاسيّما الشباب، ليكون لهم قدوةً ومثالاً.. وشفيعاً دائماً.

تلك الأيام الاحتفاليّة اندرجت تحت قول القديس بطرس: «أنت تعرف كل شيء وتعرف أنني أحبك» (يو ١٧/٢١). ومنها هذه الصلاة المأخوذة من الرسالة العامّة للبابا الطوباويّ: «الافخارستيّا حياة الكنيسة»:

**أيها الراعي الصالح، الخبز الحقيقيّ،**

**يا يسوع ارحمنا.**

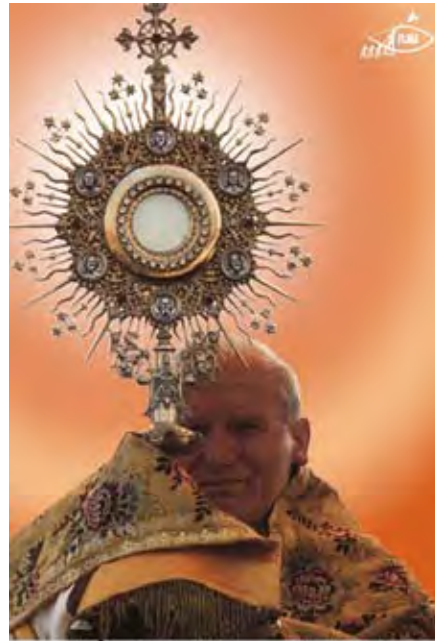
**غزنا، إحمنا، إجعلنا نرى الخير الأعظم، في أرض الأحياء.**

**أنت الذي يعرف كل شيء ويقدر على كل شيء،**

**أنت غداؤنا على هذه الأرض،**

**إجعل منّا مدعويك في العلى، ووارثين لك إلى الأبد، في أسرة**

**القديسين.**



أيها الطوباويّ الحبيب يوحنا بولس الثاني صلّ لأجلنا

## جوزف ولور مغيزل.. معاً في الممات كما معاً في الحياة: حضوراً بليغاً

عشيّة ٣٠ أيّار ٢٠١١، وفي حفلٍ حاشدٍ ضمّته رحابُ الجامعة، ارتفع للمناضليّين في سبيل حقوق الانسان في لبنان: جوزف ولور مغيزل، نصبٌ تذكاريّ، صاغه إزميل النحات أندره نمور. قبل إزاحة الستارة، كان احتفاءً بالمكرّمين بكلمةٍ وفاءٍ لعطاءاتهما البليغة في مختلف الحقول الوطنية والانسانية التي خاضا غمارها وأثمرا فيها الثمر الطيب.

في البداية، سأل الأستاذ **سهيل مطر**: جوزف مغيزل، لور نصر... لو استفاقا اليوم... ماذا يقولان: عن النظام، عن حقوق الانسان، عن القوانين، عن اللاطائفية، الحرية...؟

كانا يقولان: ليس أشدّ، ايلاًماً من ظلم الشريّرين إلأصمت الطيبين. إنّ الطريق أمامنا ليست محفوفة الورود والرياحين، بل إنّها مملوءة بالأشواك والمصاعب، ولا يصمد فيها سوى الرسل والأبطال.

وماذا يقولان اليوم؟ وإلى متى الصمت؟

رئيس الجامعة **الأب وليد موسى** قال بدوره: إنّنا، إذ نرفع الستارة، عن النصب التذكاريّ لهذين الرائدتين، فإنّما نضع أمام أعين طلابنا نموذجاً للحبّ، للعمل، للوحدة، وللإيمان، ونقول لهم: هذا هو مفهومنا، في جامعتنا، لعلاقات الحبّ والزواج والحياة المشتركة.

أكثر من ذلك؛ سنقول لطلابنا: هذان الكبيران كانا نموذجين للنضال، إن في زمن الجامعة، أو في زمن العمل السياسي والاجتماعي والوطنيّ.

حياتهما اقتترنت بهذا النضال المستمرّ، منذ نشأتها وحتى الرحيل؛ قاوما كلّ أنواع الظلم والاستبداد والتفرقة، ودافعا عن حرية الانسان، وقدمًا المشاريع والدراسات القانونية لإزالة كلّ الفوارق القانوني والجنسيّة والطائفية.

.. ونحن إذ نتذكّرهما، اليوم، ونصليّ من أجلهما، ونفخر بمن تركا من ثمار وآثار، فإنّما نتقدّم بتحيّة شكر خاصّة إلى روح معالي الأستاذ جوزف الذي كان من مؤسّسي مجلس المشرفين (الأمناء) في الجامعة، وواحدًا من ثلاثة وضعوا نظام هذا المجلس وعملوا من أجل رقيّها ونهضتها...



### جوزف مغيزل

- ١٩٢٤ ولادته في تبين- الجنوب
- ١٩٣٠ في مدرسة مشموشة
- ١٩٣٥ في الحكمة
- ١٩٤٢ في الليسيه الفرنسيّة
- ١٩٤٦ في جامعة القديس يوسف
- في حزب الكتائب اللبنانيّة
- ١٩٤٩ شهادة الحقوق الفرنسيّة
- ١٩٥٠ شهادة الحقوق اللبنانيّة
- عمل في المحاماة
- ١٩٥٣ الزواج: خمسة أولاد: ندى، جنى، أمل، فادي، ناجي.
- ١٩٥٦ الاستقالة من حزب الكتائب اللبنانيّة
- ١٩٦٠-١٩٧٢ رئيس النادي الثقافيّ العربيّ
- ١٩٧٠-١٩٧٤ أسّس وترأس الحزب الديمقراطيّ
- عضو في مجلس نقابة
- المحامين في بيروت.



السيدة **منى الياس الهراوي** التي رأت أن جوزف ولور مغيزل سيبقيان منارة للأجيال الصاعدة، وللحقوقيين والحقوقيات، وللباحثين والباحثات، وللناشطين والناشطات..، عادت بالذكري إلى أيام خوالٍ عرفت فيها لور مغيزل من قرب، معترفةً بجليل عطائها ومجانيته، ومشيرةً إلى أن أفضل ما نتعلمه منها هو القيم السلوكية في الالتزام والإرادة والثبات والمتابعة والاستمرارية، داعيةً بالتالي للرجوع إلى تراثها العلمي والعملي والكتابي للوقوف على حقيقة قيمتها. ثم ذكرت السيد الهراوي بمحطات أساسية في الدفاع عن حقوق المرأة السياسية (١٩٥٣) والمساواة في الإرث (١٩٥٩)، وحرية التنقل (١٩٧٤)، وإلغاء الأحكام المعاقبة لمنع الحمل (١٩٨٣)، وتوحيد سنّ نهاية الخدمة للرجال والنساء في الضمان الاجتماعي (١٩٨٧)، والاعتراف بأهلية المرأة للشهادة في السجل العقاري (١٩٩٣) ولممارسة التجارة من دون إذن زوجها (١٩٩٤)، وحقّ الموظفة في السلك الدبلوماسي التي تتزوج من أجنبيّ بمتابعة مهامها (١٩٩٤)، وأهلية المرأة المتزوجة في ما يتعلّق بعقود التأمين على الحياة (١٩٩٥)، وإبرام اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضدّ المرأة (١٩٩٦)...

وانتهت إلى القول: سرّ لور ومفتاح شخصيتها الضمير. وعندها، القانون هو أكثر من نصّ، إنّه تطبيق. والدليل «نحن مواطنون» هو دليل على عطائها. وستبقى مع شريك عمرها جوزيف حيّة في ضمائرنا.



الرئيس **حسين الحسيني** الذي ذكر بتصوّره الأولي للخروج من المحنة، ومفهومه للدولة المدنية، عام ١٩٨٤، في إطار ندوة الدراسات الإنمائية..، وكيف أن الأستاذ مغيزل زاره بعدها مستفسراً، وعارضاً للنشاطات المتصلة بحقوق الانسان، فكانت مناسبة لاستعراض بعض الأفكار التي تخدم مسيرة

١٩٧٠-١٩٧٤ عضو مؤسس في اتحاد الكتاب اللبنانيين.

رئيس الجمعية اللبنانية لحقوق الانسان منذ تأسيسها سنة ١٩٥٨.

١٩٨٩ عضو مجلس الأمناء (مجلس

المشرفين) في جامعة سيّدة اللوزية.

١٩٩٢ فاز في الانتخابات النيابية عن

محافظة بيروت على لائحة

الرئيس سليم الحصّ (الإنقاذ والتغيير).

رئيس لجنة النظام الداخلي في المجلس النيابي.

١٩٩٤ أسس اللجنة البرلمانية لحقوق الانسان، وانتخب رئيساً لها.

٢٧ أيار ١٩٩٥ عُيّن وزيراً للبيئة.

٢٩ أيار ١٩٩٥ وفاته.

#### من مؤلفاته:

- لبنان والقضية العربية (١٩٥٩)

- ضدّ الطائفية (١٩٦٠)

- العروبة والعلمانية (١٩٨٠)

- حقوق الانسان في لبنان (بالاشتراك مع

عبدالله لحدود (١٩٧٢)

- في نتائج العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان

(١٩٧٩)

عدّة أوسمة.

#### لور نصر

١٩٢٩ ولادتها في حاصبيا، العائلة: نصر،

بلدتها: صبايح

١٩٣٥ في مدرسة القليبين الأقدسين- جونية

١٩٣٨ في عاليه: مدرسة الجامعة الوطنية

١٩٣٩ في البزنسون- بيروت

١٩٤٦ في جامعة القديس يوسف

في المنظمة النسائية لحزب الكتائب

اللبنانية

الوفاق الوطني.. ثم كيف تمّ التوصل إلى إعلان وثيقة الوفاق الوطني في الطائف.. عاد ليشير إلى زيارة أخرى له قام بها الأستاذ مغيزل عام ١٩٩٠ مع عدد من أعضاء الجمعية اللبنانية لحقوق الانسان، حيث سلّمه مذكرة تطالب بإدراج نصّ في مقدّمة الدستور المرتقب يقول: «يعلن الشعب اللبناني تمسّكه بحقوق الانسان، كما حدّدها الإعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر في ١٠ كانون الأوّل ١٩٤٨».

فرحبت، قال الحسيني، بالفكرة التي كانت موجودة بمعناها العامّ أصلاً في المقدّمة، ووعدت ببذل أقصى الجهد في سبيل إدخال النصّ في الدستور. وبالفعل، فإنّ المجلس والحكومة، ولاسيّما وزير العدل آنذاك، إدمون رزق، قد بذلوا الجهد المطلوب، فأصبحت الفقرة (ب) تقول: «ب- لبنان عربيّ الهوية والانتماء، وهو عضو مؤسس وعامل في جامعة الدول العربيّة وملتزم بمواثيقها، كما هو عضو مؤسس وعامل في منظّمة الأمم المتحدة وملتزم بمواثيقها والإعلان العالميّ لحقوق الانسان، وتجسّد الدولة هذه المبادئ في جميع الحقول والمجالات دون استثناء».

وأقرّت الفقرة بتاريخ ٢١ آب ١٩٩٠، وأصدرها رئيس الجمهوريةّ الرئيس الياس الهراوي، فكان للراحل الكبير جوزف مغيزل المساهمة الجادة في بلورة هذا النصّ، الذي نفخر بأنّه يتوّج مقدّمة دستورنا.



وأخيراً، كانت لنجل المكرّمين الدكتور **فادي مغيزل** كلمة شكر للجامعة والمتكلمين والحضور، جاء فيها أنّ «إحياء ذكرى المناضلين، بل وتخليدها، ليس إحياءً لشخصهم، بل هو إحياء وتخليد للقيم والمبادئ التي ناضلوا من أجلها؛ وغايته نقل هذه القيم والمبادئ إلى الأجيال الصاعدة لتحملها بدورها وتمضي بها نحو المستقبل».

وتلعب المؤسسات التعليمية بكلّ تأكيد دوراً رياديّاً في هذا الحقل. فمن أهدافها الرئيسية، إلى جانب التكوين الفكريّ وإيصال العلم والمعرفة، أن تصنع مواطن الغد.

وجامعة سيّدة اللوزة ليست مؤسّسة رائدة في الحقل التعليميّ فحسب، بل أيضاً في نشر قيم النزاهة، والمواطنة، وتضامن الانسان مع أخيه الانسان، واحترام كرامة الانسان وحقوقه، من خلال رؤية عصريّة وعلميّة للمجتمع وأفراده، وما يندرج ضمن هذه الرؤية من مبادرات فريدة، ومنها المناسبة التي تجمّعنا اليوم».

١٩٤٧ لقاءها الأوّل مع جوزف مغيزل (٢٩ أيار)

١٩٥٢ شهادة الحقوق

١٩٥٣ الزواج

١٩٥٣ عضو مؤسس في المجلس النسائيّ اللبنانيّ

نائبة رئيسة المجلس النسائيّ اللبنانيّ

المستشارة القانونيّة للمجلس النسائيّ

اللبنانيّ.

١٩٥٨ الاستقالة من حزب الكتائب اللبنانيّة.

١٩٨٥ عضو مؤسس في الجمعية اللبنانيّة لحقوق

الانسان.

١٩٨٧ عضو مؤسس في حركة اللاعنّف: لا بدّ

من كسر الصمت.

١٩٩٠ عضو مؤسس في تجمّع الباحثات اللبنانيّات.

١٩٩٢ عضو لجنة حقوق الانسان والحريّات

العامّة في نقابة المحامين.

١٩٩٥ عضو مؤسس في مؤسّسة جوزف مغيزل

من أجل الديمقراطية وحقوق الانسان.

١٩٩٦ عضو مؤسس في الجمعية اللبنانيّة

لديمقراطية الانتخابات.

الرئيسة الفخرية للجمعية اللبنانيّة لحقوق

الانسان.

٢٥ أيار ١٩٩٧ وفاتها.

### من مؤلّفاتها:

- المرأة في التشريع اللبنانيّ في ضوء الاتفاقات الدوليةّ بالمقارنة مع التشريعات العربيّة (١٩٨٥)
- تشريعات العمل المتعلّقة بالنساء في البلدان العربيّة
- حقوقك في العمل (١٩٩٤)
- نحن مواطنون (١٩٨٥)
- حقوق المرأة الانسان في ضوء اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضدّ المرأة (١٩٩٧)
- عدّة أوسمة.

## الجامعة تطلق

# « مشروع نشر ثقافة الاقتصاد والأعمال داخل المجتمع اللبناني »



وأهمية الإحتياط الذهبي في البنوك المركزية.

٣. المالية العامة في لبنان وانعكاساتها على النمو الاقتصادي،  
فيعالج الدكتور يشوعي نقاط القوة والضعف للموازنات العامة في  
لبنان من زاويتي البنية والتوزيع، ويشخصها بين الإنفاق الرسمي  
ونمو الاقتصاد.

٤. مقررات بازل ٣ وتأثيرها على القطاع المصرفي بشكل عام  
وعلى القطاع المصرفي اللبناني بشكل خاص، يعرضها الأستاذ  
رجا شفو.

٥. التخطيط للزيارات السياحية وتسويقها، فُتبرز السيدة كارول  
عسّاف أهمية السياحة على مستوى البلد والمنطقة والمعالم  
السياحية، إضافة إلى عناصر السياحة والسلعة السياحية  
ومكوناتها والتخطيط والتسويق السياحي.

٦. سلامة الغذاء تصنيعاً وتحضيراً، أي تفادي ما يعرف بالتسمّم  
الغذائي عن طريق إتباع قواعد وشروط صحية معينة وتجنّب  
عدم السلامة الغذائيّة، يحاضر فيها الأستاذ أنطوان عسّاف.

٧. التقنيّات الجديدة في إدارة الموارد البشرية، حيث يسلّط  
الدكتور يوسف زغيب الضوء على آخر التقنيّات المعتمدة عالمياً  
في نطاق تنمية وتحسين إنتاجية مستدامة للموارد البشرية في  
قطاع السياحة والضيافة.

٨. أكلاف الشركات والمؤسسات وكيفية ضبطها، حيث يعرض

أطلقت كلية إدارة الأعمال والعلوم الاقتصادية في جامعة  
سيّدة اللوزية، بشخص عميدها الخبير الاقتصاديّ الدكتور  
إيلي يشوعي، وفي مؤتمرٍ صحفيّ، حضره حشدٌ من أهل  
الاختصاص والإعلام.. والجامعة «مشروع نشر ثقافة  
الاقتصاد والأعمال داخل المجتمع اللبناني»، رعاها بنك  
بييلوس.

استهلّ اللقاء نائب رئيس الجامعة للثقافة والعلاقات العامة  
الأستاذ سهيل مطر بكلمة رأى فيها أننا رغم أمواج السياسة  
التي تتقاذفنا، نتابع الطريق، نظر إلى الغد، نتحدّى البشاعات،  
وندعو طلابنا إلى تجاوز الصعوبات والعقبات والدخان، وصولاً  
إلى الضوء وبناء الوطن الجديد.

عميد الكلية **الدكتور يشوعي** حدّد أهداف ورشة العمل الدورية  
والمجانّيّة في «اكتساب اللبنانيين القدرة والمعرفة لكي يقيسوا  
ويزنوا ويحلّلوا ويقدّروا كلّ حدث يطرأ في عالم الأعمال  
والاقتصاد، وخاصةً لأنّ عالم الأعمال في لبنان يعاني مشاكل  
كبيرة؛ فلبنان هو الدولة الأكثر مديونيّة بين كلّ الدول العربيّة».   
لذلك، قال، تطمح جامعتنا، ومن خلال الكلية، أن تساهم في  
نشر ثقافة الاقتصاد والأعمال داخل المجتمع اللبناني، فيتمّ  
عرض المواضيع التالية ابتداءً من ٢٧ كانون الثاني ٢٠١١ ولغاية  
حزيران ٢٠١١ على الشكل التالي:

١. القطاع العقاري في لبنان، فيعرض الدكتور لويس حبيقة لواقع  
العرض والطلب على العقار في لبنان وتوقّعات الأسعار.

٢. العناصر الأساسيّة للفقاعة الذهبيّة الراهنة، فيتناول الدكتور  
حسن حماده أسباب ارتفاع سعر الذهب، وارتباطه بالنقد،





منافع المؤسسة الصغيرة والمتوسطة فرص التوسع وطريقة التملك والإدارة الماليّة...

١١. إستراتيجيات جديدة للتسويق، فيعرض الأستاذ كمال زخّور لعمليات البيع وتطويرها ومراقبتها، والتفتيش عن الأسواق، والخدمة بعد البيع...

١٢. الصّحة العامّة في لبنان وإدارة الرعاية الصحيّة، تتناولها السيّدة جيسيكّا سعيد شارحةً كميّة السعي إلى تحسين نظام الرعاية الصحيّة وتحقيق النوعيّة والجودة.



الأستاذ غسان بيروتي لمبدأ ضبط الكلفة في المشتريات والتخزين وانعكاس نتائجها على المردود الماليّ والقدرة على المنافسة.

٩. حقوق المستخدمين وواجباتهم في المؤسسات الخاصّة، فيتناول الدكتور شربل عون حقوق الموظّفين ومنافعهم من أجل مساعدة أصحاب المؤسسات، وفهم كلّ جوانبها وتطبيقها.

١٠. إدارة المؤسسات الصغيرة، بحيث تفسّر الدكتورة إلهام هاشم الطرق لتأسيس شركة ورسم خارطة طريقها، فضلاً عن

## ضباط دورة الأركان في الجيش يزورون الجامعة



استضافت جامعة سيّدة اللوزة ضباط دورة الأركان في الجيش اللبنانيّ، ظهر ٩ حزيران ٢٠١١، في جولةٍ تدريبيّةٍ لهم، اطّلعوا خلالها على المنشآت والمناهج وأساليب التعليم الحديثة وكيفية مواءمة المنهج التربويّ الأميركيّ لنظيره اللبنانيّ وما تقدّمه الجامعة من مساعدة لطلابها على غير سعيد، ولاسيّما لجهة تطوير مهارات التواصل وتنمية حسّ النّقد. وقد كانت مناسبة لتبادل الآراء والاقتراحات، ومنها تنظيم دورات للمدنيّين. ثمّ تُبودلت الهدايا الرمزيّة.

## جامعة سيّدة اللوزية شمالاً: الأقلام القصصية الشابة في أدب الناشئة



تحكيمية من رواة وقصصيين إعلان نتائجها في ٢٩ نيسان ٢٠١١، بحضور مدراء المدارس المشاركة وأهالي الطلاب. المدارس المشاركة هي: من طرابلس (ثانوية القلبين الأقدسين) - المدرسة الأرثوذكسية الوطنية - القبة - الثانوية الوطنية الأرثوذكسية - الميناء؛ ومن الكورة (الفرير - مركز داود كرم - دار النور - سيّدة بكفتين)؛ ومن زغرتا (ثانوية زغرتا - الفرير - الكرملية)؛ ومن عكار (ثانوية حلبا الأرثوذكسية - ليسيه عبدالله الراسي) ومن بشري (الآباء الأنطونيون).

استضافت جامعة سيّدة اللوزية في برسا - الكورة، وللمرة الأولى، سبعين طالباً وطالبة ثانويين، من ١٤ مدرسة رسمية وخاصة في محافظة الشمال، في مباراة لـ: «أدب الناشئة».

الأب المدير سمير غصوب أكد في كلمته على دور الجامعة في رعاية المواهب الواعدة والأقلام الشابة اليوم، والتي ستساهم غداً في رسم صورة لبنان الثقافي والاجتماعي. ثم أوضح منسق كلية الانسانيات مايكل الحاج أنّ المباراة تقوم على وضع قصة قصيرة في اللغة العربية أو الفرنسية أو الانكليزية، تتولّى هيئة

## من حصاد العمل الرعوي الجامعي

### Easter weekend retreat

التأم أكثر من ٤٥ شاباً وشابة من العمل الرعوي الجامعي في الرياضة الروحية السنوية زمن الصوم يومي ٢٦ و٢٧ آذار، في دير سيّدة النجاة، تحت عنوان «ذبيحة بلا دم»، تخلّلها شرح القديس الإلهي مع الأب فادي بو شبل المرشد العام، وسجود للقربان وسهرة توبة. وفي نهاية الرياضة توجه الجميع إلى بكركي لتهنئة مار بشاره بطرس الراعي بتوليّه كرسي البطريركية.

### Open doors

نهار ١٥ نيسان، وزّع الشبان والصبايا كُتَيْبًا يتضمّن معلومات عن العمل الرعوي الجامعي ورسائله في الجامعة؛ وقدموا السكرتريات.



## سهرة إنجيليّة في صوت المحبّة



العمل الرعويّ الجامعيّ العامّ في لبنان ينظّم سنويًا برنامجًا في شبكة الصوم والقيامّة تحت عنوان «الشباب والإنجيل»؛ وقد شاركنا فيه في ٨ نيسان عبر إذاعة صوت المحبّة مع الأخت كاتياريا حيث جرت مناقشة إنجيل (يوه ١/١٨): «يسوع يشفي كسيحًا».

## Easter Mass

في ١٩ نيسان، احتفل الأب الرئيس وليد موسى بقُدّاس الفصح المجيد بمشاركة آباء الجامعة والموظّفين والأساتذة والطلّاب، وكانت للأب فادي بوشبل عظة ذكّرنا فيها بعظمة حبّ المسيح لنا، منتهيًا إلى القول:  
 نعم يا إخوتي، إنّ يسوع يُحبّ كلّ واحدٍ منّا بحبّ شخصيٍّ؛ يُحبّني حيثما أنا في المكان الذي أنا فيه محبوب، وفي المكان الذي لا أكون فيه محبوبًا. فهلاً صدّقت أنّي محبوبٌ في قوّتي كما في ضعفي، في جمالي كما في قباحتي، في عيشي الفضيلة كما في أوقات سقوطني في الخطيئة؟  
 المعنى الحقيقيّ للصليب إذًا، هو أن أقرأ حبّ الله اللامتناهي لي شخصيًا. فهو الذي وعدني بعد قيامته أنّه معي طوال الأيام حتّى انقضاء الدّهر. أستطيع أن أراه في وجه إخوتي كلّما التقيتُ إنسانًا، أستطيع أن أسمعهُ يكلمني كلّما فتحتُ الكتاب المقدّس، وأستطيع بالأكثر أن أتحدّ به كلّما تناولت جسده الحيّ ودمه الكريم في الإفخارستيا. أوّلّم يقلّ مار أغوستينوس حين كان يبحث عن الله: «بحثتُ عنك خارج ذاتي فوجدتُك أقرب إليّ من ذاتي»؟  
 إنّ صرخة يسوع على الصّليب: «أنا عطشان»، لا تزال تُدويّ في عمق كلّ إنسان، ولاسيّما المؤمن، لكنّ صرخته ليست للماء، إنّما للحبّ، فهو يصرخها معنا ولأجلنا: معنا عندما يكون وجع أحيانًا كبيرًا، ولأجلنا عندما نكون لا نزال بعيدين.  
 ولذلك أدعوكم لتأتوا معي إلى تحت صليب فادينا الإلهيّ لنلتقط دمه المُراق لأجلنا، ونرشّه على نفوسٍ عسّش في داخلها الموت، وأصبحت عُرضةً لليأس والحزن والشقاء.  
 هلمّوا نرشّ دم المسيح على حياتنا شبانًا وشابات، علّنا نحيا الحياة التي حملها المسيح يسوع إلينا، فُتصبح لنا حياةً أوفر.  
 هلمّوا نرشّ دم المسيح على أماكن الظلام والظلم في مجتمعنا، علّنا نرى أزهار الفرح والعدالة والسّلام الحقيقيّ في ما بيننا.  
 إنّ موت يسوع وقيامته هما عربون مُصالحتنا مع الآب الذي أحبّنا، ومع إخوتنا البشر. ولذلك فلننهتف للمسيح إلهنا: «نسجد لك أيّها المسيح وبناركك، لأنك بصليبك المقدّس خلّصت العالم»، ولنتوجّه نحو العذراء مريم ونقلّ لها: «يا شريكة الفداء، يا أمّ العزاء، علّمينَا أن نتوب».

## Karaoke سهرة

اجتمع حوالي ٥٠ شخصًا في ال-Dining room Bloc A، وأمضوا أجمل الأوقات في أجواء من الغناء والرّقص والتّسلية.



## في احتفال الجامعة بعيد العمّال



بمناسبة عيد العمّال وفي ٩ أيار، أعددتنا حفل غداء مع ألعاب ترفيهية، في مطعم الجامعة، لحوالي ٨٠ عاملاً من العمّال الأجانب، بمشاركة وعناية مكتب الرعاية المالية، وفي حضور الأب فادي بو شبل، الذي شكر هؤلاء العمّال على جهودهم المستمرة.

## Founder's day



بمناسبة العيد الـ ٢٤ للجامعة، وفي ١٦ أيار، وكعادة مكتب شؤون الطلاب بإعطاء موضوع للاحتفال، كان العنوان لهذه السنة Toons in nature، حيث مثلت الأندية كل شخصيات الرسوم المتحركة، فأخذ الـ Pastoral على نفسه تمثيل Popeye برقص رمزية. وإذا كانت الأسطورة تقول بأن Popeye كان يستمد قوته من أكل «السبانخ»، فإن الحقيقة جعلت من الشبيبة يستمدون قوتهم من الرب يسوع، فكان الشعار بخط عريض «أنت قوتي». وكان الكل يعمل يدًا واحدة وقلبًا واحدًا، فتكلل النجاح بالحصول على جائزة Most Inspiring team.

## شمة هوا في بالوع بلعا- تنورين

في ٢٩ أيار، احتفلنا بالقدّاس الإلهي في دير مار شربل - عنايا، ثمّ زرنا بالوع بلعا- تنورين الذي يخبر بجمال طبيعته عن عظمة الخالق، ثمّ تناولنا الطّعام قرب دير حوب في الهواء الطلق، في جوّ مرح.



## إلغاء الطائفية السياسية: مشروع طائفي أم علماني؟

أخاف، ودائمًا كنتُ نخاف، ولكنّ الخوف هذه المرّة أصبح جزعًا، من أن نعود إلى سيرتنا ومآلاتنا في محطات الاحتجاج الكبرى التي شاركنا فيها على أمل ما، فاستيقظنا عليهم وقد تغلغلوا فيها ووجهوا حبوبها إلى مطحنة الطائفية.

ودائمًا كنتُ نريد إسقاط النظام الطائفي من أجل بناء الدولة الأكثر صلاحًا من شبه الدولة الذاهب دائمًا والآن بسرعة أكثر نحو اللادولة من خلال المطابقة، لا بين الطائفة والدولة لأنّه كرهه ومستحيل، بل من خلال المطابقة بين الطائفة والسلطة، ما يعني تحويل الوطن إلى كيس كبير يجمع شظايا الجماعات لصالح مستفيد آخر. وبالفوضى المنظمة أو الفيدرالية أو الكونفدرالية، نكون قد وضعنا لبنان على طريق نهاية الروح والمعنى والدور والرسالة، بتحويلها إلى طابع بريدي يحمل صورة العمارة اللبنانية في مرحلة البداية كواقعة تُذكر ولا تُعاد أو تُستعاد.

كنتُ نريد إسقاط النظام ونمشي على طريق إسقاطه، وفي النتيجة لم نكن ننتهي إلا إلى إسقاط ركن آخر أو طابق آخر من بنية الدولة لحساب النظام الضعيف المستولي عليها بنا. أخاف وأشكّ في أن يكون في مقدور أحزابنا الطائفية، وبعيدًا عن المجاملة الخادعة للذات والآخر، بل أصرّح بأنني على يقين من عدم قدرة هذه الأحزاب أو الأفخاذ الطائفية، مهما تحالفت علينا وعلى لغتنا، على تغيير النظام، هذا إذا كانت تريد، وهي لا تدري، لأنّه نظامها وهي نظامه.

وعلى ما يقال في حواراتنا اليومية (من آخرها)، عندما تحدثم الرغبة في المصارحة من دون مقدّمات طويلة أقول ذلك وأنا أت إلى هنا وهناك وهناك، من صلاة، ذاهب إلى صلاة أخرى، معتمراً عمامتي لا كمامتي أو (بربارتي).. بل عمامتي التي تعرفني من دون التباس إلا على الماروني الحائر بين مشايخ وسياد حزب الله وبين المستقلين من رجال الدين الشيعة الذين أوقفوا عن وظيفتهم الدينية المدنية لأسباب سياسية، ولم يتوقفوا. إذن عمامتي هذه من دون التباس، وإن كنت أعشق الالتباس الجميل بالآخر المختلف، لأنّه لا يلغي حقيقتي بل يضيف إليها حقائق أخرى، تأتي من جهة التعدد والحوار، تزيديني جمالاً أو تعصمني من معاقرّة عصير الطائفية أو سمّها القاتل.

\*\*\*\*

في ٨ حزيران ٢٠١١، وتحت العنوان أعلاه، وبدعوة من كلية العلوم الانسانية - قسم الإعلام، في الجامعة، التأمّت ندوة، شارك فيها السيد هاني فحص والأب بولس وهبه والأستاذ سجعان القزّي والمقدم شريف فياض، وأدارها د. جو عجمي، بعد كلمة ترحيبية من الأستاذ سهيل مطر باسم رئيس الجامعة.

وفي ما يأتي المداخلات التي اعتنت بالإعداد لها الأنسة دنيا جريج من قسم الإعلام، نُبنتها كاملةً لما تشكّل من مساهمة بالغة التمثيل والتأثير في الحراك الوطني القائم، في موازاة ما يجري في المنطقة العربية الواسعة من صحوة تُتصرّجُ بدماء الأبرياء.



البداية كانت مع سماحة السيد هاني فحص في معابنة فكرية مضيئة «إسقاط الطائفية: الأحزاب الطائفية محفّرات أم مواضع؟»:

أفتتح كلامي عن الطائفية بالتعبير عن خوفي وخوف أمثالي من الراغبين بالمواطنة نصاباً جامعاً لهم في لبنان على موجبات تكوينية وقانونية تحمي الخبرات والخيارات الوطنية من الشرور الطائفية، من أن يكون المضاربون على الوطن والدولة بالطائفة والمضاربون على أبناء الطائفة بالحزب الطائفي الذي يشاكل الطائفة زمنياً ريثما يفتك بها من خلال استخدامها المنظم في تفخيخ الوطن والكيان من شرفته في الدولة التي تؤدي خلخلتها المتكرّرة وامتئانها المتعاضم إلى إسقاط الشرفه بمن يستشرفون على رؤوس من ينتظرون الوطن في بيت الدولة أو ينتظرون الدولة في منازل الوطن.. أخاف من أن يكون هؤلاء المضاربون بأموال ودماء وأحلام غيرهم، يساعدوننا أحياناً أو كثيراً، إذا اقتضى الأمر وقضى كيدهم وخبثهم، على إخراج الطائفية من شباك الوطن، لأنّهم قد تفرّغوا مجتمعين، وإن تناقضوا، لفتح أبواب الدولة والوطن لتعود الطائفية فتفتح منازلنا الوطنية من حدائقها الأمامية والخلفية إلى مطابخها ومخادعها وتفاصيل أثاثها الفكري العاطفي وملابسها الداخلية الخ.

قد ارتدت ملابسها الوطنيّة، ونظرت في المرآة، وخرجت إلى الفضاء الوطنيّ معطرّة اللّغة بعبق الحوار.. ولا أختار الدولة الطائفة، أي الدولة التي هي من صناعة أو اصطناع الطائفة، أو الدولة التي هي من أجل الطائفة. لأنّه إذا كانت الطائفة من أجل الدولة، فإنّها تُلزم الدولة وتمكّنها من حفظ الطائفة كوظيفة وطنيّة للدولة، بينما الطائفة تقوّض الدولة إذا أنشأتها أو اختزلتها على هواجسها المنفصلة عن السويّة العامّة، لأنّ ذلك يؤدّي إلى تعطيل التبادل والتداول اللذين هما قوام الدولة أو معناها الحقيقيّ الذي يزداد عمقاً ووضوحاً وجمالاً بالمعاني المجازيّة أو الكماليّة فوق الضروريّة.

\*\*\*\*

ولأنّ الدولة الطائفة، وحتّى الدولة الأمّة، إذا كان المعيار الوحيد فيها هو العنصر البيولوجيّ المشكوك في صفائه في الحالة العربيّة وكثير من الحالات التي تعدّت فيها الشعوب أحياءها الجغرافيّة وانساحت في الدنيا لتؤسّس لمشاهد كوسموبوليتيّة تحوّلت إلى رافعات حضاريّة من قديم الزمان من اليونان وفارس إلى الربع الخالي (الآن) إلى قرطاجة والسياسة الفينيقيّة، إلى الحضارة الرومانيّة التي وإن أوجعت فقد شيّدت، إلى المسيحيّة التي حفظت نفسها وروحها بعبور الحدود، إلى الإسلام الذي خالط أو مزج الآخرين في مقتنياتهم.. وتحوّلت الحضارة الإنسانيّة إلى متراكم مشترك تسطع عناصره أو تذهب في العمق إلى قعر الذاكرة لتستقرّ في الجينات.. وعوداً على بدء، فإنّ الدولة الأمّة إذا قامت على العنصر والعنصريّة القبليّة والقاتلة المقتولة، لا تعني نظريّاً وأدبيّاً وتاريخيّاً وعمليّاً أكثر من شطب الحرية والاختيار من قائمة الضروريّات أو الضرورات المكوّنة للأفراد والمجتمعات؛ وهما، الحرية والاختيار، ليسا من كماليات الدين، الذي إن لم يحرص عليهما ويصنّهما بالشريعة والعبادة، عرّض نفسه للانسحار وعرّض التدين والالتزام بالدين إلى الاندحار.. ومن هنا في نظري وبأدلة شرعيّة وسياسيّة نظريّة وملموسة ومستتبطة من التجارب المختلفة، فإنّ الدولة ضرورة الطائفة، إن كانت الطائفة ضرورة، وهي ضرورة لأناس دون آخرين ملزمين باحترام اختيارات الآخرين؛ والدولة ضرورة الطائفة، والطائفة ضرورتها، لا بلحاظ كونها طائفة سياسيّة، بل بلحاظ أفرادها المواطنين أيضاً أو أولاً، ولا بصفتها جماعة ناجزة مكتفية أو غير مهتمة بمتابعة إنجاز حالها لتصبح ضرة للدولة أو ضرراً عليها .

\*\*\*\*

إنّي على يقين، على الرّغم من أنّي كثير الشكّ، بأنّي في انحيازي إلى الدولة المدنيّة، غير الطائفيّة وغير الدينيّة والمفصّلة على مقاس طائفة واحدة أو عدّة طوائف، إنّما أهدف أولاً إلى صيانة الدين الذي لم يتفق حتّى نقادّه على عدم ضرورته، من السلطة ومن الطائفة، وصيانة الدولة من السلطة الدينيّة، لأنّ كلاً منهما إذا تسلّل أو تسلّط أو سلّط على الآخر يأكله أو يمحقه ويتآكل به.. هذا إذا جُمعا قسراً، في حين أنّهما يتبادلان المنافع ويزدهران معاً بالاجتماع الطوعيّ والطبيعيّ ومن دون وصفات جاهزة مستوردة من مكان علمانيّ هنا أو مكان دينيّ سياسيّ هناك.. وهما يجتمعان على شرط الحرية في الوظيفة الحضاريّة المشتركة، وفي مقام الحصيلة، لا في الوظيفة الإداريّة للشأن العامّ التي هي من أهمّ خاصيّات الدولة، ولأجله تقوم ومن دونه لا تقوم أو تزول إن قامت، ولا في الوظيفة العباديّة، خاصّة الدين المتعدّد قطعاً والذي لا يمكن ولا يجوز لأيّ مثال من أمثله أن يمنع وصول الآخرين إلى ربّهم لأنّ «الطرق إلى الخالق تتعدّد بتعدّد أنفاس الخلق» كما في مأثورنا الجميل.. هذا والتعبّد الدينيّ في الإدارة والسياسة هو إلغاء للدولة لأنّه إلغاء للمساءلة، التي هي قوام العلاقة التكامليّة والتصحيحيّة بين الدولة الأجيبة والمجتمع المستأجر والسلطة الدينيّة لا تقوم أو لا تنتهي إلّا إلى إلغاء الدين والدولة بالسلطة التي هي إحدى وظائف الدولة الملزمة بالقانون، في مقابل السلطة الدينيّة (الروحيّة والتعبديّة) التي هي أقرب إلى الاختيار الطوعيّ منها إلى الإلزام «أفأنت تكره الناس أن يكونوا مؤمنين»، كما في القرآن الحكيم.

\*\*\*\*

من آخرها كما قلت، وكدت أنسى بسبب كثرة الشجون اللبانيّة والعربيّة، السياسيّة والدينيّة، من آخرها أقول متقرّباً إلى الله تعالى: لو خيّرت، وأنا أخيرّ يومياً، بين الطائفة والدولة وبين الحزب الطائفيّ وحزب الدولة لاخترت الطائفة على أساس إيمانيّ لا مذهبيّ.. ومن أجل الدولة، وأكون بذلك قد اخترت ما يحفظ أبناء الطائفة ويصون أديانهم أو مذاهبهم.. وقد فعلت ذلك ولن أترجع. وفيما أنا لا تجذبني أساليب التنصّل من الطائفة، أحلم أن أبقى في طائفتي وتبقى في طائفتي كطبقة أو شقّة في عمارة الوطن التي لها شرفات مفتوحة على مدى أوسع من الكهف، وموصولة بشرفات أخرى، ولها شبابيك تستدعي شمس الوطن لتطهر وتدفيّ وتغيّر الهواء الوطنيّ بتنشيط الحياة وتنظيف الرقّة الطائفيّة من بقايا المسكّنات الضارة والكورتيزون الذي ينشّط المرض في ما هو يعالج الألم.. ولها أبواب تغلق على الخصوصيّات وتفتح على المشتركات، بعد أن تكون الطائفة



شاء أو يستدعيه أهلها إليهم إذا احتاجوا، لأنّ فرادة أيّ كيان لا تتحقّق إلاّ بالمزج والدمج أو الاندماج الذي يضيف خصائص نوعيّة إلى كلّ طرف من أطرافه.

وإذا تمّ استفزاز الهويّات الفرعية وإيقاظها وحصرها وجهاً لوجه مع ضرورات وجودها وسلامتها الجسدية والثقافية، تكون الدولة أو السلطة قد فكّكت وحدتها السياسية بتفكيك وحداتها المؤسّسة.. التي لا حصانة لها إلاّ بالأداء الجامع والعدل والقويّ، والذي يستمدّ عدالته من قوّته وقوّته من عدالته.. والدولة إمّا أن تفعل ذلك، وإمّا أن يتحوّل اجتماعها الفرعيّ الرافد للاجتماع العامّ بعناصر الحيويّة، إلى حيّز لإنتاج الوعي المرضيّ بالهويّة الفرعية، وإمّا أن تشغل أجهزة الفروع الوقائيّة في الإنتاج الذاتي والتلقائيّ للمضادات الحيويّة للانشقاق مع ظهور علاماته كمرض وقبأها وبعدها، حتّى لا يقضي على الذاكرة المشتركة والحلم المشترك والمناعة المكتسبة بالتواصل والإيمان والتوحيد والثقافة البيئية المشتركة إنتاجياً وانتفاعاً بالمنتج الذي لا يمكن أن يتوفّر إلاّ بالشراكة مع حفظ الخصوصيات ومحبتها وتنشيط وتوسيع وتحرير المساحات المشتركة حديقة الروح والجسد وفضاء المواطنة أو بستانها الذي لا يكون بستاناً كاملاً إذا لم يتيسّر له اختلاف في نوع الأشجار أو داخل أصنافها.. طبعاً مع الشغل الدائم غير المتعسّف أو المتعجّل، على تضيق مساحة الاختلاف من دون ضيق به أو خجل منه أو كره له، ومن دون توهم بإمكان إلغائه الذي قد يضرّ أكثر ممّا يفيد، هذا إن لم يكن ضرورياً ولا يحتاج لتغليب محاسنه وفوائده على مساوئه ومضارّه إلاّ إلى الإدارة الحكيمة، هذا إلى استحالة الإلغاء التامّ وحتّى شبه التامّ لأنّه تكوينيّ إلى حدّ القانون، ولأنّ الإلغاء إعدام أو تجفيف لمصادر الحيويّة الأرقى والأولى والأولى في الاجتماع البشريّ وعوالم الكائنات المختلفة وكلّ ما يكون جميلاً إذا بقي بسيطاً، ولكنّه يكون أجمل لأنّه أنفع إذا أصبح مركّباً بشرط الاندماج لا الذوبان ولا التدويب.. أو تغيير الدم الذي لا يتغيّر.

عندما حوّلت القومية العربية المغلقة والمسحوب منها عصبها الإنسانيّ، حوّلت (1) هل حوّلت فعلاً.. الأمازيغ والأكراد إلى عرب

إنّ الطائفيّة بوصفها مجموعة من الأفراد المواطنين بالمعنى القانوني لا البيولوجي للمواطنة، الملتقين طوعاً وبالضرورة مع أفراد المجموعات الأخرى تحت سقف القانون والمؤتلفين حقوقياً على اختلاف ما بينهم، هي شأن الدولة، وليست شأن الطائفة بذاتها.. لأنّ الدولة هي خيمة اجتماع الطوائف كمجموعات وطنيّة. أمّا خيمة اجتماع الطائفة كجماعة دينيّة حرّة في دينها فهو المسجد الجامع أو الكنيسة الجامعة، واللذان لا بدّ من إعادة وظيفتها الجامعة إليهما بعد أن غابت الأيقونة عن المذبح وقفز السياسيّ إلى المحراب لإمامة الصلاة وخطبة الجمعة وصلاة الجنّازة وعقد الزواج. والدولة وحدها، بمساعدة اجتماعها المتنوع الحافظ لمقام الوحدة في تنوعه، هي القادرة على الجمع وتحقيق التشارط أو الشرطيّة المتبادلة وجودياً ومعرفياً بين المكونات المتعدّدة، في ظلّ الدولة، الحاضنة المُحتضنة، وفي عهد نظام من المصالح المشتركة التي لا يمكن أن ترعاها إلاّ الدولة، وإلاّ أصبحت متناقضة، ما يهدّد بهدرها.. هذا وإن قصّرت الدولة أو جارت، فإنّ هذا الدور محفوظ لها، لأنّ غيابها أو تغييبها هو جور نوعيّ مضاعف، وقد ورد في مأثوراتنا : «سلطان غشوم خير من فتنة تدوم».

وعندما تمّ تحويل الحاكميّة إلى الله على مقتضى الغرض الخارجيّ أي غرض طائفة الخوارج، ردّ عليّ بقوله «كلمة حقّ يراد بها باطل» يعني قولهم : «لا حكم إلاّ الله»، وصرّح عليّ: «لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر.. يؤمّن به السبيل ويُجبي به الفيء.. حتّى يستريح برّ أو يُستراح من فاجر». وكان قبلها قد أعلن التزامه بمتريّبات تشكّل السلطة من دونه، على قناعته بأنّه أجدر بالرئاسة فقال: «لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصّة» وبقي في صلب الاجتماع والدولة. فقال للمسلمين جميعاً وقتها، وللعرب وللشيعة الإماميّة الآن وغداً: إنّ قراءته للقرآن بتدبّر عميق قالت له: إنّ الإسلام والدين عمومًا لم يصف لنا دولتنا بأوصاف ثابتة، بل وصف لنا مجتمعاً بأوصاف ثابتة ومتغيرة، وبقيت الدولة في المنظور الإسلاميّ متغيراً، أهمُّ ثوابته العدالة والعدل بما هو انسجام وتكامل وحرص على الاختلاف كالحرص على التوافق.. إذن فلا تعبد بأيّ شكل من أشكال الدولة، لأنّها ضرورة اجتماع عامّ، لا خاصّ، طائفيّ أو مذهبيّ، ولا حزبيّ، فضلاً عن العائليّ.. وهي تقدّر دائماً بظروفها المتغيرة في الزمان والمكان والإنسان، بشرط أن تبقى مكاناً لاجتماع الهويّات الفرعية على هوية أصلية، ولكنّها مرنة ومركّبة ومفتوحة على الآخر المختلف ليُدخلها مرتاحاً إذا

الدستورية «شوراي نكهبان قانون أساسي جمهوري إسلامي» أحمد جنتي، بأن المواطنة لا مكان لها في الفكر والشرع والمشروع الديني الإسلامي، بل هي حيلة على الأنظمة السياسية والاجتماعية من أجل استدراجها إلى فضاء أممي إسلامي أي غيراني في المحصلة، حدوده حدود المطامح والمطامح الإيرانية التي شكلت دولتها أو دولها الوطنية الإيرانية باستمرار على رأس هرم كان شاهًا مرات عدة وأصبح وليًا للفقير مرتين ولا ندري حتى متى بعد، وبعد اكتشاف العقلاء لهذه المفارقة في الجمهورية الإسلامية التي تقدس الوطنية الإيرانية، وتؤسس وطنية الآخرين، وتستقوي بهم بالمصادرة إن كانوا من الشيعة، وباستلحاقهم وتحريضهم على أهلهم وأوطانهم إن كانوا سنة أو مسيحيين أو غير ذلك!!

\*\*\*\*

إن ما عرفناه من حروب (داخلية خارجية)، وما عرفناه من انكشاف في محيطنا العربي والإسلامي وفي تجربة المنظومة الاشتراكية على المستوى الدولي، وما نراه الآن من حركات وطنية عربية باتجاه الدولة المدنية، يلزمنا بترميم أو تجديد نظامنا السياسي بشرط أن لا نعود إلى سالف عهدنا في هذا المجال، أي التصدي لتغيير النظام السياسي، بعيدًا عن التغيير اللازم والكافي في نظام معرفتنا بالحقائق في الكون وفي ذاتنا وفي الآخر المختلف واكتشاف وكشف وتعزيز الشروط الوجودية والحضارية المتبادلة تكوينيًا وتاريخيًا بيننا وبين الآخرين، كلًا أو خفيًا، فإنه لا يلبث أن ينهض ليجدد قدرتنا على الإسهام في أي حل حضاري لتعقيدات الحاضر وأسئلة المستقبل.

هذا الكلام أو شبيهه، قد يصلح لكل البلدان العربية القادمة الآن على فضاء من الحرية الواسعة والمرصودة بالفوضى أو معاودة العدوان عليها من داخل أو خارج، إلى احتمال باستيقاظ متوتر للهويات الفرعية المتربصة والمستفزة، والتي قد تكون قابلة للتوظيف ضد أي مشروع نهوض حقيقي، إذا لم تتعزز المواطنة نصابًا يجمعها في الوطن والدولة، بدل اختزالها أو تهيمشها. (أقباط مصر وجماعات العراق غير الإسلامية أو العربية كلها.. الخ).

ولكن، هذا الكلام، يصلح للبنان أكثر، لأنه من المفترض أن يكون قد شبع على قرف من تجربة التشييت والتشتت، ومن الجهل والتجهيل، ومن التغاضي أو التسبب في فتح الثغرات في سياجه الوطني الوافي، لكي يتسرّب منها الآخر متسللاً أو في

بالعزل والإهمال أو القتل الجماعي بالكيماوي وغيره!! ونص القرآن واضح في هذا المجال «.. ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين، ولذلك خلقهم».. إذن فالاختلاف ناموس كوني لا يمكن إلغاؤه، بل يمكن تطويره من داخله وبوتائر وطرق مختلفة بين مكان ومكان وزمان وزمان.. ولكن بالدولة دائمًا وبالثقافة المجتمعية التي تخلق وتجدد الوعي بألوية الدولة على الطائفة حماية للطائفة بالدولة، وإغناء للدولة بالطائفة عندما يصبح وعيها بذاتها محكومًا بوعيها الوطني العام ووعيها للمشاركة داخلها فيها ومع غيرها، بتضييق لمساحة الاختلاف من دون افتعال. وديمًا، إذن، نحتاط من إلحاح أهل الفتن والشقاق ومقاولي الحروب على تنزيهه على الخلاف، تمهيدًا للصراع ومراكمة بشاعات الحروب وفوائدها الحرام لأهل الحرام، بحيث لا يمكن إيقافها في أي محطة، ولو مؤقتًا، إلا بالتنازلات غير المشرفة وإن كانت ضرورية، وقد كانت مشرفة لو تم تبادلها في حالة السلام قبل الحرب.. وكانت أقل كلفة من خسائر الحرب، أو تم هذا التبادل في بداياتها التي غالبًا ما لا تكون مفهومة حتى للمنخرطين فيها الذين يصبحون من ضحاياها.. إن التضييق الدائم لمساحة الاختلاف يؤدي إلى تقادي الحروب أو تأجيلها أو تقصير مدتها أو تقليل بشاعاتها أو سدّ الذرائع على التدخلات الخارجية فيها واستخدامها واستخدام نهاياتها لأغراض خارجية متعددة ومتواطأ عليها لدى الخصوم الذين يتنازلون عندما يتبادلون الحصص على بيادنا إذا اضطروا إلى التسوية التي تبقى أكثر تشريفًا لأطرافها وأكثر حفظًا لمنظومات القيم والأفكار والمصالح المشروعة، والاستمرار في إنتاج المعرفة الذي يقع على رأس حاجتنا ومعاناتنا من تعثره وحاجته إلى الحوار والوفاق ليوافق المستجدات ويسهم فيها.

\*\*\*\*

بالانتباه إلى أن الحروب لا تقوم إلا على فرضية الحق والباطل والحق بالحياة أو استحراق الموت، فإنها، ولكي تبرّر نفسها، لا بد من أن ترفع المدّس إلى مقام المقدّس. الطائفي أو العنصري، بما يعني ذلك من إطلاق العنان للتعميمات العصبية والخرافية المختلفة التي تعطل المعرفة وتحكّم النسبي الديني الذي جعلته ضرورات الحرب أو الفتنة مقدّسًا، تحكّمه بالمتغير السياسي النسبي لإبطاله بإنتاجه بأدوات الإطلاق والتعميم الإيديولوجي الديني أو الطائفي، أي الذي تنتجه الطائفة وتُسببه إلى الدين وتضعه في وجه الوطن والدولة والمواطنة، التي صرّح بعض كبار المشايخ المسؤولين في أعلى مراتب السلطة



الداخلية في بلده وموجبات ترميم زعامته الطائفية على حساب المحررين ومن جيوبهم.

\*\*\*\*

إنّ لبنان، ومن خلال تجربته المرّة والخاسرة مع الطائفية وأحزاب الطوائف أو الطوائف الحزبية، قادر ومضطر لتأسيس حزب الدولة الذي يقوم على كتلة تاريخية وبيادر إلى تسويات تاريخية مفتوحة على التسوية، وليس بحاجة أو لم يعد بحاجة، وما أظنّ أنّه قد كان بحاجة إلى أحزاب وطنية ولبنانية وتقدمية في النهار، وطائفية في الليل، هذا من دون قبول من قبلنا بأيّ قمع لأيّ تشكيل أو رأي أو نشاط حزبي.. ولكنّ أحزابنا الطائفية لو كُفّت مثلاً عن مجاملتنا بلغة غير طائفية ومراشقتنا أو رشقنا بالحصى أو الرصاص الطائفي، لكانت وكنا معها إلى خير أو لا إلى شرّ على الأقلّ، وحينئذ فإنّ أحزاباً طائفية لا تتصلّ من طائفيّتها مدهنة أو حلاً مؤقتاً للنزاع من أجل تحالف على دخل، لا يلبث أن يتحوّل إلى عداوة بين الأحزاب الطائفية التي تمدّه إلى طوائفها ليسود البؤس والنحس كلّ شيء. لو كُفّت الأحزاب كما قلت، فإنّ ذلك يصبح أدعى إلى تفهمها والتفاهم معها، من دون استبعاد غير موضوعي للخلاف أو جعله غير موضوعي بسبب التناقض المثير، وإن كان هذا الخلاف أوجع لنا ولهم، ولكنّه أقلّ ضرراً من إضمار الخلاف وإظهار الاتفاق. وإنّا هنا لنستعري انتباه هذه الأحزاب إلى فرار متكرّر لشخصيات ريادية من سياقها وشعور هذه الشخصيات بالانسجام والحرية وعودتها إلى طوائفها كمتّحدات غير تشويهيّة وغير مؤهّلة لمصادرة الحرية والسياسة النضالية الفكرية والعملية في الفضاء الوطني المفتوح.. ومن لم يرجع منهم إلى طائفته عاد إلى كتابه وحبره كالعلايلي مثلاً.

وهنا كذلك لا نجد داعياً للتردد في الإلحاح على هذه الأحزاب أن تتبصّر بتناقض مدمر وقعت فيه وفاقمت منه بالحرب، وهو أنّها تتخيّل أنّها تسلّم من الشمولية أو الأصولية إذا اختزلت حيويّتها بطائفيتها واختزلت طائفيتها بأنظمتها الحزبية، في حين أنّها تقع في شمولية كاريكاتورية مجرّنة أو مضحكة، وقد كان بإمكانها لولا كُموّن ومانيّة الغرائزية الطائفية، أن تدعي أنّها تجد نفسها ملزمة بالتطابق مع المعطيات اللبنانية من منظورها الخاص، فتقوم بعملية تلفيق مدروس لاضطرارها الموقّت إلى الصفة الطائفية واختيارها الحاكم والدائم للوطنية اللبنانية بكلّ مترتباتها ومن دون أن يكون ذلك داعياً أو سبباً للتقصير في حقّ أبناء الطائفة، المواطنين أولاً وأخيراً، لولا التشوّه الذي يتعرّض بالتشويه. إنّي هنا أعتقد من دون جزم بأنّ أكثر القيادات

وضّح النهار طلباً للنفوذ وزهداً بالدور الذي يسلتزم الشراكة وترسيخ الحدود الدقيقة والواضحة بين أيّ شيء وكلّ شيء.. احتياطاً من أن يطغى في لبنان وعليه أيّ مشروع غير لبنانيّ محض، وتشكّل لبنانيّته القاطعة شرطاً للتواصل الاختياري والتعاون والتكامل مع من يريد التضامن معه إذا اقتضى الأمر والنظر المدقّق، سواء كان هذا المشروع قومياً عربياً أو إسلامياً أو شيعياً أو سنّياً أو مسيحياً مارونياً أو أرثوذكسياً أو كاثوليكياً أو درزياً، ولكنّه من خارج الحدود، ما يستدعي يقظة أمنية وجمركية وأخلاقية، حتّى لا يتمكّن من إلغاء الداخل ببعض الداخل ممّن يلتقون معه في شيء ويفترق هو عنهم في أشياء، ومنعاً لتغوّل الخارج علينا ليعود من بعد فيتواطأ مع أمثاله، كما يحصل دائماً، على أساس ما يجمع بينهم وإن اختلفوا، من أنظمة مصالح متغيرة على حساب مصالحنا الثابتة.

ولبنان يصلح لهذا الكلام، لأنّه مكلف حضارياً بحمل رسالة راضٍ بالتكليف إلى حدّ اعتباره حقّاً من حقوقه مع إقرار الآخرين، سوى الحساد، بذلك الحقّ.. وهو كذلك ويبقى كذلك، وإن توقّف أحياناً، ورغماً عنه دائماً، عن كتابتها وإيصالها إلى من ينتظرها من أوطان التعدّد القادمة على أو الخائفة من أو المهذّدة بالتفكيك ودورة أو دورات من الاشتباكات العبيّية.

ولبنان ما زال رغم إهراق حبره ودمه، مطالباً وقادراً على اجتراح أطروحة ميثاقية أو تطوير ميثاقه بالتطبيق، على إيقاع جراحه وأوجاعه، وأحلامه بالعافية التي تُسهّم في معافاة الآخرين، بدل أن تُسهّم في إعضال أمراضهم المزمنة، وعادتهم المستقرّة على تحويل صدام الرأس اللبنانيّ مثلاً، أو غيره، إلى صراع أو عُصاب دوريّ.. وتدفع باللبنانيين إلى التكفير والتعويض عن فشلهم بتحويل لبنان عن مثاله المرتجى والممكن إلى كبش فداء مجانيّ ولا تحتاجه فلسطين إلا نابضاً بالحياة.. وتحتاجه الأنظمة المراوغة التي تريد أن تفاوض ولو من دون نتيجة، في تحقيق السلام العادل أو غير العادل، ولكنها تريد ذريعة على حساب غيرها، كالمقاومة اللبنانية المشكورة على ما أنجزت من دون منّة منّا عليها بالشكر.. على أنّنا لم نقصّر في شراكتها.. سواء كانت هذه الأنظمة تعارض المقاومة أو تدعمها بالمال أو السلاح أو التسهيلات المدفوعة الأجر سلفاً، والتي أغرت دولاً لها أرض محتلة أن ترى أنّ مقاومة غيرها بالاتفاق معها أكثر مردوداً عليها من مقاومتها وحتى من بناء دولتها. إلى ذلك، فإنّ هناك من يتبنّى المقاومة في كلّ شيء وكأنّها مشروعه الوطنيّ أو الأمميّ، ولكنه يعود إلى تفكيكها بما يملك من قرارها على مقتضى متغيراته في المصالح والرغبات والشهوات والتطوّرات

خاتمي أو أحمد جنتي مثلاً). وهذا الكلام ليس ضد الإسلام، تماماً كما أن تصريح أكثر من مسؤول تركي حالي بأن الإسلام التركي إسلام قومي (من Patrie لا من Nation) من دون داع إلى النفي أو الرفض، هو عبارة عن واقعية متكررة في تاريخ كل الأمم والشعوب، من دون أن تكون العلة فيها، بل في إنكارها علناً وكذباً والإصرار عليها وتضخيمها فعلاً وواقعاً. وأنا أذكر في هذا المقام أنني كنت بعد شهرين من نجاح الثورة الإيرانية على مائدة غداء مع الصحافي والدبلوماسي الفرنسي المعروف أريك رولو، الذي سألني قائلاً: أنا أعترف بأن ما أراه في إيران هو إسلام، ولكن أليس هو إسلاماً إيرانياً.. أو قومياً.. فردت عليه نافياً بحماس أممي شديد.. فسكت وقال: نتحدث في المستقبل. وبعد أشهر سألني عن صديقي جلال الدين فارسي، الذي مُنع من الترشح لرئاسة الجمهورية، رغم اتفاق الحزب الجمهوري عليه، لأن أنصار بني صدر في فريق الخميني اكتشفوا أنه فارسي، وكانت جنسية والدته أفغانية حتى وفاتها!!

وعليه، فإن أرثوذكسية قبطية أو أثيوبية أو بيزنطية أو عربية غسائية أو لبنانية أو سورية.. أو روسية.. ومسيحية أو كتلكة إيطالية أو برازيلية أو لبنانية أو إسبانية.. ودرزية لبنانية أو سورية أو فلسطينية وشيعية عراقية أو بحرينية أو هندية.. وسنية سعودية أو مصرية أو مغربية أو لبنانية أو سورية أو ماليزية أو أندونيسية أو تركية، أو غير ذلك.. ليست خطأ إذا استطاعت أن تشتغل على الملموس والخاص اللبناني مثلاً، ومن منطلق لبناني من دون قطيعة مع المكوّن الآخر الذي يصبح جامعاً بدل أن يكون مانعاً، إذا تمّ الوعي به في ظروف غير موبوءة بالعصبية التي هي غير الانتماءات التي تتعدّد في الفرد الواحد والجماعة الواحدة من دون أن تفقد وحدتها. يمثل هذا الجمع المنهجي، لا التلقيني، تصبح الطائفية محكومة بالوطنية، لا حاکمة عليها، كما تقتضي المصلحة الحقيقية والدور الحقيقي لأبناء الطوائف؛ وهذا يضمن أن لا تتحوّل الطائفة كما تحوّلت فعلاً بالطائفية، إلى مستحضر كيميائي فتاك يزيل الألوان الوطنية الجميلة من عيون الوطن والمواطن، ولا يبقى إلا على الأنياب والأظافر والمخالب.

\*\*\*\*

لا مانع لديّ كمواطن أمّن استقراره النفسي بخياره الوطني وأصبح أشدّ حباً لأبناء طائفته الذين أصبحوا كأبناء الطوائف الأخرى لا يحبون إلا من لا يحبهم من زعمائهم أو يحبهم، ولكنه لا يبالي كثيراً بما يدفونونه من ثمن حبه لهم وحبهم له..

الحزبية الطائفية غير المستفيدة أو المستفيدة قليلاً من انخراطها في أحزابها كخيار شبه إجباري يجنبها النبذ والإلغاء والفصال والفصل، أصبحت مقتنعة بالمنظور والملموس، بأنها ليست على الطريق الموصل إلى الوطن والحق والحقيقة والدولة، ما يفريها بالبحث عن دليل لولا عادات الجسد الحزبي وإغراءات المناصب والمكاسب، ولولا الإصغاء إلى النداءات التي تأتي من جهة الأحزاب الطائفية الأخرى لتجبرها على التعامل مع الواقع اجتماعياً وسياسياً على نفس القاعدة الدستورية المشؤومة، والتي أصبحت مسخرة في عصر العولمة وسيادة معايير الكفاءة الفردية كما هو مفترض وجار في بلاد أخرى من الله عليها بالقانون بدلاً من الرادع الذاتي المدعى والمهترئ في حالتنا وحالة هذا المشرق العربي والإسلامي.. وهكذا، لا يبقى لنا أن نتوقع أن تطوّر هذه الأحزاب الطائفية، تطوّراً نوعياً من داخلها ولا من خارجها، ولم يعد مستساغاً أو ناجحاً أن نفترض أن دماءً جديدة شابة وعالمة وطامحة، إذا أدخلناها إلى هذه الأحزاب، فإنها سوف تتغير.. كل ما في الأمر أنها قد تغير جلدتها في أحسن الأحوال، وتغرق الشباب بمحلولاتها الكيميائية الطائفية لتذبيهم فيها بدل أن تحلّ بهم وتحلّ فيهم كما حصل أكثر من مرّة، وخاصة بعد انتشار وباء الكيد والشتم الطائفي اليومي والاستعداد الدائم للفتنة.

\*\*\*\*

وفي كلّ حال، وبصرف النظر عن مفعول تمنياتنا وكلامنا النقديّ المنصف أو غير المنصف لازدواجية الأحزاب الطائفية في عقيدتها الطائفية المعطّلة وخطابها الوطنيّ المعطل، فإن بإمكانها، ولو جدلاً، أن تضع نفسها على طريق أكثر صواباً أو أقلّ خطأ، من خلال توطين طائفيتها أو إعادتها إلى نظامها الوطنيّ أفكاراً وقيماً وخطاباً ومنظومة علائق بالذات وبالآخر الشريك في الوطن من أجل دولة أقلّ فصلاً مع معطيات المعاصرة وضرورة الإدارة الحديثة للشأن العام.. فليس خطأ أن تكون هناك شيعة أو سنية أو مارونية أو درزية أو كاثوليكية أو أرثوذكسية لبنانية أولاً، أو متساوية في لبنانيتها مع طائفيتها مع أرجحية للبنانية على الطائفية في حالات التعارض.. وإذا كان الأصوليون أو الشموليّون الإيرانيّون يأخذون على تيار معين في إيران أنه يتكلّم عن دين إيراني لا هو إسلامي تماماً ولا هو شيعي تعريفاً، فإنهم غير منسجمين إلا مع شعاراتهم القابلة للاختراق كلّ لحظة، كما حصل، لأنهم أشدّ غلواً في هذه المسألة من الذين يجاهرون بها (مشائ مثلاً) في مقابل (أحمد

لا على القرب ولو لأدنى خلاف أو اختلاف..  
لقد بدأت الحرب في لبنان بين اللبنانيين والفلسطينيين في  
قول، وبين اليسار واليمين، وبين المسلمين والمسيحيين في  
قول آخر، إلى أن تقاتل اليمين مع اليمين وتقاتل الحزب اليميني  
من داخله، وكذلك اليسار وفروعه، وكذلك المسلمون بفروعهم  
السنيّة والدرزيّة والشيعة، وكذا الأصول والفروع الفلسطينية  
التي لم تتس أن تتقاتل في داخلها أيضاً.. ودائمًا كان الدروز  
متصارعين على الطائفة بلغتين، وقد تقاتلوا أكثر من مرة  
بدءًا بالقيسي واليماني، وكانوا إلى زمن قصير مضى، على  
حافة الاقتتال، لولا أن الخوف من أعدائهم كان شديدًا جدًا  
فجمعهم.. وتقاتل الأحرار مع القوّات، وتقاتلت القوّات مع بعضها  
ومع التيار، وكاد الفرعان في حزب الكتائب أن يتقاتلا ولكن  
الله ستر.. وسيبقى الحال في لبنان هكذا أو أسوأ إن لم تبادر  
الأحزاب الطائفية إلى توطين ذاتها ووجودها.. على صعوبة هذا  
الرجاء، وصعوبة أن تكفّ بعض الأحزاب المغالية في علمانيّتها  
أن تلجأ إلى الأحزاب الطائفية وكأنّها وكيلة تفليستها! لقد شارك  
الأرثوذكس الذين لا حزب لهم بالمعنى الناجز، في القتال  
جزئيًا، كأفراد أو جماعات جمعها المزاج اليميني أو اليساري،  
ما يدلّ على أن الأرثوذكس لم يرفعوا بعد مشروعهم الخاصّ على  
ظهر حزبهم الأرثوذكسي، هذا مع انقسام ملحوظ في صفوفهم  
من دون أيّ واقعة عنف أو نية ظاهرة بارتكابها.  
وعليه، فالمسلك الأرثوذكسيّ يمكن أن يكون عبرةً وطنيّة، مع  
الملاحظة بأنهم لم يخسروا بهذا المسلك كثيرًا.. وما يصدق  
على الأرثوذكس قد يصدق على الكاثوليك، ربّما لأنهم (روم  
ملكيتون) متحدرون من شراكة ثيولوجية ولتورجية وروحية مع  
الأرثوذكس قبل حرب الأيقونات خصوصًا، ولعلّ من هنا هذا  
التشابه بين المسلك الجمهوريّ الأرثوذكسيّ والمسلك الجمهوريّ  
الملكّي الكاثوليكيّ.

كلّ هذا الكلام هو غيرُ الحبّ والاحترام والتواصل مع الجميع كما  
هم من دون ادعاء بالتنازل أو التسامح الاستعلائيّ، ولولا الصدورُ  
المفتوحة والأذانُ المصغية في كلّ حيّز حزبيّ، طائفيّ أو شبه  
طائفيّ، لما كان لنا أن نتباهى بأن حوارنا لم ينقطع ولن ينقطع.  
وإذا ما كنت شخصيًا أشكو من شيء، فإنّي أشكو من السائد  
السياسيّ في طائفتي كما يشكو أمثالي من السائد السياسيّ في  
طوائفهم، وقد تخلّص منّي هذا السائد بأن نفاني، وقبلتُ النفي  
بحماس شديد، إلى جزيرة الحوار اللبنانيّ والعربيّ، فأتاح لي  
هواء أنقى وأعذب وأبقى.. وإن كان حنيني لا ينقطع إلى رعيلى

لا مانع لديّ، لو كنت أملك القرار لا مجرد الاعتراض أو القبول  
بالأمر الواقع، أن أسمح للأحزاب الطائفية أو أساعدها على أن  
تسرح وتمرح في فضاء الوطن ليل نهار، بشرط أن يكون ذلك  
تحت سقف الدولة بما هي قوانين من حقوق وواجبات وعقود  
وموجبات ومسؤوليات.. أمّا أن تلعب على خاطرها في منزل  
الدولة وتعبث بأساساته ومحتوياته.. فلا.. لأنّي وكما أني مصرّ  
على حرّيتها، فإنّي مصرّ أكثر على حرّيتي التي لا تتمّ إلا بإطاعتي  
وإطاعة الطوائف وأحزابها للقانون الذي يحررنا من الرقّ ومن  
الشهوات والنزوات والغرائر التدميرية بأنانيّاتها وفلتانها حيث  
استطاعت.. ولقد مللتُ من إغراء الغير لي وميلي الذاتيّ أحيانًا  
بسبب الغيرة من المخالفين للقانون.. مللتُ من لوم الكثيرين لي  
على إصراري على ضعفي بعدم مخالفة القانون العامّ من خلال  
الالتزام بقوانين الطائفة التي تصبح مع غيرها بيانًا عمليًا عن  
إسقاط الدولة بإسقاط العادات والأعراف والنزوات الطائفية  
على القانون العامّ، وإسقاطه بذلك على رأس الناس والدولة  
واستلحاق أو استهلاك القضاء الذي هو الاحتياطيّ الذهبيّ في  
بناء الدولة والوطن كما أخبرنا تشرشل في نهاية الحرب الثانية  
ودمار بريطانيا المنتصرة حيث اطمأنّ إلى المستقبل عندما  
أخبروه أنّ القضاء ما زال سليمًا وحرًّا.. هذا يأتي منه مبدأ  
فصل السلطات واستقلالها- ما لا ترضى به الطوائف وأحزابها-  
والذي إن لم يطبق من دون نقص أصبحت السلطات كلّها سلطة  
فوضوية واحدة كالحلقة المفرغة لا يُدرى طرفاها.. ويصدق  
عليها ما يتردد في مواقع الاستنباط الفقهيّ من أنّه إذا تعدّد  
المالك اضطرب الملك.. وأصبح القانون إغراءً بالعدوان عليه.  
نحن بشر كسائر البشر، لنا كراماتنا الشخصية ومشاعرنا  
وآملنا وآمالنا وأذواقنا وأشواقنا التي لا تختزلها الجماعة  
العنصرية ولا الدينية ولا الطائفية ولا المذهبية، وهذه الجماعة  
أو تلك لن تحميّا (زورًا) إلا إذا قرّرت أن تُسقط الدولة لتخيفنا  
وتعيدنا إلى كهوفنا المعتمة، ولن يحمينا صدقًا إلا الدولة التي  
نحميها لنحتمي بها لأنّها الحامي الأول بعد الله وهي أداة الذات  
والإرادة الإلهية في حمايتنا لا ظلّ الله ولا ظلّ الأنبياء على الأرض  
أو علينا، فإنّ قصّرت في حمايتنا أسقطناها كمواطنين من أجل  
حمايتنا لا من أجل طائفتنا.

وفي كلّ الأحوال، فإنّ حماية الجماعة، الطائفية خصوصًا،  
لأفرادها، خادعة ومراوغة وحاشدة بالأخطار، لأنّ العصبية التي  
تفصلك عن البعيد نسبيًا لا يمكن أن تصلك بالقرب نسبيًا، لأنّه  
بعيد نسبيًا إذا شئت أو إذا شاءت الطائفة أن تحاسبه على البعد

أو منبتي السوسولوجي أو الإنثروبولوجي، مع إصراري على أن بإمكانني ورغبتني أن أحبه أكثر إذا ما بقيت معانداً لسلوكيات القطيع الذي قلت أكثر من مرة بأنّي أفضل قطع رأسي فضلاً عن رزقي على الإلتحاق الأعمى به، ما جعلني أبدو وكأنني فيه ولسْتُ منه، وأتمنى أن أصبح منه ويصبح منّي بالمواطنة، مؤمناً بأنّي أسهم في خلاصه أكثر ممّا يسهم الآن في خلاصي، أي إنّه الآن بحاجة ماسّة إليّ، وإلى أمثالي من السابحين ضدّ التيار موطّنين أنفسهم على الخسارة من أجل الوصول إلى نبع الحقيقة، هناك في أعلى الجبل حيث ينبع نهر لبنان؛ وهذا مبنيّ على قناعاتي بأنّ الخلاص، في الدنيا والآخرة، فرديّ، وفي القرآن أكثر من دليل على ذلك، وفي الإنجيل كذلك، وخلاف ذلك خلاف للعدل الإلهي الذي به يتمّ توحيد الله.. وعليه، فإنّي لا أرى ولا أنشد خلاصي في جماعتي.. بل في دولتي التي تنتمي إليّ بصفتي فرداً وشخصيّة قانونيّة ماديّة، ومعنويّاً أنتمي إليها كشخصيّة قانونيّة ماديّة ومعنويّة حاضنة وحامية.. هذا وأنا من أهل التوحيد، لا أكفر أحداً، ولكنّي أرى أنّ التوحيد يكون صادقاً وحقيقيّاً بمقدار ما يتجلّى أو يتجسّد في الوحدة التي لا تلغي أحداً من أطرافها، لا بناءً على معيار العدد أو القوّة أو الإستقواء بالامتداد السرابي العابر للكيان والوطن، بل بناءً على معايير الدور والمعنى الوطنيّ، حيث تصبح الأقلّيّة أكثريةً بالدور والمعنى الذي تختاره وتحبه، وتصبح الأكثرية أقلّيّة معنويّة وحتى ماديّة إن شاءت استثنائاً أو تغلباً أو إلغاءً لا يلبث أن ينقلب مردوده عليها كما حصل في لبنان مع الموارنة ثمّ مع السنّة، وكما بدأ بالحصول مع الشيعة إن لم يعتبروا، وأرجو أن لا يفوت الأوان لاستخدام العقل والحكمة في الحلّ.

وعليه، فإنّ الطائفيّة هي التي تنحدر بالمعنى إلى العدد، هذا مع احترامي للأعداد لأنّها طاقات وطنيّة، إلّا أنّها ليست كلّ شيء.

«تعبّرنا أنّنا قليلٌ عديداً فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلٌ»

وقد يكون العدد وبالاً إن لم يكن النوع هو الحاكم. والنوع هو لمن يختار النوعيّة، وليس حكرّاً على أحد. وقد ثبت في الحرب أنّنا جميعاً متساوون في التخلف، والتحدّي أن نتساوى في التقدّم الذي شرطه السلام الأهليّ والدولة المدنيّة.

وفي مأثورنا النبويّ قول الرسول (ص) «أرايتم إذا تداعت عليكم الأمم كتداعي الأكلّة على القصعة؟ قالوا: أمن قلةٌ يا رسول الله؟ إنّها كثرة ولكن كغناء السيل». وغناء السيل هو ما يحمله من أو شاب وأشياء مبتذلة لخفتها وتشتتها ووقوعها على قارعة طريق السيل أو مجرى النهر المتدفّق أو البحر الهائج الذي

يتخلّص منها وي طرحها على الشاطئ باهتةً كريهةً وبعيدةً عن حركة الأعماق.. وفي القرآن الكريم: «أهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر.. كلاً سوف تعلمون»، ولذا، فإنّي أتمنى على أحزابنا أن لا تغترّ بالكثرة، لأنّ الحزب الشيعويّ الروسيّ كان عديده مليوني عضو بالعضويّة الطوعيّة أو القهرية.. فكم تبقى منهم بعد انفجار الأزمة، وماذا تبقى من أحزابنا القوميّة واليسارية؟ وأين ذهبت قاعدتهم، وأين ذهبت قيادتهم؟ وأتمنى على أحزابنا الطائفيّة أن لا تُضطرّها كثرة الأعداد أو قتلها فتذهب إلى المقابر، تُعدّ قبور الذين مضوا من الطائفة إلى ربّ الطائفة.. لتتأكد (أي الأحزاب) بذلك ممّا نقص من أعدادها أو أعداد طوائفها أو زاد، بالحرب أو بلوغ الأجل أو بلوغ الرشد، وتعيد ترتيب حساباتها بشكل خاطئ مرّة ثانية أو عاشرة، ولتنتبه هذه الأحزاب إلى إسهامها في تآكل الدولة واهتزاز مفهوم الوطن بعدما جعلت الطوائف أوطاناً بديلةً تقتضي أن تكون لها دولها البديلة.. ولقد أكلت الأحزاب الطائفيّة في ما أكلت، طوائفها، وهي تظنّ وتحاول أن تقنعها بأنّها تطعمها من جوع وترويه من ظمأ ماءً عذباً زلالاً هو مصلّ دماؤها التي تذهب هدراً.. حتى أصبحت الهجرة امتيازاً وبمنزلة إخلاء السبيل من ماضٍ قريب وحاضر مريب ومستقبل كئيب.. كسجن رومية مثلاً!!

قد تكون ولا أدري كيف تكون الأحزاب الطائفيّة أو أحزاب الطوائف أو الطوائف الحزبيّة عوامل مساعدة على إلغاء الطائفيّة، ولكنّ الحاصل حتى الآن في لبنان، أنّها كانت حوافز ومنشطات لاستمرار الطائفيّة، وظهورها وكأنّها قدر وقضاء من الله، كلّما لاح في الأفق احتمال بالتغيير، فتعيد الأحزاب الطائفيّة العظيمة والعنيدة، إنتاج الطائفيّة وتجديدها وإنتاج ذاتها أصولاً وفروعاً منشقة، بها، على كثير من الانكشافات المتأتية من ضعف برنامجيّتها أو غيابها التام، بالمعنى الوطنيّ، أمام قوّة عقائديّة متججّرة لم تصنع ولن تصنع نهوضاً ولا تقدماً ولا حضارةً، لأنّها تأكل الحضارات أو تجوّفها.. ولم تؤثر هذه الانكشافات في عقل وأداء الأحزاب الطائفيّة، غير أنّها التقطت المفتاح وشاركت بعض اللاطائفيين في تخويف الطائفة من الطائفيّة.. إنّ هذه الحالة تقول لنا: إنكم لا بدّ أن تنتظروا من دون أن تقعدوا أو تستقبلوا، ما يتوالى من تبدّلات وتبديلات معقّدة أحياناً، حول لبنان وفي أعماقه العربيّة، التي سوف تتحوّل أو قد تتحوّل من داعمة لطائفة على طائفة إلى داعمة للدولة المدنيّة، لأنّها أصبحت دولاً بالمعنى المدنيّ، وإن كان هذا المعنى ناقصاً فهو يستكمل بالحرية والعدالة.. وعندي شاهد

وغيرها.. في حين أننا لا نفهم تماماً أسباب الالتباس المتمم  
 لحركة التوحيد الإسلامية.. أو قل: إننا نفهمه!!  
 هذا وقد كان الرئيس الشهيد رفيق الحريري الآتي من عالم  
 الأعمال، الذي ليكون ناجحاً لا بد له أن يكون عابراً للحدود  
 من دون تتصل من طائفته أو كيانه الوطني، والآتي من ذاكرة  
 قومية ومن أيام صفائها وجمعها للمختلفين طائفيًا ودينيًا على  
 فلسطين والوحدة، كان قد ناقش طويلاً وانتهى إلى قناعة بأن  
 إنشاء حزب سنّي طائفي بقبّة أو ثياب وطنيّة أو مدنيّة أمرٌ معقد  
 جدًّا وقد تأخر جدًّا.. وهنا فكر بأن يكون حزب المستقبل كما  
 هو المستقبل الآتي ولو بعد حين.. وطنيًا.. وعندما دقّق، ورأى  
 الاصطفاف الطائفي أخذًا بالتكامل على الرغم من الطائف  
 والشروع في بناء الدولة على أساسه.. أصبح على يقين بأنّ حزبه  
 لن يكون إلا حزبًا طائفيًا.. واستهشده من دون أن يؤسسه..  
 × يلاحظ في هذا النصّ أنّ الأمثلة المضروبة للأحزاب  
 الطائفية تقتصر تقريباً على الكتائب اللبنانية والحزب التقدمي  
 الاشتراكي، لمشاركة ركنين منهما في الندوة.



وسأل الأب بولس وهبه: هل التحركات ضدّ الطائفية هي لا  
 طائفية بالكامل؟ ليحيب:

أودّ أن أبدأ بالقول بأنّ الطائفية ليست هي كلّ المرض في لبنان،  
 بل العصبية وقلّة الديمقراطية، والثانية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً  
 بالأولى. فالعصبية، كما عالجها ابن خلدون ودرسها الكثير من  
 علماء الاجتماع والنفوس والسياسة، هي إعلاء الارتباط بالجماعة  
 التي نطنّ أو نعتقد بأننا ننتمي إليها فوق ارتباطنا بالوطن أو حتّى  
 بالإيمان. فمثلاً، يرتبط اللبناني بعصبية متعدّدة، بشكل مواز أو  
 متدرّج، من العائلة إلى الضيعة إلى المنطقة إلى الطائفة إلى الدين  
 وإلى الحزب؛ (وهو عصبية بالمعنى المطلق للكلمة في لبنان).  
 لذا، فإنّ مقارنة موضوع الطائفية لا يجب أن يبدأ من فراغ، أو  
 كأنّ التعاطي معه يمكن أن يتمّ بمعزل عن دراسة البنية العصبية  
 الشبكية والمتشابكة التي يخضع معظم الناس لها. الطائفية هي  
 إحدى هذه العصبية ومعبّر عنها في كثير من الأحيان، إن لم  
 نقل مختزلة لها في الكثير من طرائق التفكير والتعبير والعمل  
 والتوجّه. وإن أردنا أن نتصدّى لمقاربة موضوع العصبية بشكل

على هذه الخاتمة الإشكالية وهو أن (الحركة الوطنية اللبنانية!)  
 وقيادة كمال جنبلاط! قد تقدّمت ببرنامجها المرحلي  
 للإصلاح في لبنان مع المحطّات الأولى للحرب شبه اللبنانية  
 وشبه الخارجية، وفي بنوده إلغاء الطائفية السياسية، فردّ رئيس  
 ومؤسس حزب الكتائب بيار الجميل قائلاً: ولماذا فقط إلغاء  
 الطائفية السياسية؟ ولنتفق على العلمنة الكاملة، فهبت الحركة  
 الوطنية هبة رجل واحد وشطبت البند المذكور من برنامجها..  
 هل هي معادلة لبنان: يسار يطالب بإلغاء الطائفية السياسيّة  
 متجاوزاً العلمنة وهو علمانيّ حسب دعواه، ويمين يردّ بالعلمنة  
 وهو طائفيّ علناً؟ ويضبطان معاً في وكر الطائفية!!

\*\*\*\*

ختاماً، لماذا يريد زعماء الطوائف وقادة الأحزاب الطائفية  
 أن يحملوا طوائفهم من بلد إلى بلد، ويستجدوا دعماً لهذا  
 على ذلك ولذاك على هذا وللاثنين معاً على الشعب والطوائف  
 والدولة؟ وماذا سوف يفعلون الآن وقد سقط الكثير من الحكام،  
 وكثير على أهبة السقوط، وكثير منتظرون.. فماذا هم فاعلون؟  
 أولاً يتعظون؟ ويكفون عن الكلام الحرام والأكل الحرام والأمن  
 الحرام، بخطاب وطني جامع ومصالح مشروعة بكونها مشتركة،  
 وأمن حقيقي يغدو فيه كل مواطن وكل جماعة وطنية مصدر  
 طمأنينة وأمان للمواطن الآخر أو الجماعة الأخرى.. ويجني معاً  
 فوائد طيبة حلالاً أو قليلة الحرام.. وتسقط أو هام الغلبة الدائمة  
 المستحيلة وباهظة الكلفة.. والتي لا تعدو أن تكون أكذوبة لا  
 تطلّي إلا على الجهلاء بالتاريخ وقوانين الاجتماع وسنن الحياة..  
 ولي ملاحظة أخيرة وهي أنّ أول الأحزاب الدينية في لبنان  
 تأسيساً لعلها الجماعة الإسلامية (الإخوان المسلمون) وهي  
 تكاد في خطابها وأدائها أن تكون قليلة الطائفية لولا اضطرابها  
 إلى الإلتزام الفقهي السنّي الذي ليس بإمكاننا أو من شأننا  
 المصادرة عليه، ولولا أنّ عديدها في كلّ المراتب هو عديد سنّي  
 على أتمّ صفاء.. ولكن هذا لم يمنعها أن تستوعب المتغيرات في  
 الفكر، وفي الواقع العربي والإسلامي وتطوّر رؤيتها لتحوّلها، كما  
 في وثائقها المتأخّرة، من العقائدية المحض إلى البرنامجية  
 على خلفية عقديّة غير خفية، ولكنّها أقلّ تقيداً وتقييداً.  
 هذا في حين كان بإمكان السنّة خارج الجماعة أن يبقوا بمنأى  
 عن الأحزاب الطائفية، بعدما آل مأل حركة «المرابطون»  
 بالإكراه إلى ضعف لم يعدم الآن من يمهده بأسباب القوة!! هذا  
 فضلاً عن حركة التوحيد التي تشبه مصر من حيث وصفها-  
 أي مصر- بأنها سنّية المذهب شيعية الولاء لأسباب فاطمية

وافٍ، علينا أن ندرس ما الذي جعل الانتماء في لبنان يأخذ هذا الترابط العنكبوتي والراسخ في غالب الأحيان. قد يكون ضعف تركيبة الدولة هو السبب، أو غياب القوانين التي توحد المواطن تحت سلطة واحدة، أو قلة التربية على مفهوم واحد للهوية والانتماء، أو كل هذا معاً وغيره مما شابهه.

إن القول أن الطائفية (لوحدها) هي المرض هو تشخيص خاطئ للداء، لأن الطائفية هي أحد مظاهره أو تجلياته. وهي، كما أسلفنا، مترابطة مع عدة عوامل أخرى، الجامع المشترك بينها هو الانتماء إلى ما هو مباشر، أو لنقل إلى ما هو ليس البلاد التي نقول إنها بلدنا، لبنان. فهل يُعقل اليوم أننا لم نستطع بعد تعريف الهوية اللبنانية لأنفسنا - وإن كانت قد صارت معرفة في متن مقدّمة الدستور؟ فلا يزال البعض يقول أنه عربي، والبعض الآخر من أصل فينيقي، فيما يسارع البعض، وقد عاينت هذا بألم العين، إلى القول عند حصوله على جنسية أخرى، الكندية مثلاً: إنه كندي من أصل لبناني، فيما الأصح أنه لبناني يحمل الجنسية الكندية. وهذا ظاهر في استخدامنا للغة في يوميّاتنا، فبيما يبادرك الواحد بـ Hi والثاني بـ Bonjour والثالث بالسلام عليكم، نفقد الجامع في اجتماعنا. فأنا مثلاً، عندما زرت تونس، المستعمرة من قبل الفرنسيين والتي طبعها الثقافة الفرنسية حتى العظم، لم أسمع أحداً يحيي الآخر إلاّ بعبارات عربية تونسية.

لذا، فإن ضعف الانتماء الجامع يقوّي العصبية، وإحداها الطائفية. فالطائفة ليست كياناً دينياً، بل هو تكتل أو تراصف اجتماعي مجتمعي يتوسل وحدة العادات والتقاليد والأصل المتخيل (في معظم الأحيان) فيعطي انتماءً ضيقاً للذي يفاخر بالانتماء إليه. كان أحد جيراني، وهو مسيحي (وتستطيعون القول هذا عن بعض أبناء كل الطوائف): أنا لست مؤمناً لكنني متعصب. فاللبناني يبدأ اليوم، في كثير من المرات، حين يتعرّف على آخر، بأسئلته المتدرّجة كالتالي: من أية عائلة؟ ضيعة؟ منطقة؟ طائفة (وكثيراً من الأحيان لا يصل إلى هذا، لأنّ الأسئلة السابقة دلّته عليه). لكي يستطيع تصنيف الآخر، والتصنيف كثيراً ما لا يتوسل الطائفية للانغماس في العصبية، ألا تسمعون أحدهم يقول عن أبناء ضيعة مجاورة: كلهم هيك، أو عن أبناء عائلة معينة أمراً مشابهاً، أو عن أهل منطقة الكلام عينه؟ أوليس المسيحيون، والموارنة تحديداً، منقسمين؟ والانقسام، كثيراً ما يكون حول شخص القائد أو معه، ولكنه يخفي بعداً مناطقياً أو حزبيّاً ضيقاً أو غيره.

إذاً ما العمل؟ تعريف الهوية، وعدم اللجوء إلى الضيق في انتمائنا، وتقوية الدولة؟ بالتأكيد. ولكن، المطلوب أيضاً هو التدرّب على الديمقراطية، التي ليست نظاماً سياسياً، بل النظام السياسي هو انعكاس للديمقراطية، التي يجب أن تبدأ في البيت وتكتمل في المدرسة، وتتسحب على مفهومنا لحقوق الغير والملكية الفردية والعامّة والاحترام وغيرها من المتشابهات. الديمقراطية هي شرط أفول العصبية الأساسي، وهي حافظة الاستمرار في درب المواطنة.

قد تقولون أنني إلى الآن لم أقارب الموضوع الذي انتدبت للتكلّم عنه: هل الحراك ضد الطائفية السياسية هو حراك بريء من التلوث أو الدافع الطائفي؟ جوابي، من ضمن ما عرضته: لا أعتقد ذلك، لأنّ المتحرّكين، وإن كان الكثير منهم تدفعه دوافع نبيلة، ليس متأصلاً على مفهوم المواطنة بعيداً عن العصبية، ولا هو متأصل كذلك في الممارسة الديمقراطية الحوارية. أضف إلى ذلك أن عدداً ليس قليلاً من هؤلاء الشباب منتمون إلى أحزاب طائفية أو يدينون بالولاءات الطائفية (والعصبية عموماً)، وهذا عائق كبير جداً ضد ما يرفعون شعاره. كما أن الحراك هذا، والذي يضع الإصبع على الطائفية فقط، لم يقدّم بتشخيص حالة المريض (البلد) بالكلية، كما أسلفنا؛ ولا هو، بناء على عدم إجراء هذا التشخيص، قام بإبتداع مشروع للعلاج أولاً للخروج من الحالة التي نتخبط فيها.

إنّ النوايا الحسنة لا تكفي، وقلة الابتعاد عن العصبية لا تدفع الحراك قدماً. فالدواء هو العلمنة (وليس العلمانية، لكي لا ننسب بالإحراج لأحد)، أي فصل الدين عن الدولة أو عن الحيز العام للدولة وممارساتها، والذي لا يمكن أن يحصل إذا لم يتمّ الإقرار بأنّ العصبية هي التي تشلّ البلاد. فالخلاف، مثلاً اليوم فيما نحن نحاول الخروج بحكومة، ليس فقط الحصر الطائفي وكلّ المناطقية والحزبية وغيرها. العلمنة تعني: الكلّ سواسية تحت سقف قوانين موحدة، ولنا أن نجلس معاً لنقول ما هي إن امتلكتنا الشجاعة على الإقرار بالداء. فقط عندها، نستطيع أن نصل إلى إلغاء الطائفية، التي هي طوائفية العصبية.

الطبقة السياسية قادرة على علمنة المجتمع، ما دامت الطائفية، معطوفة على الفساد، هي الرأسمال الأساسي لغالبية أركانها. واللافت أنه قبل أن يطالب سياسيون مسلمون ويساريون حديثاً بإلغاء الطائفية السياسية، رفض سياسيون مسيحيون قديماً اعتمادها أصلاً. وثائق المجلس النيابي تكشف أن النائب الماروني، ابن فتوح كسروان، جورج زوين، اعترض على المادتين ٩٥ و ٩٦ من الدستور اللبناني الأول لدى مناقشته في ٢٢ أيار سنة ١٩٢٦، لأنهما تكررسان الطائفية السياسية. وتكشف هذه الوثائق أيضاً أن إميل إدّه طالب أثناء مناقشة حكومة الشيخ بشارة الخوري في ١٤ أيار سنة ١٩٢٧ «بوجوب القضاء على القاعدة الطائفية في توزيع المناصب ما دامت حقوق جميع الطوائف محفوفة ومحترمة في البرلمان، لأن التقيد بالطائفية في التوظيف يقتل الأهلية ويقضي على المساواة بين المواطنين». ولما وضعت حكومة الاستقلال سنة ١٩٤٣ بيانها الوزاري الأول، تخطت إلغاء الطائفية السياسية، ودعت إلى إلغاء الطائفية ككل مستقبلاً، حيث وردت في البيان الجملة التالية: «إن الساعة التي يمكن فيها إلغاء الطائفية هي ساعة يقظة وطنية شاملة مباركة في تاريخ لبنان، وسنسى لكي تكون هذه الساعة قريبة بإذن الله». ومذ ذاك لم يأذن الله.

أما في اتفاق الطائف، فجاءت صياغة المادة ٩٥ من الدستور ملتبسة؛ ففيما تذكر المادة أن «على مجلس النواب اتخاذ الإجراءات الملائمة لتحقيق إلغاء الطائفية السياسية وفق خطة مرحلية وتأليف هيئة وطنية»، تحدد المادة نفسها لاحقاً أن مهمة الهيئة المذكورة «هي دراسة واقتراح الطرق الكفيلة بغية إلغاء الطائفية».

من دون الارتباب بحسن نية الشخصيات المارونية التي اعترضت في عشرينات القرن الماضي على اعتماد الطائفية السياسية، نلاحظ المعطيات التاريخية التالية: غالبية النخب العلمية آنذاك كانت مسيحية. عدد المسيحيين كان راجحاً. الانتداب الفرنسي كان قائماً. وبشاره الخوري وإميل إدّه كانا يتنافسان على كسب تأييد الشارع الإسلامي. وحين عادت فكرة إلغاء الطائفية السياسية في سبعينات القرن الماضي، ترافقت مع اندلاع الحرب الفلسطينية السورية اليسارية على لبنان بمسيحييه ومسلميه، وجاءت في سياق مخطط رمى إلى إضعاف الحالة المارونية- أي المارونية السياسية- في الدولة اللبنانية، والاستيلاء على الحكم، وتغيير النظام، وتميرير توطين الفلسطينيين. إن معطيات سبعينات القرن الماضي أصبحت



وجاء في مداخلة الأستاذ **سجان القزبي**، نائب رئيس حزب الكتائب اللبنانية:

الطائفية السياسية موجودة لأن هناك طائفية حضارية وثقافية وتربوية واجتماعية واقتصادية ومالية وأمنية وعسكرية. فلماذا يطالب البعض بإلغاء طائفية واحدة، والإبقاء على الطائفيات الأخرى؟ وخصوصاً أن الطائفية السياسية هي المصّب، والطائفيات الأخرى هي النبع الدافق. الطائفية السياسية هي المصباح المضيء، والطائفيات الأخرى هي المولد الذي يغذيه بالتيار الكهربائي. وإذا كانت كل هذه النوعيات الطائفية قائمة في مجتمعنا، فلا تكون الطائفية إذن عارضاً مرحلياً، بل حالة أصيلة وقديمة في الشخصية اللبنانية التاريخية. وإذا كانت الطائفية مكوّناً أساسياً في تاريخنا، فهي مرتبطة بالحالة الدينية في الشرق، نظراً للتواصل الطبيعي بين لبنان ومحيطه. وإذا كان اختلاف التفسير الفلسفي للألوهية و/أو الصراع على السلطة- وقد تخطأهما الزمن- أفرز الطوائف والمذاهب، فالاضطهاد الديني- وهو مستمر- ولّد الطائفية السياسية بمفهومها الكيانى الشمولي، لا بمفهومها اللبناني الموقت. ثلاثة استنتاجات مما تقدم: أولاً: لا فائدة من إلغاء الوجه السياسي للطائفية من دون معالجة جوهر الطائفية المتعدّد الأوجه؛ الجزء لا يلغي الكل. الثاني: لا قيمة لإلغاء الحالة الطائفية العامة في لبنان وحده ما لم يُتمد نظام الحياض اللبناني، وإلا ستسقط العلمنة بفعل التأثير المتبادل بين المكوّنات الاجتماعية اللبنانية والحالات المذهبية في الشرق. ثالثاً: من الصعب الانتقال إلى العلمنة من دون الانتقال إلى الحالة الوطنية. ومن المستحيل بلوغ الحالة الوطنية من دون الولاء المطلق للوطن والاتفاق على هويته ودوره ورسالته. وهو أمر لا يزال يعتره اختلاف والتباس وعموض وخبط متبادل.

اللافت حالياً في إلغاء الطائفية السياسية أن المشروع الجديد طرحه السياسيون قبل المفكرين. هذا لا يعني أن السياسيين الحاليين في لبنان علمانيون، بل أن الطرح هو وليد رغبة بالهيمنة وليس وليد دافع إصلاحى. نكون واهمين إذا اعتقدنا بأن هذه

نقيض معطيات عشريناته، إذ تحوّل لبنان من دولة ذات وجهٍ عربيٍّ إلى وطنٍ عربيٍّ الهويّة، وانخفض عددٌ مسيحيّيه، وفقدت دولة الاستقلال قرارها الحرّ وسيادتها على أراضيها وحدودها. ويضاف إلى كلّ ذلك، بروزُ جهاديّةٍ شيعيّةٍ مسلّحةٍ في لبنان وإيران، وأصوليّةٍ سنيّةٍ متطرّفةٍ في لبنان والعالم العربيّ. تجاه هذه التحوّلات، تُشكّل محاولةٌ إلغاء الطائفية السياسيّة اليوم، خطوةً جديدةً في مسيرة تثبيت هيمنة مكوّن طائفيٍّ واحدٍ على سائر مكوّنات الوطن اللبناني، ما يهّمش كلياً دور المسيحيّين، وبالتالي صيغة لبنان ورسالته في هذا الشرق. إنّ لبنان بحاجةٌ إلى إلغاء السياسة الطائفية التي هي مشروع علمانيّ، وليس إلى إلغاء الطائفية السياسيّة التي هي مشروع طائفيّ. لكنّ أتى للبنان أن يسعد بالعلمنة، والمنسوب المدنيّ تراجع في الحياة السياسيّة اللبنانيّة. فمنذ اندلاع الحرب في لبنان سنة ١٩٧٥ تضاعف الانقسام الطائفيّ والفرز المذهبيّ أفضيلاً وعمودياً. ومنذ اتفاق الطائف سنة ١٩٨٩ اتخذت الطائفية بُعداً فدرالياً لا على حساب مركزية الدولة، بل على حساب مفهوم الدولة الواحدة. وإذا كان تطبيق اللامركزية يتأجل، فلا نّ تطبيقها يزداد تعقيداً مع وجود الواقع الفدراليّ المفروض علينا. فاللامركزية نظامٌ برسم دولة مركزية، لا دولة فدرالية. إنّ لبنان انتقل من دولة مركزية شرعية إلى دولة فدرالية غير شرعية، من دون المرور باللامركزية التي لحظها اتفاق الطائف. ودوام هذا الواقع غير المُشرعن، يُقرّبنا من التقسيم ويبعدنا من الوحدة. مهما قلنا إنّ الحقّ على الفلسطينيّ أو السوريّ أو الإسرائيليّ أو غيرهم، فلو لم يكن المجتمع اللبناني أرضاً خصبة للصراع الطائفيّ، لما كان الانقسام ليحصل. والدليل أنّه كلّما أعطينا فرصة الخروج من أزمة نعتد تسويات طائفية ذات بُعدٍ تقسيميّ، ومغلّفة بشعاراتٍ وطنيّةٍ ووحديّة. وأجرُ تسوية كان اتفاق الطائف الذي دعا إلى إلغاء الطائفية السياسيّة، فيما بنود معيّنة فيه كرّست الطائفية أكثر من أيّ يومٍ مضى، وبنودٌ أخرى عطلت هرمية القرار الدستوريّ، باسم المشاركة، بغية تدوير وحدة الدولة تدريجاً.

قام الوطن اللبناني على اتفاق طائفيّ، ووُضع تحت الانتداب بمنطقة طائفيّ، وانتزع الاستقلال باتحاد طائفيّ، وبُيت الدولة على أساس طائفيّ، ونُظمت الإدارة على معيار طائفيّ، وكُتبت المناهج التربويّة بذهنية طائفية، وتنبّلتنا الاحتلالات لأسباب طائفية، وقدّنا الولاء للوطن لا متلاكه طائفيّاً. وأسف أن يكون هواناً طائفيّاً.

لذا، هلموا نغيّر معاً كرويات دمننا الطائفية بكرويات مدنيّة. ومن

ثمّ نحكي عن إلغاء الطائفية السياسيّة.

أسفٌ أيضاً لأنّ اللبنانيين ليسوا بعد مسيحيّين ومسلمين، بل مواردٌ وسنةٌ وشيعَةٌ ودروزٌ وسُريانٌ وعلويّون وأرمنٌ وأرثوذكسٌ وكاثوليكٌ ملكيون. هذه ظاهرةٌ تجرّ تفسيرها في التاريخ، حيث أنّ الفئات المشرقية والأسويّة التي أتت لبنان بين القرن الخامس والقرن العشرين، لا ذلت إليه كأبناء طوائف ومذاهب، لا كأبناء الديانتين المسيحية والإسلامية. ذلك أنّ الاضطهاد الذي هجرها إلى لبنان ما كان مصدره دائماً ديناً آخر، بل طائفةً ضدّ طائفةٍ أخرى من نفس الدين، ومذهبٌ ضدّ مذهبٍ آخر من ذات الدين. لذلك، إنّ موضوع الطائفية في لبنان لا ينبغي أن يُطرح بشكلٍ أحاديٍّ وجزئيّ. يجب أن يكون جزءاً من مشروعٍ إصلاحيّ عامٍّ للبنان الإنسان والمواطن والمجتمع والدولة والهوية الوطنيّة. وإذا دعت الظروف إلى تنفيذ الإصلاحات على دفعات، فيجب أن يسبق هذا التنفيذ المرحليّ، اتفاقٌ شاملٌ على مشروعٍ إصلاحيّ متكاملٍ مع جدولٍ زمنيّ محدّد، الأمر غير المتوفّر بعد. وكما يربط حزب الله بتّ وضع سلاحه في إطار استراتيجية دفاعية، كذلك لا يجوز المسّ بالتوازن الميثاقية، ولتقلها صراحةً: بالتوازن الطائفيّ، إلّا في إطار مشروعٍ سياسيّ دستوريٍّ اتحاديّ واضح.

وبانتظار إرساء نظامٍ علمانيّ حقيقيّ، لا بد من تنظيم الحالة الطائفية على أساس المناصفة السياسيّة والإدارية. لا نستطيع أن نكون نصف طائفيين ونصف علمانيين. لا نستطيع إدارة الدولة أن تكون مدنيّة، ومجتمعها طائفيّ. لا يمكن أن تكون الوظائف غير طائفية، والموظفون طائفيون. هذا دجلٌ، هذا كذبٌ، وهذا خداع.

أريد أن أحتّم مداخلتني بما قاله سماحة الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين ٢٠٠١ في كتابه «هذه وصيتي»: تبصّرت عميقاً في طبيعة الاجتماع اللبناني السياسيّ الذي يتميّز بخصوصياتٍ معيّنة نتيجة التنوّع الطائفيّ، وتبيّن لي أنّ إلغاء نظام الطائفية السياسيّة في لبنان يحمل مغامرةً كبرى قد تهدد مصير لبنان، أو على الأقلّ ستهدد استقرار لبنان، وقد تخلّق ظروفًا للاستقواء بالخارج من هنا ومن هناك، ولتدخل القوى الأجنبية من هنا ومن هناك.

ولذلك، فإنّي أوصي الشيعة اللبنانيين بوجهٍ خاصّ، وأتمنى وأوصي جميع اللبنانيين، مسلمين ومسيحيّين، أن يرفعوا من العمل السياسيّ، من الفكر السياسيّ، مشروع إلغاء الطائفية السياسيّة، لا بمعنى أنّه يجرّم البحث فيه والسعي إليه، ولكن هو من المهمّات المستقبلية البعيدة، وقد يحتاج إلى عشرات السنين لينضج بحسب نضج تطوّر الاجتماع اللبناني وتطورات المحيط العربيّ بلبنان.



من عمر الوطن، تداخل فيها العامل المحليّ بالعامل الإقليميّ والعامل الفلسطينيّ بالعامل الإسرائيليّ، وكانت الحرب الأهليّة بكلّ أبعادها وأسبابها ونتائجها ذات وجهٍ طائفيّ عمّق الإنقسام وصدّعت الوحدة الوطنيّة وأدّى إلى دخول لبنان كنف الوصاية الخارجيّة.

ثمّ جاء اتفاق الطائف ليعيد توزيع مهامّ السلطات الدستوريّة، فإذا بنا تنتقل من النظام الطائفيّ إلى النظام المذهبيّ. فحلّت المثلثة ضمن المناصفة محلّ (ال ٦×٦ مكرر)، وأضحى لكلّ وزارة مذهب ولكلّ مديرية أو مصلحة أو دائرة مذهب. وأضحى لكلّ سفارة أو محافظة أو موقعٍ أمنيّ مذهب، وأصبح طريق المواطن إلى دولته يمرّ عبر المذهب أو زعيم المذهب أو نافذ متسلّط في المذهب، فوهنت الدولة وتناقضت مؤسّساتها، ولاسيّما بعد الزلزال الذي أصاب الوطن باغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري ونخبة من رجال الفكر والسياسة، وارتدادات ذلك الإغتيال التي أخرجت سلطة الوصاية السوريّة من جهة وشطرت الوطن شطرين: واحد تمحور حول السنّة وواحد حول الشيعة، في إعادة مشوّهة لتجربة حكم تاريخيّ يذكّرنا بالقائمقاميتين الدرزيّة والمارونيّة.

وما المشهد الأخير الذي قدّمته وزارة الإتصالات ومؤسّسة أوجيرو إلّا نموذجٌ لفصول في مسرحيّة مذهبيّة لا نعرف على أيّة خاتمة سيُسدل ستارها. غير أنّنا ندرك دون شك أنّ أيّة ثنائيّة إلى زوال بل إلى خراب وإلى مزيد من التعصّب والحقد والكراهية، والأوطان لا تُبنى على الحقد والكراهية والتعصّب.

أيها الشابات والشباب،

يا طلاب جامعة سيّدة اللوزة،

بل يا طلاب لبنان وشبابه ويا من يرفعون شعار «مناهضة النظام الطائفيّ»

أعيش معاناتكم وأدرك إلى حدّ بعيد هواجسكم. من حقّكم أن تكونوا أعرّاء في وطنكم. من حقّكم أن تكونوا متساوين مع زملائكم، ومن حقّكم أن تسألوا عن مصير الأقليات ومستقبلها إذا ما ألغيت الضمانات التي يصونها النظم الطائفيّ.

ولكن، اسمحو لي أن أتساءل معكم وأقول:

هل حمت الديمقراطية التي جاءت بها الإدارة الأميركيّة إلى العراق المسيحيّين فيه؟ وهل حمت الفدراليّة اليوغوسلافيّة المسلمين في البوسنة؟ أم هل نعمت إيرلاندا الشماليّة بعلاقة ودّ بين مذاهبها؟!



أما المقدّم شريف فياض، أمين سرّ الحزب التقدميّ الاشتراكيّ، فقال:

نال لبنان استقلاله عام ١٩٤٣ نتيجة تسوية بين الحلفاء الذين انتصروا في الحرب العالميّة الثانية، ضمّنوا فيها مصالحهم في الشرق الأوسط من جهة ونتيجة تسوية محلّيّة بين زعماء الطوائف اللبنانيّة تقاسموا فيها السلطة والنفوذ من جهة ثانية.

هذه التسوية قامت على توازنٍ طائفيّ تمتدّ جذوره إلى زمن الحكم العثمانيّ، يوم كان لبنان بحدوده الحاليّة موزعاً بين عدّة ولايات أو إيالات أو سناجق تتحالف حيناً وتتقاتل حيناً آخر وتدخل الدول في شؤونها فتناصر بعضها على بعضها الآخر، وتتبنّى كلّ دولة طائفة لتقييم على مناطق تواجدها موطناً قدم تدير منه مصالحها وسياساتها.

وكانت التسويات بين تلك الدول تقرّر الحدود وشكل الحكم وهويّة الحكّام، فكانت القائمقاميتان والمتصرفيّة ولاحقاً لبنان الكبير.

حرص زعماء الطوائف عام ١٩٤٣ على تطمين المسيحيّين ومراعاة هواجسهم، فكانت لهم الأرجحيّة في السلطة السياسيّة وفي الوظائف العامّة. وحرصوا على إرضاء المسلمين ومراعاة مشاعر أكثرّيّتهم في توجيههم نحو الوحدة مع سوريا، فكانت هويّة لبنان ذات وجه عربيّ.

في دستور ١٩٤٣ مادّة مشهورة هي المادّة ٩٥. هذه المادّة موقّنة وهي التي تنصّ على تقاسم الوظائف في الدولة، وكان من المفترض أن تلغى عندما يبلغ الإستقلال سنّ الرشد فيتساوى اللبنانيون في الحقوق كما يتساوون في الواجبات، ولكنّ الممارسة ثبتت هذه المادّة وجعلت من الموقّت أكثر ديمومة من الدائم.

في عهد الرئيس فؤاد شهاب وبعد أحداث ١٩٥٨، تمّ اعتماد نظام (٦ × ٦ مكرّر) في الوظيفة العامّة، ولكنّ هذا الأمر بقي في حدوده الإداريّة ولم يتناول الشأن السياسيّ.

طالب المسلمون بالمشاركة، وتمسك المسيحيّون بالامتيازات، فظغى الجوّ الطائفيّ على البلاد في مرحلة دقيقة

نظام وطني سليم، من أن نخرج إلى الفضاء الرحب، وأن تجتمع الناس حول مصالحها في مؤسسات وطنية سياسية أو اجتماعية أو مهنية، وهذا هو الدور الحقيقي للأحزاب والجمعيات والنقابات التي تُعرّف بأنها مؤسسات المجتمع المدني أو مؤسسات العمل الديمقراطي.

٤ . الإسراع في الإلغاء كما التسوية والمماثلة يؤدي إلى تظهير خطوط التماس القائمة بين المذاهب، وليس فقط بين الطوائف، وتوجع الصراع الديني، وتعود بنا قروناً إلى الوراء يُمحي فيها كيان هذا الوطن، وتوقع الكثير من المظالم.

إن الدعوة لتشكيل الهيئة الوطنية لدرس سبل إلغاء الطائفية السياسية في لبنان تأتي في موقعها الصحيح وتنسجم مع الدعوة للحوار الوطني بإدارة رئيس الجمهورية، وتتلاقى مع دعوة رؤساء الطوائف الروحيين للحوار فيما بينهم، مع إدراكنا المسبق أن دون هذا التلاقي والحوار عقبات جمّة، غير أن هذه العقبات لن تصمد أمام إرادة الناس إذا قرّروا وصدقوا في تنفيذ ما يتفقون عليه؛ وإذ ذلك لا نخشى أن يتحوّل مشروع إلغاء الطائفية السياسية إلى مشروع نزاع جديد على رقعة هذا الوطن الصغير.

علّمنا التجارب والأيام أن القادة الحقيقيين هم الذين يتابعون المسير في الاتجاه الصحيح، ولو علت من حولهم صيحات الرفض؛ ألم يصرّ البطريرك المعوشي على الانفتاح وعلى التواصل مع المسلمين في أواسط القرن الماضي، ولم يتراجع أمام من حاول اقتحام الصرح البطريركي في بركي وهو ينشد:

المسيحية مجتمعة وجايي تحتج

بدها بيكركي بطرك ما بدها حاج؟

لا أريد أن أقدم خطاباً تعبويّاً ديمagogياً، ولا أريد أن أقف عند استعراض تاريخ أزمة النظام الطائفي، بل أطمح أن أقدم مقترحات يمكن إذا ما اعتُمدت أن تبدل في طبيعة النظام السياسي الطائفي في لبنان، وترتقي به تدريجياً نحو النظام المدني، وتساعد في تحقيق فكرة المواطن ومفهوم الوطن وفي تقدم البلاد وتوحيدها وإنطلاقها وإزدهارها.

١ . لا يمكن الفصل في موضوع الطائفية بين ما في النفوس وما في النصوص. فالنص يؤلّف بحد ذاته الأداة الحقوقية والقالب الحقيقي لمضمونه (وهذا النص اقتبسته من كمال جنبلاط) كالماء تماماً الذي لا يجري إلى هدفه إلا بواسطة الأنبوب أو القناة ( انتهى الاقتباس).

فتحن بحاجة، إذًا، إلى عقد شراكة وطنية، كما قال غبطة البطريرك مار بشارة الراعي يوم جلوسه على كرسيّ البطريركية المارونية، وإلى عقد إجتماعي ينبثق من شرعة حقوق الإنسان، ويؤمن العدالة والمساواة، ويضمن الحريات العامة، ويعتبر الدين شأنًا شخصيًا لا علاقة له بالممارسة السياسية. هذا العقد الوطني الاجتماعي يستند إلى مجموعة قيم ومثل إنسانية وأخلاقية يستمدّها من حقيقة الأديان وتعاليمها الروحانية السامية، وتلتزم جميعًا جانب الصدق في تنفيذه.

٢ . لا يمكن إلغاء الطائفية بقرار. الطائفية تلغى بمسار وطني مدني تكون محطة الانطلاق فيه دولة تتفق على إعلاء سلطتها فوق كلّ السلطات، لا سلطة بجانبها ولا سلطة فوقها ولا سلطة في الظلّ تأخذ القرار وتعطي التوجيه، بل سلطة حقيقية تنبثق من إرادة الناس وتلتزم مصالحهم وتبني دولة الرعاية الاجتماعية.

إن المؤسسات المذهبية اليوم هي الراعي الفعلي للشؤون الاجتماعية؛ فكلّ مذهب مدرسته وجامعته ومشفاه، ولكلّ مذهب سياسته ومؤسسته الإسكانية ومصرفه ونظام الجباية المالية ومؤسسته الأمنية بالإضافة إلى نظام الأحوال الشخصية والمحاكم المذهبية.

٣ . تلغى الطائفية بالانفتاح. إن التوقع داخل شرنقة مغلقة يؤدي إلى التصادم الدائم، فلا بدّ إذًا، من أجل بناء



## مَيَّ زِيَادَةَ فِي عَالَمِ جِبْرَانَ الْفِكْرِيِّ وَالْعَاطِفِيِّ دراسة في ضوء الشعلة الزرقاء

أ/د. عبد القادر سلامي

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب  
واللغات، جامعة تلمسان - الجزائر

أمّا عن مضمون هذه الرسائل فقد اختلف باختلاف المناسبات الفكرية. لكنّها في عمومها، ضمّت مساجلات روحية وفكرية وآراء نقدية، تقدّم بها جبران ردّاً على تساؤلات مَيَّ زِيَادَةَ. والجزء الثاني، عمل الأدبيّان من خلاله على نشر رسائل جبران الأصليّة كما جاءت، أي بخطّ يده، وبما حملته من رسومات اعتاد جبران أن يذيل بها رسالته إلى مَيَّ. ضمّت الشعلة الزرقاء ٣٤ رسالة، إضافة إلى برقيات أدرجها الباحثان ضمن هذه المجموعة.

### ثانياً. مظاهر الواقع والخيال في علاقة جبران بمَيَّ في

#### الشعلة الزرقاء

##### ١. مظاهر الواقع

ليس من السهل تفسير العواطف، لأنّ هذه الأخيرة هي بمثابة جغرافية. تفسير جغرافية العواطف هذه تستوجب التحديد العقلانيّ لما هو لاقطانيّ في نفس الفرد وحياته. فالإحساسات والعواطف تداخلنا، وقد تمور في نفوسنا بفعل خارجيّ عنّا، ويجب أن نقع في مواجهتها لمعرفة من نحن، أو هل نحن على حقيقة أو خيال.

وبهذا نجد بأنّ الحبّ الذي جمع بين جبران ومَيَّ، لم يكن وليد نظرة فابتسامة، فسلام فكلام، بل كان حبّاً رائعاً نشأ ونما عبر مراسلة أدبية طريفة، فكان كلّ منها يبحث عن روح شقيقة في يقظته وأحلامه. لقد كان جبران يرى في مَيَّ الصديقة والحبّية والملهمة وشقيقة الروح. أحبّ فيها المرأة الحلوة الذكيّة على طريقته هو. وكان أكثر ما أحبّه فيها عقلها النير الذي تجلّى في مقالاتها وكتبها. كما أحبّ حبّها له، وإعجابها بشخصيّته وإنتاجه الأدبيّ والفنيّ. (٢)

ويعتبر حبّ مَيَّ لجبران أو جبران لمَيَّ حقيقة واقعة؛ كيف لا وقد عبّر عنها بكلمات قليلة أفضل بما لا يقاس من كلّ ما قيل في الماضي، حيث قال: «أنت تحيين فيّ وأنا أحيا فيك» (٣). وفي رسالة أخرى تتوطّد العلاقة لتصبح واقعاً لا يترك مجالاً للشكّ،

هذا البحث وقمة مع نموذج من أدب الرسائل في الأدب العربيّ الحديث، وهو ما كتب له أن يجمع تحت مظلة «الشعلة الزرقاء»، معرّفًا بها وبمضمونها ومظاهر الواقع من الخيال في علاقة مَيَّ زِيَادَةَ بجبران خليل جبران، مبرزاً مكانتها ومكانة المرأة عموماً من فكره وقلبه.

### أولاً. الشعلة الزرقاء

#### تعريفها

الشعلة الزرقاء مجموعة رسائل رومانسيّة كان جبران خليل جبران قد بعث بها إلى «مَيَّ زِيَادَةَ» ما بين سنة ١٩١٤م سنة ١٩٣١م وهي تعدّ من أهمّ الوثائق التاريخية التي حملت في طياتها تفاصيل أروع قصة حبّ عرفها تاريخ الأدب الحديث. وحرّي بنا أن نشير إلى أنّ هذا المؤلّف يعدّ ثاني تجربة من نوعها خاضها كلّ من المؤلّفين «سهيل بشروئي» و«سلمى الحفّار الكزبري»، ومن بعدهما الدكتور «جميل جبر» في كتابه «رسائل جبران»، رغم أنّهما افتقدا رسائل «مَيَّ زِيَادَةَ» لجبران، والتي لم يعثر لها على أثر، باستثناء مقاطع منها تبنت نشرها بعض المجلّات العربيّة كمجلة «الحديث» العربيّة. إلّا أنّهما اعتمدا منهجاً سويّاً أرخا من خلاله لهذه العلاقة العاطفيّة والفكرية، بحيث عملا على تحقيق الرسائل المخطوطة وتذييل صفحاتها بحواشٍ ضمّتها شروحاً لأسماء الأعلام والصحف والأمكنة، كما قاما بتصويب بعض الأخطاء النحويّة التي أسقطها جبران سهواً، ذلك أنّه كلّ إنسان عاديّ كتب هذه الرسائل العاطفيّة بانفعال ربّما جعله يهمل الكثير من القواعد. (١)

#### مضمونها

عمد جامعا الشعلة الزرقاء إلى تقسيم الكتاب إلى بايين أو بالأحرى إلى جزأين: جزء أوّل خاصّ، فيه الرسائل المنشورة بعناية تامّة، إذ اهتمّا بترتيب تواريخها، وكذا بتحليل وشرح المستغلق من معانيها دون أن يغفلا الجوانب اللغويّة منها.



قطيعنا في الوادي الهادي». وفي حديث آخر يقول: «أحمد الله وأشكره لأنّ مريم الحلوة تسمعي صامتاً مثلما أسمعها صامتة، وتفهمني مشغوقاً مثلما أفهمها عطوفة» (٦). لقد عاشت ميّ في خيال جبران اليوميّ، وقد سمّاه بالخيال الضبابيّ، إذ كان هو في مغارب الأرض مقيماً، وكانت هي في مشارقها بينهما «سبعة آلاف ميل» (٧).

وخيال جبران الضبابيّ لم يكن ليفهمه أحد غير «ميّ». وهذا طبيعيّ لأنّه موجّه لها، ولا أحد سواها. لقد كانت ميّ تفهم ما يريد منها جبران، بلا كانت تفهم مادّيته وفهمه الخاطئ للحياة. إلى جانب هذا، فإنّ ميّ كانت أعمق في فهمها للمرأة من جبران، في حين أنّ جبران كان يؤمن بالمرأة جسداً لا غير.

ولكنّ الغريب في الأمر أنّ جبران يحبّ ميّ وامتسكّ بها، وهي تبادله الشعور نفسه؛ فقد طلبت منه أن لا يسمح لنفسه الزواج منها، وأنّها تريده صديقاً، والصدّاقة عندها أئمن من الزواج (٨). ومن هذا نستطيع القول إنّ علاقة جبران بميّ، بقدر ما كانت حقيقة واقعة، فهي كانت أيضاً حقيقة خياليّة.

### ثالثاً. أسباب تعذّر اللقاء بينهما، والنهاية المأساوية

#### لملاقتهما

كانت عيون ميّ لا تعرف غير صورة جبران، لأنّها أدركت ما كان يرمي إليه أولئك الرجال الذين تعلقوا بها فعلاً، ولكنّ تعلق عشق وليس تعلق محبة، ولأنّ لا أحد منهم يرغب في أن تكون «ميّ» زوجة له. وكان هدف الاستحواذ عليها لمجرد استرجاع السيادة على الصالون فقط.

لقد فهمت ذلك كلّه بفطرتها الأنثويّة الثاقبة، ففرّت منهم بروحها وخيالها، ولجأت إلى رجل بعيد من وراء المحيطات هو «جبران»، ونادت عليه واستغاثت به ليأخذ بيدها ويمنحها الحبّ الذي تستحقّه ذاتها، لا مجرد جسدها. ولكنّ جبران نفسه أيضاً

بحيث يتخاطب كلّ من الحبيبين بعبارة اعتبرها أنا شخصياً غريبةً وغامضةً بعض الشيء؛ لكنّ الغوص في مدلولها الحقيقيّ والمختبئ داخل تلك الكلمات جعلني أعجب بها لما فيها من معانٍ وجدانية مؤثّرة، تفيض باللوعة والشوق، وهي على هذا النحو: «كثيراً وبنحو-كثيراً وبنحو» (٤). فهذه العبارة تصرّح وتنويه لما يجول بداخل ميّ من عواطف متأجّجة نحو «جبران» الذي فهم هذه المعاني وكأنّها قالت له: «أحبك قليلاً، كثيراً، بنحو، بشغف، بجنون، لا أحبك!» حتّى اتخذها «جبران» لنفسه كلمة عبور لقلب «ميّ».

### ٢. مظاهر الخيال

إنّ علاقة ميّ بجبران من الوضوح بما يدعونا للعجب، ونحن نتأمّل شكوك البعض في فهمها وتفسيرها بشذوذ «ميّ» تارة وشذوذ «جبران» تارة أخرى. فجبران ودّع صباه وعفّة الصبا وطهارته يوم التقى امرأة في «بوسطن» بأمریکا ليتعلّم منها فنون الحبّ، حتّى أصبح فيما بعد مُكثراً في عقد الصلات مع النساء على أنواعهنّ. ولعلّ مردّد ذلك إلى أنّ جبران كان ممزّقاً بين فكره وتربيته، بين فلسفته وحياته، بين نظراته وتطبيقاته. ويبدو هذا التمزّق هو المسؤول عن حياته التعمّسة. ولعلّ تراكم الأحزان عليه هو الدافع في ميله الأوّل لميّ والرغبة في الزواج منها. لكنّ ميّ كانت تخاف الحبّ، وتخاف تجربتها مع جبران، لأنّها كانت تدرك تماماً تمكّن روح نيتشه من أفكاره. و«ميّ» لم تكن تزدرى بنفسها ولا بالآخرين، بل كانت متصوّفة في أفكارها أحياناً، لا كجنون جبران في عشقه للخلود المغلّف بفكرة البقاء عن تناسخ الروح (٥).

ومثلما كان جبران واقعيّاً في علاقته مع ميّ، فقد كان خياليّاً أيضاً. وهذا الخيال يظهر جليّاً في حياته اليوميّة التي كان يحدّثها عنها في رسائله، فنجدّه يقول: «غير أنّي كنت أنظر نحو رفيقتي بين الدقيقة والدقيقة، وأقول لها: لقد عدنا لنرى

بمزاياها الكثيرة، وجاذبيتها الشخصية، وحديثها الساحر. (١٤)  
لعلّ تلك الأسباب كانت ميزاناً لتعدّر اللقاء بين ميّ وجبران. ولعلّ  
القدر أيضاً قد لعب دوره في حياتهما.

والمطّلع على قصّة ميّ وجبران يقرّ بأنها أغرب قصّة عرفها  
البشر بين اثنين تفصلهما آلاف الأميال، ولم يلتقيا أبداً. ومات  
جبران وهو يحبّ ميّ، وماتت ميّ ندماً على عدم زواجها منه.  
(١٥)

#### رابعاً. موقع المرأة في عالم جبران خليل جبران

تمردّ جبران على كلّ أشكال السلطة، إلاّ أنّه لا بدّ بكلّ أشكال  
الأمومة كونها حناناً وانتماءً (١٦). ولهذا، فالمطّلع على حياته  
يجد أنّه رجحّ صديقاته على أصدقائه، حيث أنّ العنصر الأنثويّ  
بعامة كان قطب جاذبيّة في حياته، وعنصر الأمومة بصفة  
خاصّة. وحبّ الأمّ غريزة في الكائن البشريّ (١٧). لكنّه اتّخذ  
عند جبران مكانة بارزة وأتسم بصفة مميّزة جعلته يتغلغل في  
إنتاجه مباشرة، كما عبّر عن ذلك في «وردة الهاني» في الأرواح  
التمردّة، وسواها من أقصوصاته.

١

#### . موقع المرأة من فكره

##### أ. المرأة المتحرّرة

لقد تمكّن جبران، من خلال المسار المأساويّ لحياة المرأة  
الشرقيّة، أن يظهر أشكال الألم والحمران والاضطهاد الذي  
عانت منها المرأة آنذاك. بالتالي دافع عنها بكلّ طلاقة بدءاً  
بأمّه التي عانت الكثير من خلال تجربتها في الزواج ثلاث  
مرّات، وما انتشر عن ذلك من تهمة وأقاويل لاذعة طعنت في  
شرفها، وخصوصاً أنّها عاشت في المجتمع الأمريكيّ. وزد على  
ذلك تجربته المؤلمة مع «حلا الضاهر» التي حيل بينه وبينها،  
وهو فتى، بسبب التفاوت الطبقيّ؛ والانفتاح الوجدانيّ على  
الحرية الإنسانيّة، والذي اكتسبه جبران من الثقافة الأمريكيّة  
والأوروبيّة. (١٨)

لقد عدّ جبران شخص المرأة ضحيّة، فرضت عليها تقاليد  
الاستسلام لمختلف أشكال الظلم، ممّا منعها من التحكّم في  
ذاها وفي أحاسيسها، حتّى باتت مسلوقة الإرادة يلاحقها الحزن  
والكآبة. ولذلك، فإنّنا نجد جبران قد أيّد حركة تحرّر المرأة  
العربيّة بصفة عامّة والمرأة الشرقيّة خصوصاً، إذ دعاها  
صريحاً إلى تفسير ذلك الطوق السميكة المحيط بها، والخروج  
منه لإبراز كيانها وإنسانيّتها؛ وهذه معادلة يمكن صياغتها على

يردّ أملها ويكسر توقفاً بنته عليه، وكأنّها استجارت من الرضاء  
بالرمضاء (٩)، وخاصّة لأنّه أعرب، في الأوّل، عن رغبته في  
السفر إلى القاهرة عدّة مرّات ولكن من دون أن يبرح مكانه،  
فتبيّن أنّ جبران عبث بقلبه فترة واستأنس به، في حين أرادت  
أن يأتيها، هي التي تشدّ الحرية أبداً حتّى في زواجها، لأنّها  
تدرك بعمق الطوق الذي فرض على المرأة. (١٠)

لكنّ ميّ رغم كلّ هذا لم تنجح في إخفاء عشقها المذهل  
ومشاعرها السامية، فلملمت شجاعته وكتبت لجبران أجمل  
رسالة حبّ- اخترت مقاطع منها- حرصت فيها أن يبقى جبران  
حبيبها الأود، لتدوم تلك الشعلة الزرقاء منهلاً للنعيم والنور  
في حياتها، وموردّاً للأمل والحرارة في قلبها.

قالت ميّ: «جبران، لقد كتبت كلّ هذه الصفحات لأتحدّث كلمة  
الحبّ. يفضّلون أيّ غربة، وأيّ شقاء؟ وهل من شقاء وغربة في  
غير وحدة القلب؟ ما معنى هذا الذي أكتبه؟ إنّي لا أعرف ماذا  
أعني به. ولكنّي أعرف أنّك محبوبي، وأنّي أخفي الحبّ. أقول  
هذا مع علمي بأنّ القليل من الحبّ كثير. وسواء أكنّت مخطئة  
أم غير مخطئة، فإنّ قلبي يسير إليك. أكتب إليك الآن والشفق  
يملأ الفضاء، فتتسرّب إليّ كلّ وحشة الشفق، فألقي بالقلم جانباً  
لأحتمي من الوحشة في اسم واحد: جبران». (١١)

نستشفّ من هذه الرسالة التي أنّ ميّ أطلقت العنان لمشاعرها،  
مسترسلة مع عواطفها بثقة وحبور، محاولة جذب جبران إلى  
عالمها الروحيّ.

ولعلّ تلك المقدمات الغزليّة التي كان يرسلها رجال النادي في  
غزلهم الفاضح لها واحتقارها في صمت هي السبب الرئيسيّ  
في رفضها جبران (١٢). ونستطيع القول أنّه كان تردداً فقط، لأنّ  
ميّ نشأت في بيئة متديّبة ومحافظّة، فهي تعيب على الفتاة البوح  
بعواطفها. إلاّ أنّها ورغم ذلك، أثار حبّ جبران فيها بل غاص في  
أعماق أعماقها. والفضل في معرفة هذه الملامح الغراميّة يعود  
إلى رسائل جبران الموجودة لدينا، والتي تحمل بضع عبارات  
غراميّة لميّ كان جبران يوردها في هذه الرسائل إمّا للردّ عليها،  
أو للاستشهاد بها، وهذا ما ساعدنا كثيراً في الوقوف على حبّ  
ميّ لجبران. (١٣)

أمّا علاقتها برجال الفكر الذين عاصروها في مصر وسائر  
البلاد العربيّة، فإنّها لم تتجاوز حدود الصداقة، على الرّغم من  
التحريف الذي ألحق بها، وما ذلك إلاّ لإثارة الفضول فقط.  
وأمّا عن علاقة بعض كبار معاصريها بها، فإنّه حديث آخر، و  
ليس بمستغرب أن يكون قد أغرم بها من عرفها عن كذب، وتأثّر

نحو أن كل أمة تجردت من حريتها هي مجردة من إنسانيتها. كما أكد جبران حق المرأة في المساواة مع الرجل الذي سلب كل حق لنفسه فقط، وخصها بمنزلة فريدة في المجتمع البشري، إذ هي كائن حي محترم له دوره ومكانته بين الأفراد، ورفض أيضاً أن تكون المرأة ألعوبة في يد القضاء الذي يفرض عليها العيش مع رجل لا يجمعه معها أي رابطة روحية وعاطفية. وهكذا وقف جبران إلى صف المرأة، وثار على ذلك النظام السجني وعمل على هدمه. وهي بهذا شغلت حيزاً كبيراً في القص الجبراني. ونجده يعبر عن ذلك في «بحيرة النار» في الأجنحة المتكسرة إذ يتفرق الحبيبان، ثم يودعان بعضهما بعضاً في «التضحية»، حيث تقول الحبيبة لحبيبها في آخر كلام لها «قد جئت لأودعك يا حبيبي، فليكن وداعنا عظيماً وهائلاً مثل حبنا، ليكن وداعاً كالنار التي تصهر الذهب لتجعله أشد لمعاناً». (١٩)

## ب. المرأة المبدعة

إن جبران خليل جبران مبدع، كيف لا وهو يعد من أكابر المبدعين الذين أتوا بالرائع من الأقوال، كما عرف بالخيال المجنح والعجيب. والإبداع ليس مقتصرًا على الرجل فقط، بل هناك مواهب أدبية فريدة احتلت الوسط الأدبي آنذاك. ومن المؤكد أن جبران مبدع يحب المبدعات من الجنس اللطيف كذلك، وخصوصاً أنه عاش في وسط يطلق العنان للمرأة كما للرجل؛ وعلى سبيل المثال نجد «جوزيفين بيبودي» التي استلطفها، كونها مثقفة إلى درجة جعلتها شاعرة وتطبع كتباً. كما كان لجبران صالات أدبية عن طرق المراسلة جمعتهم بالمستشرق المعروفة في أوروبا «الفيكونتس سيسيليا اف لوتتبرغ» (\*\*)، وذلك من خلال كتاباتها عن البلدان العربية والمشرقية، ولاسيما منها سوريا. ولن نخرج من إطار المرأة المبدعة من دون الحديث عن ماري زيادة التي كانت نموذج المرأة المتحررة المتعلمة، وأصبحت ثمرة العديد من الأصوات التي نادى بتعلمها وتحررها، وفعلاً نجحت في ذلك، وكان لها من الكتب والمؤلفات الشيء الكثير.

## ٢. موقع المرأة من قلبه

في رسالة يوجهها جبران إلى ماري زيادة يقول: «أنا مديون (ويقصد مدين) بكل ما هو «أنا» إلى المرأة، منذ كنت صغيراً حتى الساعة والمرأة تفتح النوافذ في بصري والأبواب في روحي. ولولا المرأة الأم، والمرأة الشقيقة، والمرأة الصديقة

لبقيت هاجماً مع هؤلاء النائمين الذين ينشدون سكينه العالم بغطيطهم» (٢٠). هكذا تكلم جبران عن المرأة وجعلها صاحبة الفضل عليه في كل شيء في حياته، باعتبارها رمزاً للحنان واللفظ والعطف والرعاية.

وحديثنا عن ماري زيادة كأمراة وعلاقتها بجبران يسبقه الحديث عن الحب والغرام باعتباره شعوراً وعاطفة إنسانية، وهو ذلك التجاذب العاطفي بين الرجل والمرأة.

وفي نظرة إلى مؤلّفات جبران فإنّ الحب كان فيه السيد الأقوى الذي طبع بخاتمه جلّ مواقفه ونظراته عندئذٍ. (٢١)

ويعدّ جبران ومي من الأسماء التي رمزت لمعاني الحب والعشق واللقاء والوصال، بحيث نجد أن جبران قد أحبّ مي بعنفوان عواطفه وتأجج مشاعره. ترى ما طبيعة الحبّ بينهما؟ إن جبران تعلّق بالمرأة عموماً وبكلّ ما يخصّها، وتعلّق بأمّه على وجه

الخصوص لأنّه رأى فيها الأمّ المتسامية بشخصها، كما رأى الأمّ الحبيبة، إلى أن أصبحت أبدية بعد موتها. من هنا نرى أن جبران اندمج بأمّه أشدّ اندماج، حين اتخذها قدوة في حياته وأضحت في صورة كلّ امرأة يلتقي بها ويتعرّف إليها، وكانت حلا الضاهر أولى هؤلاء النسوة اللواتي أحبهنّ جبران، وكانت له معهنّ مغامرات عاطفية؛ وحلا كانت تكبره بعامين وهو آنذاك فتى مراهق، لكنّها ماتت عانساً وما كان جبران يتزوّجها. (٢٢)

أمّا المرأة الثانية فهي «سلطانة ثابت» التي تعرّف إليها في بيروت عهد دراسته في مدرسة «الحكمة» وكان في السابعة عشرة من عمره وهي أرملة في الثانية والعشرين سرعان ما أعجب بها وكان له معها علاقة دامت أربعة أشهر حتى توفيت. (٢٣)

وأما الثالثة ف«إميلي ميشال» الشابة الفرنسية التي تعرّف إليها أثناء إقامة معرض لرسومه في مدرسة «ماري هاكل» سنة ١٩٠٤م. وكانت هي أيضاً الحضان الأمومي الذي فقده، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي تزوّجت فيه رجلاً آخر ورزقت منه أطفالاً، ومع ذلك بقيت على صلة بجبران. (٢٤)

على أن المرأة الرابعة التي برزت خصائص الأمّ في موقف جبران منها بروزاً شديداً، فكانت ماري هاكل رئيسة معهد للإناث في «بوسطن» بأمريكا، وكانت تكبره بعشرة أعوام. هذه احتلت في قلبه منزلة خاصة حين أخبرها بموت والده، واستعاد بألم وحزن بالغين ذكرى وفاة أمّه وأخته وأخيه، وأحس بالوحدة المريرة والحاجة إلى قلب عطوف معزّ، فإذا هو قلبها. فلقد بدأت حكاية حبّ تتنازع فيه الرغبة والرغبة نفس جبران، فكانت ماري علاجاً فعلاً لقلق انفصاله عن والدته وأقوى تجسّد

## • الخاتمة:

في رسالة وجهها جبران خليل جبران إلى مي زيادة يقول: «أنا مدين بكل ما هو «أنا» إلى المرأة، منذ كنت صغيراً وحتى الساعة. المرأة تفتح النوافذ في بصري، والأبواب في روحي. ولولا المرأة الأمّ، والمرأة الشقيقة، والمرأة الصديقة، لبقيت هاجماً مع هؤلاء النائمين الذين ينشدون سكينه العالم بغطيطهم». فدلّ بذلك على أنّ المرأة مصدر الإلهام حنائاً ولطفاً ورعاية وحريّة فكرية. فقد كانت مي زيادة ذات عنفوان وأنفة، كيف لا وهي المرأة التي اتّصفت بالجرأة الأدبية والاعتداد بالنفس والثقة بالذات، محاولة الإسهام في إخراج مجتمعها من ضيق الأفق والتخلّف الفكري والانطلاق به إلى عالم الرقيّ، فكتبت عن شهيرات النساء في عصرها من نحو: «باحثة البادية» و«عائشة التيمورية»، مطالبة بإنصاف المرأة في لين وحصافة، وخاطبت الرّجل قائلة: «ظّلوا عاملين على تحرير المرأة التحرير المنشود حتى تسمعوا من نفوسكم تلك الشهادة البديعة: أيها الرّجل لقد أحسنت- أحسنت لأنك كفرت، أحسنت لأنك أنصفت». ومي، إذ تهيب بالمرأة أن تتحرّر، لا تخرج عن حدود المعقول والمقبول، وتطلب أن يكون تحرّرها على أساس العلم. لذا وجدناها تحمل في داخلها مشروع مجتمع قوامه الثقافة والمعرفة، فاتّخذت لذلك صالوناً أدبياً خاصاً بها نفذت منه إلى طاقات المرأة الإبداعية وولجت به أبواب الحرية الفكرية، حاملاً في ثناياه عواطف امرأة مثقفة عاشت من أجل إنصاف المرأة العربية، فانتدبت له كلّ يوم ثلاثاء من أيام القاهرة ثلّة من وجوه المجتمع الفكري العربي، أمثال: لطفي السيد وخليل مطران ومصطفى صادق الرافعي وعبّاس محمود العقّاد وطه حسين وأحمد شوقي وشبلي شميل وغيرهم كثير، فعمدت إلى ترؤس مجلسه بزيادة حققت خلاله حضوراً إبداعياً متميّزاً وقُدوة ارتفعت فوق الأشهاد، عدا عن كونها حظيت برسائل لجبران خليل جبران ضمّتها «الشعلة الزرقاء»، عدت من أحسن ما عبر عن التواصل الإنساني والفكري في عصرنا الحديث.

## الهوامش

قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان- الجزائر.

(١) سلمى الحفّار الكزبري وسهيل بشروئي: الشعلة الزرقاء، ص ٧-٨.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص ٨.

رمزي لها في حياته حيث تلقى منها رعاية وعناية وعطف أمّ على صغيرها، وقد كانت له معاونةً ومعنوياً ومادياً وقد صرح لها يقول: «نعم يا ماري، إنك، أمّ حبيبة جداً». (٢٥) ونجد، عدا «حلا الضاهر» و«سلطانة ثابت» و«إميلي ميشال» و«ماري هاكلسل»، عدّة نساء أخريات صادقهنّ جبران وأحبهنّ بكل ما يعنيه الحبّ، وأبرزهنّ «ماري خوري» و«مي زيادة» و«بربارة يانغ». «فماري خوري» كانت متزوّجة، وجبران كان في السنوات الأولى من إقامته في نيويورك، وما شدّه إليها أنّها كانت ذات شخصيّة مغناطيسيّة، وفيها ما في الأمّ الشيء الكثير. (٢٦) أمّا مي زيادة (١٨٨٦م-١٩٤١م)، فقد جمعتها بجبران علاقة روحية تحوّلت إلى حبّ أفلاطونيّ، وذلك عن طريق المراسلة. ونظراً لما عرفت به «مي زيادة» من طموح فكريّ وفنيّ، فقد اجتذبه فيها عن بعد ودونما لقاء، نفس مشابهة لنفسه، بل قلّ لنفس أمّه، بغربتها الروحية وميلها إلى الوحدة، وحنانها ولطفها وكأبتها؛ وجذبها إليه حاجتها الملحة إلى شقيق لروحها تبتّه مكنوناتها ولواعجها، وحاجتها إلى دفق عاطفتها الأمومية على طفل رأته فيه.

وقد بدأت مي الحلقة الأولى من سلسلة الرسائل بينهما في ١٢ أيار ١٩١٢م، واستمرت علاقتهما الأدبية العاطفية حتى أواخر حياته. وساد هذه العلاقة غموض اكتنف موقفها منه، حتى ١٥ كانون الثاني ١٩٢٤م، إذ باحت له بحبها ممزوجة بعاطفة الأمّ نحو وليدها من قلق عليه واهتمام لحركاته وتصرفاته ونصح له. في حين أنّ جبران كان قد خطا الخطوة الأولى التي أوصلته إلى هيكل الحبّ، حيث أرسل لها رسالة ضمّنها عاطفة حبّه بديباجة شعرية رمزية. (٢٧)

وفي السنوات السبع الأخيرة من حياته، كانت رفيقته «بربارة يانغ» التي لم يختلف موقفه منها عن موقفه من جميع اللواتي وحدتهنّ المحبة والرفقة والتضحية بأمّه. (٢٨)

هكذا كان جبران يرى أمّه في كلّ امرأة يصادفها ويبادلها المودة والاحترام، حتى جعلنا نسوّج الكلام بأنّه لم يكن له حبيبات بالمعنى الواقعيّ، ولكن كان له أمّهات صديقات. كان وعيه في نزاع اتجاهين: تلبية شهوة حسية كانت تصرخ له في جسد الأنثى، وإحجام لا شعوريّ عن انتهاك الهيكل الأموميّ المتعالي المتمثّل فيها. (٢٩)

- (٣) المرجع نفسه، ص ١٢٩.
- (٤) المرجع نفسه، ص ١١٥.
- (٥) عبد الأمير الأعمس: سيكولوجية العلاقة بين ميّ زيادة والرجال و«جبران» بوجه خاص، ص ١٠٢.
- (٦) ينظر: سلمى الحفّار الكزبري وسهيل بشروئي: الشعلة الزرقاء، ص ١٤٩.
- (٧) المرجع نفسه، ص ٧.
- (٨) عبد الأمير الأعمس: سيكولوجية العلاقة بين ميّ زيادة والرجال و«جبران» بوجه خاص، ص ١٠٤.
- (٩) عبد الله الغدامي: صالون ميّ تأنيث المكان وذكورية السياق، ص ١٣٢.
- (١٠) عبد الأمير الأعمس: سيكولوجية العلاقة بين ميّ زيادة والرجال و«جبران» بوجه خاص، ص ١٠٤.
- (١١) ينظر: سلمى الحفّار الكزبري وسهيل بشروئي: الشعلة الزرقاء، ص ٢٢-٢٣.
- (١٢) عبد الأمير الأعمس: سيكولوجية العلاقة بين ميّ زيادة والرجال و«جبران» بوجه خاص، ص ١٠٤.
- (١٣) ينظر: سلمى الحفّار الكزبري وسهيل بشروئي: الشعلة الزرقاء، ص ١٧.
- (١٤) المرجع نفسه، ص ١٧.
- (١٥) عبد الأمير الأعمس: سيكولوجية العلاقة بين ميّ زيادة والرجال و«جبران» بوجه خاص، ص ١٠٤.
- (١٦) نذير العظمة: جبران خليل جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية- دراسة مقارنة-، ص ٢٩١.
- (١٧) غازي فؤاد براكس: جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لأدبه ورسمه وشخصيته، ص ١١٥.
- (١٨) غسان خالد: جبران الفيلسوف، ص ١٤٣.
- (١٩) ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، ص ٢٢٦.
- (××) سيسيليا أف لوتبرغ: مستشرقة معروفة في أوروبا، لها كتابات عن البلدان العربية والمشرقية.
- (٢٠) غازي فؤاد براكس: جبران خليل جبران في دراسة تحليلية، تركيبية لأدبه ورسمه وشخصيته، ص ١٢٨.
- (٢١) المرجع نفسه، ص ٢٣٩.
- (٢٢) المرجع نفسه، ص ١٤٤.
- (٢٣) المرجع نفسه، ص ١٤٤.

### المصادر والمراجع

- الأعمس، عبد الأمير: سيكولوجية العلاقة بين ميّ زيادة والرجال و«جبران» بوجه خاص، ضمن مجلة الأقلام، السنة الثالثة، رجب ١٣٨٦هـ- تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦م، ج ٣.
- براكس غازي فؤاد: جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لأدبه ورسمه وشخصيته، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دت.
- حنين، رياض: رسائل جبران التائهة مع ١٩ رسالة يكشف عنها للمرة الأولى، ط ١، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، آذار ١٩٨٣م.
- خالد، غسان: جبران الفيلسوف، ط ٢، دار نوفل، بيروت، لبنان، يوليو ١٩٨٣م.
- العظمة، نذير: جبران خليل جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية- دراسة مقارنة-، كط ١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧م.
- الغدامي، عبد الله: «صالون ميّ للتأنيث المكان وذكورية السياق»، ضمن مجلة العربي السنة الثامنة والثلاثون وفبراير ١٩٩٥م، حكومة الكويت، العدد ٤٣٥.
- الكزبري، سلمى الحفّار وبشروئي سهيل: الشعلة الزرقاء، دط، مطابع وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٩م.
- نعيمة ميخائيل: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران





د. يوسف عاد

## العذراء مريم في الشعر العربي في الفترتين المملوكية والعثمانية

لقد تناول الشعراء مريم العذراء بالمدح والتقريظ عبر العصور. وليست التراتيل التي تشد في الكنائس غير تعبير واضح عمّا نقول. ولقد استقى الشعراء والأدباء من نقاوة مريم المعاني المتعددة، ليدلّوا على تعبدهم لها، وعلى احترامهم إيّاها. لعلنا لا نرى في الشعر العربي القديم غير نتف عن مريم العذراء نظراً لاستخدام السريانية في الكنائس، أو لضياع معظم المؤلفات عنها بسبب الظلم والاضطهاد، ولانسياح المسيحيين، أو تنقلهم الحثيث. أو لعل الرواة لم يحفظوا الشعر الديني، أو أنّهم حفظوه ولم يرووه.

غير أنّنا إذا تتبعنا مؤلفات الشعراء عن مريم، نرى أنّ أقدم شعر ورد فيه اسم المسيح ومريم العذراء، هو بيت للشاعر الجاهلي عمرو بن عبد الحق<sup>(١)</sup>. يقول فيه:

وما قدّس (٢) الرهبان في كلّ بيعة  
أبيل الأبيلين المسيح بن مريما (٣)

كذلك، ورد ذكرها في أبيات لأمية بن أبي الصلت. ومنها:

وفي دينكم من ربّ مريم آية  
مُنْبَتَّةً بالعبد (٤) عيسى بن مريم (٥)  
أنابت لوجه الله ثمّ تبتلت  
فسبّح عنها لومة المتلوم (٦)

### ١. في العصر المملوكي

حلت فترة شديدة الوطأة على كتبة الشعر الديني، امتدّت منذ نهاية العصر الجاهلي حتّى مطلع العصر المملوكي، غير أنّها عادت فانطلقت في العهد المملوكي، فقد وجد شعر غزير حول مريم، غير أنّه يندرج تحت العامية والفصحى. فلفخر الدين بن مكنس (المولود سنة ١٣٤٤ م)، شعر يشير فيه إلى بئر البلسم في المطرية، وهي البئر التي قدّسها السيّد المسيح، ويذكر العذراء مريم. يقول:

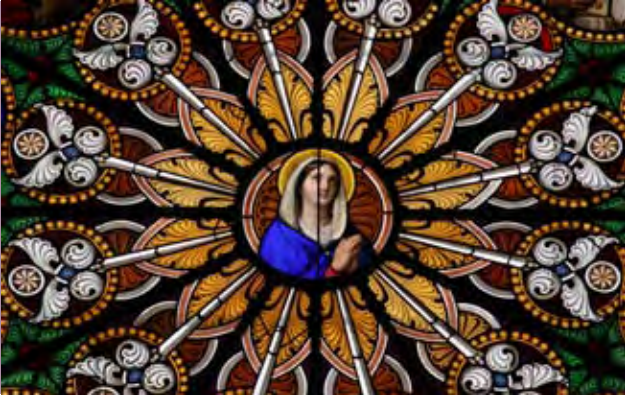
وانظر إلى أنوار بئر البلسم  
لكونها فيما يقال ننتمي

إلى المسيح السيّد بن مريم (٧)

وورد شعر لسليمان الغزي (مطران غزة) في القرن الرابع عشر، وفيه إشارة إلى تجسّد المسيح وحلوله في مريم، ويعني ذلك تغيير في حياة الإنسان نحو الأفضل، والأمل بحياة جديدة. يقول:

حتّى تجسّد للخلاص مبشراً  
بحياتنا فجلت له الأيام (٨)

١. لويس شيخو، الأحداث الكتابية في شعراء الجاهلية، المشرق ٧، ١٩٠٤، ٥٦٧.
٢. قدّس = أقام رتبة القدّاس، وأصل التقديس هو التسبيح.
٣. الأبييل = الأبيل هو رئيس النصارى. أو الراهب. (ابيلو) كلمة سريانية معناها الزهد والتمتسك، فجعل المسيح كبير النسّاك.
٤. لويس شيخو، الأحداث الكتابية في شعراء الجاهلية، المشرق ٧، ١٩٠٤، ٥٦٧.
٥. لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الإسلام ٢، ٤٢٢.
٦. أمية بن أبي الصلت، الديوان، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨، ١٣٠.
٧. لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الإسلام ٢، ٤٢٢.
٨. لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الإسلام ٢، ٤١٥.
٩. دُعِيَ المسيح عبداً لله من حيث طبيعته البشرية.



ويعقب شعره بالقصائد الدينية التي تذكر مريم، منها قوله:

الأشرف لمريم في العذارى  
وفخر في جميع الأصفياء (٩)  
وبعد هذا التاريخ ذكرها شعر في القرن الخامس عشر، وهو عبارة عن أناشيد روحية تداولها النصارى في كنائسهم، وفي بيوتهم،  
وهي دينية الطابع، تنضح بالإيمان بها، وباحترامها وبإكرامها، وبقدرتها على الفعل، وهي مجهولة المؤلف، منها:  
كم في حماك مثلي جريح  
يرجو لقاك أم المسيح (١٠)

## ٢. في العصر العثماني

ازدهر الشعر الديني في العصر العثماني، وكثر الشعراء، وقد برز منهم كثيرون، نذكر ميخائيل حاتم (١٦٠٥م) وله شعر يمجد فيه  
البتول، فهي النور، والإشعاع، والإشراق، والسموّ. وهي المنجدة، والمنقذة، والمناحة القدرة. يقول:

يا من ضياها باها  
شمس العلا أباها  
طوباه مستجدها  
عند الإياس يراها (١١)

ويتغزل إبراهيم الحكيم (منتصف القرن ١٦) بمريم للعدراء. ويخصص معظم وقته من أجلها، ولعبادتها، لأنها الوحيدة بين النساء  
ممن يستحقن التبجيل والتكريم والاحترام. يقول:

لقد عفت كل الحب من دون حبها  
فكل رداء ما عدا ودّها دها  
فحتام أرجو في الأنام مودة  
وقد زاد وجدي دون أحبابها بها (١٢)

لا يكاد واحدهم يكتب الشعر إلا ويذكر كمال مريم وطهرها في كلامه، وهذا دليل على عمق الإيمان، والتربية المسيحية السامية،  
ومن هؤلاء القسّ الياس الغزيري (١٦٦٩م). يقول في ختام قصيدة له:

والعدرا طاهرة من العيوب  
تحرسكم من البلية (١٣)

على أن المطران عبد الله قرألي (١٦٧٢-١٧٤٢) أسهم في وضع الأناشيد المعروفة بالأفرايميات والمدائح الزجلية، وقد رتلها الناس  
في الكنائس وهي تعبر عن آراء الجماعة، وعن الإيمان بالسيّد المسيح وبمريم العذراء. والآراء المطروحة فيها تصبّ بأغلبها في  
الحب، وفي نشر التعاليم المسيحية، وفي محاولة ترسيخها بين العامة، ولاسيما تأنس الإله بهدف تخليصنا من الخطيئة. فالترتيل  
في الكنيسة يدغدغ مشاعر الناس، ويشدهم إلى السلوك المسيحي المتقشف، المتعاطف مع الجماعة:

من يسوس الناس  
فكيف من قد ساس  
جميع الملائك  
داخل حشاها  
ينبغي أن يكون  
الذي يعلو  
بشوق يخدمون  
كلمة الإله  
أعلى من الناس  
قدس الأقداس  
الذي انحبس  
الذي تأنس (١٤)

غير أننا، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، رأينا من يهتم بإدخال الفكر المسيحي في الشعر، ونخصّ نيقولاوس الصائغ  
وجرمانوس فرحات وسواهما، إذ نضحت أقوالهم بالإيمان بالعقائد، وبالبشارة بيسوع وهي دالة دلالة راسخة على طهر مريم، وعلى

٩. لويس شيخو، مخطوط رقم ٥، موجود في المكتبة الشرقية، ١٣.  
١٠. لويس شيخو، مخطوط رقم ٥، موجود في المكتبة الشرقية، ١٤.  
١١. منير وهيبه الخازني الغساني، الزجل، ١٤٠، ١٤١.  
١٢. لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الإسلام ٢، ٤٧٩.

١٣. منير وهيبه الخازني الغساني، الزجل، ١٤٨.  
١٤. يوسف فرج عاد، الحركة الأدبية في لبنان خلال القرن  
الثامن عشر، ٢٢٢.

اختيار الخالق لها. كذلك، الإكرام المخصّص من الكنيسة للسيّدة مريم، إذ برز على لسان إليصابات، بقولها: «مباركة أنت بين النساء» (١٥). يقول جرمانوس فرحات:

وأشرقَ الله في ناسوت آدمه  
وبينما الجهل يغشى العقل منتصراً  
مد جاء جبريلُ العالِي بِبُشْرَاءِ  
بدت طلائعُ جبريل لعذراءِ  
لك الكلامُ أيا قدسُ استقرّ به  
ربُّ تعالَى بِالْقَابِ وَأَسْمَاءِ (١٦)

فالبتول سامية، وسموها دليل كمال، والكمال قريها من الله، والابن، والروح، فالتفخيم عن حلول الروح القدس في أحشائها، ذلك أنّها سيّدة الكلّ، وما يعبر عنه الشاعر، هو الشعور الجمعي للناس، وما اختارها إلا لعظمتها ونقاوتها، أو ما تعبر عنه الكنيسة، أي مجموع المؤمنين بها، ولعلّ في ذلك تقليداً ينمّ على الحقيقة الإلهية الكامنة لدى المؤمنين. يقول نيقولاوس الصائغ:

سلطانة الأرض طراً والسماء لقد  
والآب فخّمها والإبن كرمها  
علت بدون حجاب عالِي الحُجُبِ  
والروح عظّمها في أمجدِ الرتبِ (١٧)

لقد عالج الشعراء السالفون موضوعات متعدّدة، ومنها: البشارة والسموّ والشفاعة والمقارنة بين مريم والكنيسة.

### ٣. بشارتها

البشارة هي الإخبار بشيء جديد، أو بخبر مفرح (١٨)، والبشارة بالمسيح هي إخبار بالتقوى، وبالحياء الفاضلة، وبالروح النقيّة، وبطور جديد. يقول المنسنيور توماس حبيب إنّ البشارة تعني الرسالة الحسنّة، أو الإعلان الحسن، وهذا الإعلان هو أعظم بلاغ في التاريخ (١٩). ويقول المطران جوزف عيسي: البشارة تستعمل للإنباء بحدث فريد، محدّد، مفرح، حصل للبشرية (٢٠)، وفي ذلك أهميّة لخلّاص البشرية، فالروح القدس سام، والخلّاص متعلّق به، وأمومة مريم متميّزة كونها ولدت الإله والإنسان. فالبشارة تفوق قدرة البشر، وتفوق قدرة مريم الشخص، وتتخطّى إدراكها، وتبرز تقدير الله لحرية هذا الإنسان، إذ خلقه على صورته ومثاله، وخلق مريم مثال الكمال، عدا السرّ المنقول عبر جبرئيل، الجاعل من الله الروح المتجسّدة في مريم، وهكذا يصبح يسوع الإله مثلنا بالجسد، يشعر، ويحسّ، ويتألّم، وإن كان هو الإله القدير، فقد اتخذ صفة الإنسان ليرفع مريم المؤمنة، والعاملة بصمت، لتأدية رسالة المسيح، فساهمت معه بالحياة الجديدة الكامنة ما بعد الموت، والقائلة بأنّ الروح خالدة معها.

إنّ انتقاء مريم بالذات، هو دليل نقاء وحبّ، حبّ للإنسان كي يرتقي به فيتجدّد ويحيا حياة خالية من الأخطاء، فينضوي تحت كنف مريم الأمّ الطاهرة، جامعة أبناءها في الكنيسة، فتنمو الكلمة عبر الجماعة. يقول الأب بيار نجم: « إنّ مريم تظهر طاهرة من كلّ وصمة من خلال كلام الربّ، وبالتالي قادرة على قبول الطاهر، وقدّوس في وسطها. فكما أنّ آدم باكورة تراب عدن، كذلك تصبح مريم عدن الطاهرة، منها يخرج آدم الجديد، وكما ظلّت عدن طاهرة بعد سقوط آدم وحواء، كذلك بقيت مريم مصانة بعد تجسّد الابن فيها. (٢١) بشّرت العذراء بأنّها ستلد الإله بلا خطيئة، بأمر إلهي، فهي والحال هذه قادرة على فعل المستحيل، لأنّ روح الله حلّت فيها من غير أن تعرف رجلاً.

ليس غريباً هذا الأمر على الله، فقد شاء أن يتجسّد ليخلّصنا، فقدّس السيّدة رافعاً إياها فوق الخلائق. فاختيارها من بين النساء دلالة على ما نقول وإكرام لها، ورفع لجنسها، فمقامها فريد بالنسبة للخالق، ودليل على اشتراكها معه في خلاص البشرية. نرى حصول هذه الهالة نتيجة كونها والدة الإله، يؤكّد ذلك بشارتها، وانتقاؤها من بين جنسها، وهذا دليل على طهارتها، وعلى تسليط الضوء عليها، وعلى أنّ لها دوراً عظيماً.

١٥. لوقا ١/ ٤٢. المؤتمر المريمي الأول، جامعة سيّدة اللويزة، زوق مصبح، ٢٠٠٧، ٣١.

١٦. جرمانوس فرحات، ديوانه، ٤.

١٧. نيقولاوس الصائغ، ديوانه، ٣٥.

١٨. المنجد في اللغة والإعلام.

١٩. المنسنيور توماس حبيب، «يوم البشارة هو يوم الرسالة الحسنّة»،

مصبح، ٢٠٠٧، ٦١.

سليمان الغزّي هو واحد ممّن صوّروا التعاليم المسيحيّة برهافة الحسّ، فنقلها إلى الناس عبر صورة عاطفيّة مليئة بالحبّ والإشراق، ذلك أنّها وعد بالخلّاص، وما حبلها بالابن إلّا في سبيل منح الحياة. والتوالد هو إكثار البشر من أجل الاستمرار، وهذه أمانة وضعها الله بنا عندما قال: أنموا واكثروا، واملأوا الأرض. فبشارة مريم هي العمل على دفع الحياة، وإحياء البشريّة، البشريّة السامية، المتألّقة. ثمّ إنّ تساؤل مريم حول الحبل بها، لأنّها لم تعرف رجلاً، وهو تساؤل فيه تفكير عميق، حول شيء قد تتعرّض له، إنّهُ شيء جديد. فسلام الملاك لها هو دلالة على احترامها، وعلى أنّها كانت بقدر السلام، ذلك أنّها تلقّته برصانة المفكّر، الواعي، غير أنّها بدت مسرورة، لأنّ الخالق حلّ في أحشائها، فقبلت البشرى بتواضع كلّّي، وبإيمان عميق دلّ على أنّ عهداً جديداً سيبدأ، وهو سيغيّر كثيراً من الواقع التقليديّ وهي معنيّة به، ولها رأيها، وقد كان قبولها البشارة بتواضع كلّّي. عدا الألقاب الوافرة كابن العليّ، والقدّوس، وابن الله، وما ذلك إلّا دلالة على عظمتها، ورفعتها، وسموّها

أتاها بالبشارة جبرئيل	ملاك السرّ في حلّ البهائم
فقال: حييت مريم لا تراعي	مباركة تكوني في النساء
بحقّ تحبيلن الآن بابن	هو ابن للعليّ الكبرياء
يكون له على يعقوب ملك	إلى دهر الدهور بلا فناء
فقال للملاك: وكيف هذا	وما بشر تقرب من رداي
ومن تلدين فالقدّوس يُدعى	وابن الله يُسمى في الملاء
فقال: ها أنا أمةٌ لربّي	فأقبل ما أتيت بلا إيساء (٢٢)

وصف الشعراء مريم، بما يليق بها، مستلهمين من التعاليم المسيحيّة، وبخاصّة البشارة ما يسمو بالعدراء، وما يشرفها، وما يجعلها حقيقة والدة الإله، وما يجعلها فريدة في جنسها.

#### ٤. سمّوها

تتمتّع العدراء مريم بكمال فريد، فلم يكن في النساء مثيل لها. فقد شرّفت بكمالها سائر العداري، لأنّها والدة الإله بحيث أعطت الطبيعة البشريّة للإله المسيح، وعدراء، وتقية، والمثال في الديانة المسيحيّة، فالنظرة التاريخيّة إلى السيّدة، هي دلالة على العظمة، وعلى الاستمرار في ذلك التقليد السامي، وفيه قيمة كبرى، في الاعتقاد الراسخ ببتوليّة الأمّ عبر تاريخ شعبيّ يصوره لنا المفكّرون. فعندما نقول أمّاً عدراء، نفكّر بالمسيح الإله الذي أخذ طبيعة البشر، فدلّ على سموّ مريم المرتبطة بالخالق. يقول سليمان الغزّي:

سما شرفٌ لمريم في العداري	وفخرٌ في جميع الأصفياء
فأمست في الدهور بلا مثال	بتولاً وهي أمّ في سواء (٢٣)

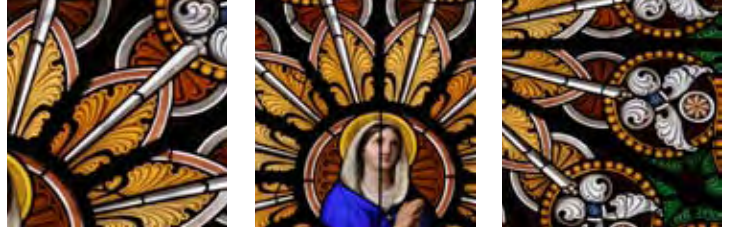
فالعدراء سامية، لأنّها والدة الإله، وهي، هنا، تمثّل الأمّ المثاليّة، المضحيّة، في سبيل الوجود بأغلى ما يكون لدى الإنسان، فشأن العدراء، هنا، شأن المسيح، الخالق، والنبّي، والوليّ، والرسول، والشهيد، وكلّها كلمات سامية في معانيها، غير أنّها تبقى عرضة للموت بمقارنتها بالنبّي، والوليّ، والرسول، لأنّها من البشر. غير أنّها تشارك المسيح في مجده، وفي رسالته الخلاصيّة. يقول جرمانوس فرحات:

علوت قدرًا، فصرت أمّا	لخالق الخلق في الوجود
فمّن نبّيٍّ ومن وليٍّ	ومن رسولٍ ومن شهيدٍ (٢٤)

٢٢. لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الإسلام، ٤١٨-٤١٩.

٢٣. لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الإسلام، ٤١٨.

٢٤. جرمانوس فرحات، ديوانه، ١٨٢، ٢.



نعتت السيِّدة بأوصاف كثيرة دلَّت على جلالها، وتعظيمها، وتقديرها، فتناولها كثيرون بالمديح، والوصف. وهي عذراء، ووالدة، وسلطانة الأرض. كلُّ ذلك نابع من التعاليم المسيحيَّة، الجاعلة منها النموذج المثالي، والمشاركة للمسيح في عمله. فنسل مريم البكر هو نسل سام، هو المسيح، ولعلَّ تلاميذه وأتباعه المسيحيين كلَّهم أبناءها. هكذا، فالعطف متبادل بين الوالدة والأولاد المنتسبين إلى الشعوب على مختلف أجناسها. وقد يكون في الأفكار الواردة، هنا، تعظيم للشعب من خلال تعظيم السيِّدة، ودلالة واضحة على احترام الناس لها، من خلال التعاليم المسيحيَّة. وما يدلُّ على سموها هو عظمتها، وعصمتها، أي أنَّ الله لا يمكن أن يحلَّ إلا حيث الطهارة والنقاء، وهذا ما رقى مريم وأسمائها، وبخاصَّة أنها عذراء، ووالدة الإله، وهل أسمى من أن يحلَّ الخالق بها، وهل أسمى من أن يصبح الخالق إنساناً ليرفع أمه ويرفعنا!

فبكوريَّة مريم جعلتها أفضل الخلق، وأسمى من الملائك، وفي ذلك اختيار مهمّ، ومقارنة دقيقة، فهي الإنسانة، ووالدة الإله في الوقت عينه، جاء في إنجيل لوقا: «وبعد ذلك جال في المدن... ومعه الاثنا عشر، ونساء كان أبراهن من روح شريرة، وأمراض، وهن مريم التي تدعى المجدليَّة التي أخرج منها سبعة شياطين، وحنة امرأة كوزي قهرمان هيرودس، وسوسنة، وآخر كثيرات كنَّ يبذلن من أموالهنَّ في خدمته» (٢٥).

ولعلَّ أهميَّتهنَّ في أتباعهن يسوع، وإيمانهنَّ به، بينما تكمن أهميَّة العذراء بولدها يسوع. سمو السيِّدة باد في كلام جرمانوس فرحات، وهو أنها خلقت كما أرادت، لكن، ألا يناقض كلام جرمانوس فرحات ما ورد عن لوقا، قوله: «ها أنا أمة للرب، فليكن لي بقولك» (٢٦). إنَّ انتقاءها أمَّ لله دليل على تواضعها وسموها في أن. واستخدام الكلمات الحسيَّة في أثناء الوصف يدلُّ على أنَّ المجتمع قد يكون متأثراً بالماديَّة.

سموت يا بتولَّة في العذارى  
على كلِّ الأنام عُلِّي وفُقت  
خُلقت درة لا عيب فيها  
كأنك مثلما شئت خُلقت (٢٧)

إنَّ كلمتي البكر، ووالدة الإله، يدلَّان على كمال السيِّدة، وعلى رفعة جنسها، وعلى أهميَّة كبرى، ودليل على سمو؛ ولعلَّ في محاولة الشاعر الإشارة إلى حواء، عندما أغوت آدم، البرهان القاطع على سموها باتجاه الآخريات. في كلِّ ما ورد تأكيد على كمال مريم، وعلى مكانتها لدى المسيحيين، أو في تعظيمها تجاه الآخرين. أو لعلَّ الأقوال انعكاس آراء الشعب عبر لاوعيمهم السحيق المسطرَّ بهالة من القدرة والتعظيم. أمَّا سموها على سائر الأنبياء فهو وارد في الفكر المسيحي، فقد حلَّ يسوع في حشا مريم من بعد سلام الملاك عليها، وإبلاغها الرسالة السماويَّة (٢٨):

ونظراً لأهميَّة مريم رأى القوم أنها كلُّ شيء في الوجود، وأن كلَّ شيء مرتبط ومؤمن بوساطتها. يؤكِّد ذلك أنها صاحبة المقام السامي، والمكانة، والمقدرة، وفي ذلك مخطَّط مدروس، هدفه الوصول إلى المرامي النقيَّة التي تسمو بالإنسان لتسمو بالبشريَّة جمعاء. وليس قول مريم: «فليكن لي بحسب قولك» (٢٩) إلا المخطَّط الرامي إلى عمل ما كان موجوداً في فكر الله منذ سالف الأزمان، ينفذ الآن عن طريق مريم التي يمكنها أن توصل الرسالة بحسب المطلوب.

٢٨. بطرس الجميل، مريم العذراء في الكنيسة المارونيَّة، المطبعة

البوليبيَّة، ١٩٨٨، ٤٠.

٢٩. لوقا ١ / ٢٨.

٢٥. لوقا ١ / ٨ - ٣.

٢٦. لوقا ١ / ٣٨.

٢٧. جرمانوس فرحات، ديوانه، ١٢٢.

## ٥. شفاعتها

العذراء هي الكمال، والدليل على ذلك في التعابير العديدة التي تطلق عليها: لإجلالها، وأنها سرّ، وأية عظمى، وشفيعه، وهيكل لسكنى الإله يسوع، فقدرتها مدعاة لأن تخلّصنا، فتساعدنا على تجاوز الصعاب، كيف لا وهي مثل ابنها، بالنظر إلى مقدرتها وسموها. لا يقتصر عملها على فرد، إنّما هو معمّم على البشرية جمعاء، فهي الكنيسة وأمّ جميع المؤمنين، هي حواء الجديدة التي تجسّد المسيح فيها، ولعلّ العلاقة هي الرمز مريم-المسيح، أي الكنيسة-المسيح، فالكنيسة هي مثل مريم حاضنة الجميع، ولذلك فهي تقنّذنا، وتخلّصنا بعملها، فمريم أمّ حاضنة، ومريم أمّ شفيعه ومخلّصة، ومريم فائقة الكمال. يقول نيقولاوس الصائغ:

بشفاعة البكر التي هي للورى خير الشفيح (٣٠)

دور العذراء كبير لأنّها حاملة الإله، المتجسّد بها، من أجل إنقاذنا، فهي الضوء المشعّ، الهادي، المنير الطرق لمساعدتنا عند الملمات، وهي الوسيطة بيننا وبين الله، وهل أسمى من وسيط يرتبط برباط وشيخ بين طرفين. فرباط السيّدة بالمسيح كإله، وشيخ كونه حلّ في أحشائها، وارتبطت بنا كبشر كونها إنساناً. وليس الأمر صدفة عند الله، فقد عمد أن يخلّصنا لينقذ الجنس البشريّ ويسمو به ما دام قد خلقه على صورته ومثاله. فارتبطت مريم بالله لتتقدّ رسالة سامية. والصلوات المقدّمة لها مجبولة بالدعاء وبالتضرّع، وصولاً إلى ما رأيناه «اطلبي أيتها الطوباوية من الذي تأسّ فيك، وألّهنّا، واتّضع، وعظّمنا بأن يزيتنا بالفضيلة» (٣١). يرى الشاعر أنّها المخلّصة، تساعد جنسها، ولعلّ في إشارتها إلى الضلال هو ما قصد به حواء بقلة إيمانها، وعلى أنّها حواء الخاطئة، المرتكبة المعصية، والماتتة، بينما مريم هي من أعطانا الحياة. يقول نيقولاوس الصائغ:

بجاه التي قد شرف الله قدرها  
هي الآيّة العظمى وسيطة جنسنا  
فجار بمعنى سرّها كلّ عالم  
هي الكوكب الوضاح يهدي ضياؤه  
شفيعتنا يوم اجتزاء المآثم  
لمن ضلّ في ظلّ الذنوب القوائم (٣٢)

ويرى حنانيا المنير (٣٣) أنّ العذراء تشفع بشعبها، وهذا اعتقاد راسخ يثبته الشاعر في كلامه، تعبيراً عن الإيمان العام بأنّ الخلاص لا يكون إلّا عن طريق مريم، لأنّها أعدت لهذه المهمّة، منذ حلول الروح القدس بها. يقول:

وتشفي بي يا بتو لأوادركيني بالعجل (٣٤)

تحمل العذراء التفاؤل إلى البشرية، يظهر ذلك في صعودها بالجسم إلى السموات، ثمّ إنبائها بساعة الموت، وفي ذلك إثبات للكمال، وللتوسّط للناس لدى ابنها.

لا يجوز لنا التساؤل حول صعود العذراء إلى السماء، فقد أصبح ذلك عقيدة إيمانية لا يجوز الشكّ بها، والجواب كامن في اتّحاد مريم بيسوع نتيجة حلوله فيها، يعني أنّ لهما المصير نفسه، وأنّها صعدت إلى السماء، وانتقالها يضيف عنصراً جديداً، وهو غاية مصيرها المرتبط بمصير المسيح، وهو رسالته، ودعوته. فبعد أن أتمّت مريم مسيرة حياتها في الأرض رفعت بالجسد والنفس إلى المجد السماويّ (٣٥). ونظرًا لهذا الاعتقاد فهي تشفع، ويطلب منها كما يطلب من المسيح.

بالله يا مريم العذراء أسألك أن تخبريني بمن بالموت أنباك (٣٦)

للسيدة مكانة رفيعة لدى المسيحيين يعكسه الشعراء في أقوالهم، والدليل على ذلك بتوليّة العذراء، وفي ذلك سموّ وكمال، وحبّ، وتقدير، واعتقاد. فالمسيحيون يرفعون العذراء، فيجعلونها بمصافّ الخالق، وما النوع والأوصاف التي قبلت فيها غير شاهد يؤكّد الآراء المثبّته. وهكذا، وبالنظر إلى معطيات متعدّدة راسخة لدى المسيحيين، تكرّس أعمالها المهمّة، يطلب نعمة توما الحلبيّ (٣٧) الرحمة منها، معتمداً عليها، متشفّعاً بها، مؤمناً برسالتها المرتبطة برسالة ولدها، وينضح ذلك عن تعلق فريد برز نحوها، فأوضح سموها المرتبط بالخالق المتأنّس لعظمتها. يقول:

٣٠ - ولد في أواسط القرن الثامن عشر (لويس شيخو، حنانيا منير شعره

٣٠. نيقولاوس الصائغ، ديوانه، ١٤٢.

وتاريخه، المشرق، ٤، ١٩٠١، ٩٦٩).

٣١ بطرس الجميل، مريم العذراء في الكنيسة المارونيّة، ١٢٨.

٣٤. الأمير حيدر شهاب، تاريخ أحمد باشا الجزائر، ٣٥٨.

٣٢. نيقولاوس الصائغ، ديوانه، ٢٥٨.

٣٥. أوغسطين دوبره لا تور، خلاصة اللاهوت المريمي، ٩٢.

٣٣. ١١٧٠-١٢٤٠هـ/ ١٧٥٦-١٨٢٤م (أسامة عانوتي، الحركة الأدبيّة في

٣٦. جرمانوس فرحات، ديوانه، ٣٣٧.

بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، ١٠٨).

شفيعتي يوم كربى  
عن خالص الحبّ ينبى  
من فضلها خيرُ قرب (٣٨)

بجاه بكرٍ بتول  
منّي عليها سلام  
من عبد رقى يُرّجّي

وبالخلاصة، ليست الشفاعة إلاّ الطريق الموصلة إلى الغاية السامية، إنّها اعتقاد بالسيدة وبالمسيح، وبرسالتها الواردة بشكل واضح ومتكامل في الكنيسة.

#### ٦. الكنيسة والمقارنة بينها وبين مريم

الكنيسة هي بيت المسيح، وهي مكان تأدية الشعائر الدينية، فيها يلتئم المسيحيون لمعاودة مراحل الفداء، والإفادة من نعمه، وللمشاركة في الصلاة، والتأمل، والتسبيح، والشكر. الكنيسة مكان اجتماع الجماعة الصالحة التي أوصى بها المسيح، فدعا إلى الالتحاق بأبنائها، والمقصود بالكنيسة هو شعب الله من المؤمنين، المتّحد، والمؤلّف جماعة لها ميزات خاصّة، منها العبادة، والحياة الأخويّة القائمة على المشاركة والمحبة لإعلان كلام الله، والشهادة لقيامة المسيح، وعمله الخلاصيّ بوساطة هذه الكنيسة التي تعتبر امتداداً له (٣٩). جاءت العذراء لتخدم البيعة، وتحببها، وتغيّر واقعها نحو الأحسن، وتضخّ فيها حياة جديدة تستمرّ مدى الأزمان، وفي ذلك إشارة إلى المسيح الذي حملته، حيث وهب الحياة للبشر بعد أن كانوا أمواتاً لا رجاء لهم. علاوة على إزالة الكفر والكذب، والتأكيد على الحياة النقيّة والخلود. والحاء في الياء إشارة إلى أنّ الحقّ والحياة في يسوع المسيح، وهو تلميح إلى قوله: «أنا هو الحقّ والحياة». يقول جرمانوس فرحات:

ماء الحياة لأمواتٍ وأحياءٍ  
والصدق في طربٍ والحاء في الياء (٤٠)

لك السلام أيا كنزاً به وجدوا  
فالكفر في حربٍ والكذب في كُربٍ

يدعو المسيح إلى التجمّع في الكنيسة، وإلى سماع كلام الكتاب، ثمّ تفسيره للاستفادة من مضمونه، لأنّه يرينا التعاليم التي أنشئت من أجلها الكنيسة، ومنها الخلاص المرتبط بالمسيح. وللاجتماع أهميّة لتوحيد الكلمة عبر مجموعة معيّنة، منتقاة. فالمسيح متسامح، ملأت رسالته الكون، وانتشرت في سائر الأقطار، وليس ذلك إلاّ الدليل القاطع على أنّ الرسالة مقبولة بأفكارها، ومضامينها. ساهمت مريم مع ابنها بانتشار الرسالة، ومن هنا الحاجة إليها، فتهلت الشعوب المعرفة والحبّ والتوهج عنها، تخفّف عن قاصديها، وتعينهم. يقول جرمانوس فرحات:

من فيض جودٍ حفّ بالملأاء  
من كانت السراء للضراء (٤١)

وتزاحم الورادُ فيك ليملاًوا  
إن قيل من تهوى أجبث مؤرّياً

برزت مريم العذراء كما الرسل، فهدت، ووجهت الشعب، وقومت، فدخل الناس في الرسالة، وهذا دليل سموّ مريم، ونقاء، ومحبة، فكان عملها رافداً للعمل الإلهي. يقول نيقولاوس الصائغ:

آياتها فمخضراً ومولداً  
متمجساً قد كان أو متهوداً  
وجمالها أمسي ويومي بل غدا (٤٢)

كم قد هدت ضلاً إلى دين ابنها  
ولجوا بدين الله أفواجاً فإن  
أنذرت ذاتي وقف حبّ كمالها

٣٧. القرن ١٢هـ/ ١٨م (جرجس منش، نعمة توما الحلبي، المشرق ٥، ٤٠. جرمانوس فرحات، الديوان، ٥، ٦.  
١٩٠٢، ٣٩٦).  
٣٨. جرجس منش، نعمة توما الحلبي، المشرق ٥، ١٩٠٢، ٤٠٠.  
٣٩. يوسف بشارة، بولس الفغالي، العذراء مريم، طذ، دار الكتاب  
المفضّل، الزلّقا، ١٩٧٩، ٩٩.

الكنيسة أفضل مكان لجمع البشر، وجمعهم من أجل تنقية نفوسهم، وحبهم بعضهم لبعضهم الآخر، ثم توعيتهم على سرّ الثالوث، وأبعاده، ومراميه، فالكنيسة مهتمة بالاعتقاد الجمعي، ودلالة على الإيمان، وعلى الحيوية التي يخلقها الشعب. يقول نيقولاوس الصائغ:

ذي خيرٍ واحدةٍ وجامعةٍ معاً      قدسيّةً بمثلثِ الأقداسِ (٤٣)

مريم شبيهة بالكنيسة، إنَّها مقصد المحتاج إلى الغذاء الروحيّ، تكفي من يقصدها، وتغنيه بعطفها، وبنورها، وبرحمتها. يقول جرمانوس فرحات:

يا عمدتي في شدّتي      ناري بنورك تطفأ

يا مورد الظامي الذي      من غيركم لا يظماً (٤٤)

العذراء صنو الكنيسة، شامخة، متسامية، تفيد، وتبّد الظلمة، تغذّي المعرفة والعلم والحبّ، يرتاح من يقصدها. يقول جرمانوس فرحات:

يا عرش مجد الله يا شمس الهدى      قد مرّقت ببيزوغها الظلماء (٤٥)

يرى المطران جورج أبو جوده أنّ الكنيسة هي نبع الحياة من خلال أسرارها السبعة، هي صورة مريم تستمرّ عبر الأجيال، وكما أنّ الكنيسة هي حاملة العهد الجديد، نفهم أنّ مريم هي الكلمة الأولى في هذا العهد (٤٦)

العذراء تعضد الكنيسة، وما الكنيسة غير نحن، الناس والكهنة، والمؤمنون، وكلّ هؤلاء يرون في مريم العذراء الإنعام والقدوة الجيدة، لبناء عالم جديد، خال من الأخطاء، ومن هنا القول المؤكّد لرأينا، والداعي إلى سموّ البشريّة عبر مريم وعبر شعبها في الكنيسة، نظراً لسموّها، وكمالها، وطهرها، ولأنّ العبور من خلالها إلى المسيح، فهي الهيكل، والحاضنة. يقول نيقولاوس الصائغ:

بأجلّ من إنعام مريمٍ من بها      بالفضل حقاً قد يُؤمُّ ويُقتدى

ما شاهد الآيات منك موفّق      إلأ ودان لصدقها وتشهداً

كلأ ولم يبصر مراحمك امرؤ      إلأ وعاد مكبراً وموحّداً (٤٧)

#### خلاصة

قدّر للديانة المسيحية أن تنتشر عبر المسيح، والعذراء، والرسل، فكثّر المؤيّدون، وانتشروا في أصقاع الدنيا، وهكذا جاز الحديث عن الكنيسة، وعلى أنّها مكان الجمع، والرسالة، وعن أهميّة مريم ودورها في التدبير لخلاص البشر، وعلى أنّها شريكة في الفداء، والعمل على ترقية الشعوب، وتوجيهها وجهة عقديّة في الاقتداء بالمسيح أو بالعذراء، وفي المشاركة من أجل الخلاص. تجاه ما مرّ، كان لا بدّ للمفكرين من أن يدلّوا بأرائهم حول الوجود، والحياة، والكون، لإتخاذ العبر، والتأمّل في الكون الماديّ، عبر مظهر روحانيّ، وعلى أنّ في هذا المظهر الروحانيّ عاملاً علويّاً مؤثراً في الكائنات الحيّة، قد يسهم في إرتقائها نحو عالم أفضل، مخلصاً إيّاها، حيناً، من الأدران الأرضيّة.

٤٣. نيقولاوس الصائغ، ديوانه، ١٢٥.

٤٤. جرمانوس فرحات، الديوان، ٢٠.

٤٥. جرمانوس فرحات، الديوان، ٢٨.

٤٦. المطران جورج أبو جوده، «البشارة كلمة عهد»، جامعة سيّدة اللوزية،

زوق مصبح، ٢٠٠٧، ٤١.

٤٧. نيقولاوس الصائغ، الديوان، ٦١.





د. لويس حبيقه

## تنقنا الاستثمارات الجديدة في البنية التحتية

السلع والخدمات. قيمة الاستثمارات في قطاع البناء، تقدّر سنويًا بـ ١٢٥٠ مليار دولار في الولايات المتحدة أو حوالي ٢٥٪ من المجموع العالمي، تليها اليابان ثمّ الصين وألمانيا وفرنسا. أمّا نسب نموّ القطاع التي تبلغ عالميًا حوالي ٢,٣٪ سنويًا، فتأتي آسيا في الطليعة مع نسبة ٧٪، تليها منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (٣,٥٪)، وأميركا الجنوبية (٣,٢٪)، بينما تنخفض سنويًا بنسبة ٥,٥٪ في أوروبا الغربية. أمّا في الدول وتبعًا لنسب النموّ، فتأتي الصين أولاً، ثمّ أستراليا وأندونيسيا والهند وبنغلادش فقطر التي تعرف نموًا مدهشًا ساهم في رفع قيمة الدخل الفرديّ إلى أعلى مستوى في العالم. وبالرغم من تأثر القطاع الكبير بالأزمة الماليّة العالميّة، فهناك مؤشرات نهوض جديدة تدعو للتفاؤل، لكنّ المشكلة تكمن في كثرة العرض وعدم تجاوب الطلب الحاليّ معه.

أمّا قطاع النقل المحليّ والإقليميّ، فدوره في النموّ معروف وقويّ. يتأثر كثيرًا في مختلف جوانبه بالتقدّم التكنولوجيّ المخفّف للتوتّ والتكلفة والفاعل من نواحي السرعة والأمان والخدمة الجيدة. المطلوب أن تكون في كلّ دولة سياسة نقل تهدف إلى خلق شبكات آمنة وفاعلة تحترم البيئة، ويمكن للمواطن استخدامها بأسعار مقبولة تعكس «التكلفة الحديّة»، وهو مبدأ ماليّ متعارف عليه دوليًا. تركز سياسة النقل على توافر الانشاءات والاستثمارات والخدمات في المطارات والطرق والسكك الحديدية والمعابر المائية. نجحت أوروبا مثلاً في وضع سياسات نقل فاعلة تعبر الدول وصديقة للبيئة ومتوافرة بأسعار عادلة بمتناول المواطن العاديّ. في قطاع الطرق مثلاً، من واجب الدولة تأمين الأموال للصيانة بالإضافة إلى إنشاء الجديد، وذلك لوصول المناطق كما الدول بعضها ببعض. فالتقصير في الانفاق ينتج حوادث سير كبيرة يمكن أن تكون قاتلة. فسلامة الطرق أساسية جدًّا للنقل وتخضع لمعايير الفعاليّة والسلامة. يمكن تمويل هذا الانفاق عبر ضرائب مخصّصة لها كما هو حال «الميكانيك» وضرائب المحروقات وتعريفات العبور على الجسور

الاستثمارات في البنية التحتية ضرورية للنموّ والتنمية كما لرفع مستويات الإنتاجية والتنافسية. فهي أحد أسباب النموّ القويّ السنويّ للصين والمتوقّع أن يكون ٩,٢٪ وللهند ٧,٩٪ حتّى سنة ٢٠١٢، بينما لا يتعدّى المعدّل العالميّ نسبة ٤,٨٪. تقسم البنية التحتية إلى أجزاء عدّة، منها البناء والاتصالات والكهرباء والمياه والطرق وشبكات الريّ والنقل وغيرها. لبنان للأسف مقصّر فيها جميعها، ليس فقط بسبب التمويل، وإنّما وخاصّةً بسبب سوء أوضاع الإدارة العامّة والفساد كما الخلاف على الخصخصة بالرغم من وجود جهاز عامّ لها منذ سنوات. من لا يتقدّم يتراجع، وهذا هو وضعنا اللبنانيّ في كلّ هذه القطاعات الحيوية للنموّ والنهوض والتقدّم ضمن الاقتصاد الدوليّ التنافسيّ.

من أهمّ مصادر النموّ القويّ الإنشاءات الجديدة، وهي حال الدول النامية والناشئة، وليس عمليّات التحديث والصيانة كما هو الواقع في الدول الصناعية. في الولايات المتحدة مثلاً، تبلغ قيمة مبيعات قطاع الانشاء أو البناء سنويًا حوالي ١,٣ مليار دولار، أي تشكّل حوالي ١٠٪ من الناتج المحليّ الإجماليّ وتوظّف ما يقارب الـ ٧ ملايين شخص. أكثرية الشركات الأميركية في القطاع، والبالغ عددها ٧٠٠ ألف، تعتبر صغيرة، أي ٦٢٪ منها توظّف ٤ أشخاص أو أقلّ وتخضع للعديد من القيود والإجراءات الرقابية التي تختلف من ولاية إلى أخرى وحتى بين المدن. هنالك قوّة نقابية هائلة في القطاع بحيث يقدر عدد النقابات بـ ١٥ على المستوى الوطنيّ الأميركيّ، وحوالي ٧ آلاف على المستوى المحليّ. في لبنان، قدّرت مساهمة قطاع البناء بحوالي ٦٠٩٠ مليار ليرة في سنة ٢٠٠٨، و٧٠١٢ مليار ليرة في سنة ٢٠٠٩ أي حوالي ١٣,٥٪ من الناتج المحليّ الإجماليّ في كلّ من السنتين، ومن المتوقّع أن تتراجع هذه السنة بسبب انخفاض الطلب على العقارات المبنية.

هنالك مثل شائع يقول بأنّه عندما يتعرّز قطاع البناء، يزدهر الاقتصاد وذلك لترابطه القويّ مع مختلف القطاعات الأخرى في

أراحت الخصخصة في العديد من الأحيان موازنات الدول وإداراتها العامة بحيث ارتفعت الإيرادات الناتجة عن البيع والضرائب، وخفّ الإنفاق الاستثماري والجاري. فللخصخصة أشكال، منها البيع أو التاجير أو التكلفة بالإدارة أو الإنشاء بالإضافة إلى عمليات الشراكة بين القطاعين العام والخاص. فالقطاع الخاص يتوخى الربح، وبالتالي ينظر بدقة أكثر من الدولة إلى عاملي التكلفة والتعريف. فهو بحاجة لجذب المواطن إلى خدماته كي يربح وبالتالي يهتم كثيرًا بالتسويق والترغيب. من المستحيل إنجاح الخصخصة من دون رقابة القطاع العام الدائمة بحيث لا يستغلّ المواطن من ناحيتي السعر والجودة.

فالاستثمارات في البنية التحتية تكون عمومًا كبيرة، وبالتالي يطلب القطاع الخاص ضمانات من الدولة لتغطية المخاطر السياسية التي يمكن أن تنشأ في كل يوم، خاصة في الدول النامية والناشئة. يكمن دور الحكومة في إعطاء ضمانات فاعلة بحيث تخفّف من قلق المستثمر من دون أن تغطّي أيّ تقصير في التنفيذ أو سوء أداء في الإدارة والتسويق والتمويل. استمرار عمليات الخصخصة يعتمد على احترام الدولة لتعهداتها، وهذا ما لم تفعله في لبنان مع عقود الخلوي السابقة التي ألغتها، وبالتالي دفعت تعويضات باهظة للشركتين كناً بغنى عنها. أمّا أوضاع القطاعات الأخرى في لبنان، فهي معروفة، وحكمًا غير مقبولة، من الكهرباء إلى المياه وغيرها. هنالك تقصير كبير ومزمن ومستمرّ يعود إلى السياسة كما إلى الإدارة، وخاصة إلى غياب رأي عام فاعل يحاسب المقصّرين.



وعبر الأنفاق وعلى الطرق الدولية الكبيرة. لا توجد في لبنان سياسة للنقل، إذ هنالك ضياع كبير وضعف في التنسيق، ما يحدث أزمات سير خانقة، بالإضافة إلى التعريفات المرتفعة في الطيران. فالنقل العام في لبنان غير مرض، ويفرض على الأسر شراء السيارات للأولاد، ما يشكل هدرًا كبيرًا وثقلًا مجحفًا بحق الطبقات الوسطى وما دون. أحوال الطرق غير مرضية، وما يتم من إنشاء أو تحديث أو صيانة يكلف كثيرًا ويأخذ الوقت الطويل، هذا إذا تحقّق. لا شك في أنّ اللبنانيين يعانون الأمرين من النقل الداخلي كما الخارجي المرتكز على وضع المطار وتكلفة السفر.

يعتبر قطاع الاتصالات ركيزة الاقتصاد الجديد، ويرتبط بشكل عضوي بالتطور التكنولوجي الذي يربط المناطق والدول بشبكات سريعة أرضية أو خلوية. يخضع القطاع لثورتين كبيرتين، أولاهما التكنولوجيا المتطورة دائمًا والمكلفة في العديد من الأحيان، والثانية هي المنافسة بكلّ أنواعها بعد أن كانت فقط جزءًا من القطاع العام منذ أقلّ من عقدين من الزمن. ساهمت الثورتان في رفع إنتاجية القطاع وتخفيض التكلفة كما في تخفيض السعر الذي فرضته المنافسة القوية. كي تكون لشبكات القطاع الجدوى الاقتصادية الفضلى، يجب أن يربط بها أكبر عدد ممكن من المواطنين والأسر والشركات. عندها يستفيد الجميع من الخدمات، ما يسمح للمستثمر بالقيام بعمليات الصيانة والتحديث والتوسيع والتكبير الضرورية للنهوض والاستمرار. نجحت جميع تجارب فتح الاستثمارات أمام القطاع الخاص المحلي والدولي في الاتصالات، ممّا ساهم في تحسين الخدمة وتخفيض التكلفة وتوفيرها في المدن والريف دعمًا للتربية والتعليم والبحوث عبر الإنترنت. لا شك أنّ لبنان مقصّر هنا أيضًا. وهنالك مشاريع استثمار ما زالت على الورق ونأمل في أن تنفّذ في أسرع وقت، وذلك لتأثير التطور ليس فقط على الاقتصاد، وإنّما أيضًا على التعليم والتربية والبحوث.

تخضع قطاعات البنية التحتية العامة الأخرى لنفس المبادئ والمعايير من نواحي الفعالية والأمان والتكلفة. في العديد من الأحيان، عجز القطاع العام عن تأمين هذه الاستثمارات والخدمات من ناحيتي التكلفة والجودة، وبالتالي كلف القطاع الخاص بها عبر المناقصات أو المزادات الشفافة.



د. جورج دبكي



## نظرة وتوقعات.. كنسيّة

للهجرة، فهي لا تقسّر كلّ شيء. فالعديد من المهاجرين ليسوا من المعدمين على الصعيد الاقتصاديّ، بل على العكس هم يتمتّعون بوضع اقتصاديّ مريح ولا ينقصهم سوى الايمان بالقضية المسيحيّة في الشرق والانخراط بفعل إرادة شخصية في عمليّة الدفاع عنها.

### إنعدام القضية

المسيحيّون في لبنان اليوم بحاجة إلى قضية يدافعون عنها ويناضلون حتّى التضحية بحياتهم في سبيلها. وهذا الأمر يقود المسيحيّين إلى الابتعاد عن الشأن العامّ وعن القضايا الوطنيّة في وطن خلقه أجدادهم بدمائهم وعرق جبينهم متّخذين من الأرز الخالد المظلل بعباءة الرهبان شعارًا له وجعلوا منه حصنًا للحريّة ولكرامة الانسان رجلاً وامرأة وطفلاً. إنّ ضعف الايمان بالوطن الناتج عن أنعدام القضية أخطر بكثير من الأسباب الاقتصاديّة والحياتيّة والاجتماعيّة. ومن هنا يبدأ الإنحطاط.

في الواقع، إنّ الانحطاط La décadence بالمعنى التاريخيّ ينتج عن عدم اقتناع أو ايمان الأجيال الحاضرة بالأسس Les fondements التي وضعها الآباء المؤسّسون للكيان أو الوطن، والتي سمحت ببناء أو ازدهار هذا الأخير وديمومته واستمراريّته. وفي نتائج هذا الانحطاط التخلّي عن قدسيّة الأرض وبيعها للطائرين، والهجرة التي لا تنطلق من حاجة أو هدف أو من مجرد إرادة للرحيل إلى أيّ مكان غير الوطن، وانعدام روح التضحية، وعدم الاكتراث للتحديات الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة، وانعدام الغيرة على الوطن، وفقدان روح الرسالة، وعدم التشبّث بالأرض، وتراجع الديموغرافيا، وإملاء المصلحة الخاصّة الضيقة على كلّ شأن آخر خاصّة الشأن العامّ، وعدم وجود أيّة إراديّة للخدمة في إطار الكنسيّة أو المجتمع (الوظيفة العامّة، القوّات المسلّحة..).

### التحديات السياسيّة

بالإضافة إلى الدور الدينيّ، للكنيسة المارونيّة دور سياسيّ مميّز من خلال البطريركيّة المارونيّة التي ما فتئت تدافع عن حقوق

تقع كنيسة لبنان اليوم، وزهرتها الكنيسة المارونيّة، على مفترق طرق في لحظة حاسمة من تاريخها الطويل الحافل بالتحديات والمصاعب والعقبات. إنّ هذه الوقفة على مفترق طرق الزمن خطيرة جدًّا من الناحية التاريخيّة: فإمّا الإصلاح والتجدّد والنموّ ومتابعة المسيرة، أو التراجع وخيانة الأمانة والسقوط في غياهب التاريخ الذي لا يرحم أبدًا.

تعاني كنيسة لبنان من تحديين جوهريين، أحدهما وجوديّ والثاني إيمانيّ. وبالمقارنة، تعاني كنيسة أوروبا من تحدّ وحيد، وهو التحديّ الإيمانيّ بوجه قوى الألداد والعلمانيّة. ومن دقّة المرحلة بالنسبة لمستقبل كنيسة لبنان:

### التحديّ الوجوديّ

إنّ كنيسة لبنان، والكنيسة في الشرق بشكل عامّ، تعاني من تحدّي وجوديّ. فالمسيحيّ الشرقيّ يعيش في قلق دائم على المصير في عمق وجدانه، وذلك منذ ١٥٠٠ عام .

وفي الحقيقة، إنّ نظرة إلى القرن العشرين تظهر مدى تقهقر الوجود المسيحيّ في الشرق حيث ولدت المسيحيّة وترعرعت. ففي عام ١٩١٤، أي قبيل الحرب العالميّة الأولى، كان المسيحيّون يشكّلون ٤٠٪ من مجموع سكّان الشرق الأوسط. وقد انخفضت هذه النسبة اليوم إلى أقلّ من ١٠٪. أمّا السبب الرئيسيّ لهذا الإنخفاض فهو الإضطهاد الدينيّ الذي يقود إلى الهجرة والتشرّد.

### التحديّ الإيمانيّ

يعاني المسيحيّون في لبنان والشرق من حالة إحباط قلّ نظيرها في تاريخهم الطويل. ومن مظاهر أو نتائج هذا الاحباط: انعدام وجود قضية مسيحيّة لدى عامّة المسيحيّين، وانعدام الرؤيا، وقصر النظر، والتلهي بالقشور، والتوجّس من أيّة أحداث على الساحة السياسيّة أو الاقتصاديّة، وإرادة التمتع بالحياة الماديّة بأيّ ثمن لأنّ المستقبل مجهول، والهجرة هذا السرطان الخبيث الذي يستنفذ طاقات الكنيسة خاصّة الشبابيّة منها. فكم من عائلة مسيحيّة أصبح كلّ أولادها في الخارج من دون أيّ نيّة في العودة إلى لبنان. وبالرغم من أهميّة الأسباب الاقتصاديّة

الموارنة واللبنانيين على مرّ الزمن. وهذه البطريركية المارونية ينظر إليها الموارنة والمسيحيون، واللبنانيون عموماً، كمرجعية تتقدّم على المرجعيات السياسيّة الأخرى مهما علا شأنها، خاصّة في أيّام المحن والأزمات.

فالموارنة تحديداً يؤمنون بقوة أنّ بإمكان كنيستهم أن تقدّم أو تفعل كلّ شيء. فهي بنظرهم المدافعة عن الكيان والحقوق والحريّات، وهي القائدة القادرة المقتدرة على مصيرهم وعلى مصير الوطن. هذا الشعور لم يعد موجوداً بين مسيحيّ الغرب حيث سادت العلمانيّة التي قادت إلى هوة كبيرة بين الشعب والكنيسة. ومما يزيد من هذا الشعور أنّ لبنان لم يصل بعد إلى مرحلة الدولة المدنيّة القادرة على تأمين حقوق أبنائها بشكل عادل وبدون تفرقة بين المواطنين، فلبنان لم يصل بعد إلى مفهوم الدولة بالمعنى الغربيّ، بل ما زالت الدولة تتأثر بشدّة بالعصبانيّات المذهبيّة والمناطقية.

إنّ هذا الواقع يفرض على الكنيسة المارونية مسؤوليات جسيمة تجاه أبنائها. فالكنيسة المارونية في الذاكرة الكيانية للموارنة هي المثال الأعلى الذي لا يخطئ ولا يهادن على مثال: كنيسة دائماً على حقّ.

ولعلّ أبرز نكسة أصيبت بها الكنيسة المارونية هي الحرب المارونية- المارونية عام ١٩٨٩ بين أبناء العائلة الواحدة، والتي أبرزت حاجة الكنيسة إلى المحافظة على دعوتها التاريخيّة من خلال عمليّة تجدد تسمح لها بالعودة إلى لعب دور كبير في لبنان والشرق في خدمة أبنائها.

#### إستراتيجية الحلول

إنّ الكنيسة المارونية كنيسة إنطاكية وسريانية ذات تراث ليتورجيّ خاص، وهي كنيسة بطريركية ذات طابع نسكيّ رهبانيّ رسولّي في شراكة تامّة مع الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ. ولقد ارتبطت الكنيسة المارونية ارتباطاً عضوياً بلبنان، حيث أقامت مجتمعاً حرّاً تسود فيه حقوق الانسان جعلت منه ملجأ لكلّ المضطهدين والمظلومين في الأرض، ودفعت بسبب ذلك أثمناً غالية بفعل تنكّر هؤلاء لأبسط أصول الضيافة والأخلاق.

إنّ دعوة كنيسة لبنان رسوليّة بجوهرها. فلبنان أكثر من بلد، إنّه رسالة للغرب وللشرق. وهذه الدعوة يجب أن لا تكون مصدرًا للغرور- لأنّ ذلك سيؤدّي إلى نتيجة سلبية- بل على العكس هي صليب ثقيل العبء بكلّ ما في الكلمة من معنى.

ولقد عبّرت عن ذلك بشكل دقيق صلاة الغفران «الحساية» عندما قالت: «لقد وضعنا يا ربّ في الشرق لتكون شهوداً لك». إنّ عودة الكنيسة إلى رسالتها يجعل منها فقط منارة للغرب

والشرق معاً.

ولقد حدّد البابا يوحنا بولس الثاني في أحد خطبه «خريطة طريق» للكنيسة المارونية فدعاها لأن تكون أمينة لرسالتها في الشرق الذي تنتمي إليه، كما دعا موارنة الانتشار إلى المساهمة في بناء المجتمع المدنيّ في أوطانهم الجديدة وإلى استمرار تعلّقهم «الشديد» بلبنان والتعاون مع الكنائس اللاتينية المحليّة والاستعانة بأرثوذكس الروحيّ الغنيّ لنشر الانجيل قولاً وفعلاً. أمام هذا الواقع ما هو المطلوب من وجهة نظر العلمانيين؟ بمعنى آخر، كيف يتصوّر العلمانيّ كنيسة؟ وما عليه العمل في سبيلها؟

إنّ معالجة التحدّيات الوجوديّة والداخليّة التي تواجهها الكنيسة المارونية تقتض قفزة نوعيّة ومنهجية جديدة على الصعيد اللاهوتيّة والسياسيّة والفكريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة.

#### إعادة التبشير

إنّ الخطوة الأولى في الإصلاح ترتكز العمل على ضرورة معرفة التراث المارونيّ وتاريخ الكنيسة المارونية. فالمارونيّ يعرف تاريخه إجمالاً من خلال عائلته أو بيئته الضيقة بشكل سطحيّ. من هنا ضرورة تعليم تاريخ الكنيسة المارونية في المدارس الكاثوليكيّة (بالإضافة إلى تاريخ الكنائس الشرفيّة الأخرى). والحاجة إلى إطلاق حملة إعادة تبشير تطلّ كلّ الموارنة في لبنان والانتشار لنفض غبار الماضي والتجديد حيث تنبغي مراعاة متطلّبات العصر، ولكي تمّحي كلمة إحباط من القاموس المارونيّ ويحلّ محلّها الإيمان الذي يزعم الجبال فيعود من رحل لإعادة التجذّر في الأرض. ومن أشكال هذه الحملة التعليم من خلال إرسال الواعظين إلى كلّ الجماعات المارونية لإعادة خلق قضيّة مارونية تنطلق من معرفة تاريخ الكنيسة المارونية ودورها في الشرق والعالم. إنّ تغيير الحالة النفسيّة للمجتمع المسيحيّ في لبنان يسمح بتغيير مجرى التاريخ. ومن الأمور الأخرى المطلوبة:

- العودة إلى روح الفقر.
- تطوير اللاهوت المارونيّ.
- إعادة النظر في عمل المؤسسات الكنسيّة الاجتماعيّة والتربويّة وإعادة تصويب رسالتها.
- تحديث الليتورجيا من جهة المحتوى، ومن ناحية تبسيط اللغة والترجمة إلى اللغات العالميّة (خاصّة حيث يوجد مغتربون).
- نشر التراث الروحيّ المارونيّ الموجه خاصّة للشباب.

#### التغيير على الصعيد السياسيّ

إنّ دور الكنيسة الجامع ينبغي أن يسعى إلى تحقيق ما يلي:

بالنسبة للصعيد الاجتماعي ينبغي العمل على:  
- إطلاق الأعمال الخيرية الاجتماعية، إنطلاقاً من مفهوم «العونة المارونية»، وتهيئة الناس لحبّ العطاء والاستفادة من الموارد المتوافرة، وخاصة التعاون مع العلمانيين المهنيين الذين هم عصب الكنيسة.

- تفعيل الأوقاف كي تكون الخزان المالي للرعية.  
- التعامل مع تأثيرات العولمة على المجتمع، ومحاولة التوفيق بين الانفتاح والحفاظ على الهوية.

#### أما على الصعيد التربوي فالمطلوب:

- إعادة النظر في رسالة المدرسة الكاثوليكية، وجعلها في خدمة الناس، وليس العكس.

- إعادة النظر في البرامج التربوية على أساس روح الخدمة العامة وتحسين الأداء التربوي.

- وضع كتاب تاريخ موحد يبيّن المعالم الأساسية لتاريخ لبنان ودور الكنيسة في إنشاء الكيان اللبناني.

- تنمية مفاهيم الخدمة العامة والشأن العام والخدمة العامة، وتأمين أنخراط التعليم الكاثوليكي في البيئة المحيطة، وليس الاكتفاء باعتماد الكتب الأجنبية.

- حلّ مشكلة الأقساط في المدارس الكاثوليكية عن طريق الحصول على مساعدة من الدولة لدفع هذه الأقساط (تطوير مفهوم المدارس المجانية المدعومة من الدولة).

رفع المستوى التربوي في المدرسة الكاثوليكية، لأنّ النخبوية هي سلاح أساسي للأقليات للحفاظ على وجودها.

اعتماد تقنيات ووسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت والشبكات الاجتماعية لتأمين التواصل بين الكنيسة وأبنائها في لبنان وبلدان الانتشار.

تفعيل العنوان الإلكتروني للبطريركية المارونية في بركي لتأمين التواصل بينها والعالم.

وبالنهاية، لقد عاش الموارنة منذ أكثر من ١٦٠٠ عام كجماعة صغيرة تتجاوزها القوى الإقليمية والدولية غرباً وشرقاً وجنوباً وشمالاً من دون أن تتمكن هذه الجماعة من التحكم بمصيرها والتمتع بكامل استقلاليتها. في الماضي وجد الموارنة الحلّ من خلال التجمّع حول كنيستهم، فكُونوا الشعب- الكنيسة التي صمدت بفضل النعمة الإلهية ضدّ كلّ الطامعين.

والموارنة اليوم يواجهون نفس الإشكالية، ولن يجدوا الحلّ سوى بالعودة إلى كنيستهم والتحلّق حولها لبلورة رؤيا تؤمّن لهم إنطلاقة جديدة. ففي لبنان شعب حيّ في كنيسة يجب أن تكون أيضاً حياة وقائدة.

- وحدة المسيحيين التي هي واجبة الوجود من خلال التوصل إلى رؤيا مشتركة موحدة حول دور الموارنة والمسيحيين في لبنان والمنطقة.

- التأكيد على الدور الريادي والحضاري والثقافي للموارنة في محيطهم.

- تحصين الوضع المسيحي الداخلي، وخاصة على الصعيد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

- ضرورة خلق قضية مسيحية خاصة لدى الشباب.

- قيام الكنيسة بوضع مسلمات سياسية تلتزم بها كلّ الأحزاب «المارونية» أو المسيحية، على أن تكون عندها حرية حركة في كلّ ما لا يتعلّق بهذه المسلمات.

- العودة إلى الدولة وإلى الوظيفة العامة، والعمل على إنشاء دولة معاصرة يسودها القانون وليس الفئويّة والعصبية.

- لعب دور متوازن بين مختلف الفئات اللبنانية، وليس التحول

إلى نوع من التبعية لذلك أو بتلك الفئة، لأنّ ذلك يؤدي في

النهاية إلى التبعية الكاملة. وفي سبيل تحقيق ذلك، لا بدّ

للكنيسة من أن تضع تصوّراً للبنان المستقبل، تحاول أقتاع

الفئات اللبنانية الأخرى به.

#### على الصعيد التنظيمي

لم تجار الكنيسة المارونية العصر من الناحية التنظيمية. لذلك ينبغي القيام بما يلي:

- تحديث إدارة الأبرشيات والرعايا.

- تحديث وتشير الأوقاف بحيث تصبح مصدر دخل للأسر المارونية.

- إنشاء المجمععات الرعوية. إنّ إنشاء أماكن العبادة الجديدة

يجب أن يأتي ضمن إطار بناء مجمععات رعوية توفر الخدمات

الروحية والاجتماعية والرياضية والثقافية لأبناء الرعية. إنّ هذه

المجمععات الرعوية هي المكان الصالح لجمع أبناء الرعية من

شباب وشابات وأولاد ومسنين ومتقاعدين، وخاصة لأنّ الحرب

اللبنانية والهجرة المارونية من المدينة إلى الريف أثرت في

التركيبة الاجتماعية للرعية. لذلك، تشكّل الرعايا المارونية

المكان الصالح لإعادة تكوين اللحمة بين الموارنة، خاصة في

القرى المارونية التي تشكّل القاعدة الأساسية للهوية المارونية.

وهكذا يمكن إصلاح وتقريب ما أبعدته الحضارة المعاصرة،

التي تستنزف طاقات الفرد ووقته الذي يمضي معظمه في البحث

عن دخل يسمح له بعيش كريم.

#### التجديد على الصعيد الاجتماعي والتربوي

إنّ المهمة الأولى على الصعيد الاجتماعي والتربوي هي إعادة

تصويب عمل المؤسسات العاملة في هذا المجال.



ناجي نعمان



## نعم للمواطنة

بتوزيع بعض ماله، يَعدو تابعًا صاحب "مِحدلة" انتخابية، فثابتًا أو وزيرًا بالفعل؛ فيما من شأن توزيعه بعضًا أكبر من هذا المال، أن يجعله، بدوره، زعيمًا وصاحب «مِحدلة». وهو، في الحالين، وبالنفوذ الذي سيحصل عليه من جرى منصفه، لا بُدَّ مُستعيد ما دفع، وبالتّضعيف!

وأما السّلاح، وقد أتى للبنان والعرب بنصرٍ اختُلف على تسميته، ولاسيما ممّن اعتاد الهزائم، ولم يشارك في صنعه، وأما السّلاح، وأيًا تكلُن أهميته وضرورته، فلا يجوز أن يتحوّل، بدوره، عنصرَ ضغطٍ، ولو خفيًا، على من لا يُشاطرُ حامله الرّأي.

\*\*\*

وعرف العالم العربي، منذ فترة، توتّسه ومصّرته، إلى ثوراتٍ شعبيةٍ أخرى، تحوّل بعضها حروبًا داخلية، وذلك في سعي من الشعوب العربية لكسب المزيد من الحريّات وحقوق الإنسان، عبر استقلالاتٍ «ثانية» تحقّقها بعد طول سبات، ويرجى أن تكون، هذه المرّة، استقلالاتٍ «فعلية»؛ إذ لا يكفي استبدال الغريب بابن البلد، لِنَسْتَقِلَّ، وإنما ينبغي الوصول، في البلد، إلى حقّ المواطنة بجميع مُندرجاته كيما نَسْتَقِلَّ. فهنيئًا لشعبي تونس ومصر، مع التّشديد على أن الثّورة استمرّارٌ ذهنٍ مُنفتحٍ ورعايةٍ دائمة، وليهدّ الله الحكّام في دول العالم العربي الأخرى، فيقومون بالثّورة، إراديًا، ومن علّ، بحيث يُوفّرون على شعوبهم بذل الدّماء، وعلى أنفسهم ذلّ النّهاية، ويدخلون التاريخ من أبوابه العريضة.

\*\*\*

وبعد، وبالعودة إلى أبناء يومنا وبناتنا، السّاعين والسّاعيات، لتربية وتعليم، لا بُدَّ من الشّدّ على أيديهم وأيديهنّ من أجل المزيد من العطاء، لا لتحقيق النّجاحات الشخصية فحسب، وإنما، أيضًا، للانطلاق أبعد في مختلف الميادين، ولاسيما لجهة العمل على تحقيق المواطنة الحقة للجميع، وبحيث يبقون في لبنان، وبيقنين، وبيقنين، ويبقى لبنان. هلمّوا، أيها الأحبة، فالسّاحات ساحاتكم والملاعب ملاعبكم، وأما السيوفُ فبراعٌ وريشةٌ ومزمار. نعم، سيوفكم المعرفة والفنون، سيوفكم الثقافة. كونوا رجالات الوطن، ونساءه، وإياكم أن تغفلوا لحظة عن لبنان!

يَعرفُ لبناننا، هذا الذي نُحِبُّ ونعشق، منذ نحو أربعة عقودٍ على الأقلّ، وعلى نحوٍ شبه مُستمرّ، المُماحكات الصّيبانية بين «رجالته»، وبالتالي، التّدخلات الأجنبيّة في أموره الخاصّة، بحيث راح أبنائهم يظهرّون قاصرين في أخذ شؤونهم بأيديهم، عاجزين عن الحفاظ على سيادتهم واستقلالهم، وفي المُحصّلة، خاسرين حرّيّتهم الفعلية لحساب منافع أنيّة فتويّة تُحرّكُ بها قِلّة من المُتحمّكين جماهيرٍ قد تأكلها الجهلُ و/أو العوزُ و/أو التّعصبُ الأعمى، من أجل مصالح أولئك المُتحمّكين، لا من أجل مصالح تلك الجماهير.

إنّ ذلك، لعمري، أمرٌ مُخجلٌ مُخجلٌ، إذ كيف لشعبٍ تميّز أفرادُه، أينما حلّوا، ونجحوا في شتى الميادين، كيف له ألا يعرف - بعد المحنّ والمخاضات التي عاش عبر تاريخه، الحديث منه والمعاصر - أقول، كيف له ألا يعرف أن ينهض، على صعيد الجماعة، ويتّظّم شؤون بنيّه، ويسعى لهنائهم. إنّها، تالله، لحفلات جنونٍ مُطبّق، تلك التي نشهدها حينًا بعد حين، بعد فترات استراحةٍ لا تخلو من تشنّجات، فيما شؤونُ النَّاسِ تتعطلّ، وشجونهم تتراكم، وحقوقهم تضيق في زحمة البعث، بسُلطان المال، عن حقيقة وعدالة، وبسُلطان السّلاح، عن تحريرٍ وردع، فيما المواطنة الحقة - وتمثّل، وحدها، الطّريق إلى ما سبق بشقيّه، كما الطّريق إلى حلّ كلّ أمور البلد وبنيّه - أقول، فيما المواطنة الحقة سُلطانها الشعب.

\*\*\*

المالُ والسّلاحُ، في غير محلّهما، لا يصنعان أمةً؛ فالمالُ كما يُستخدَمُ مُفسدٌ مُفسدٌ؛ إنّه يشتري الصّحافة والإعلام والأزلام؛ إنّه يشتري الضّمائر، يُسخّرُها؛ إنّه، بكلمة، يشتري بعض الشعب ليبيّع، في ما بعد، الشعبُ بأكمله. المالُ هو الطّعم الذي يُلقي للسمكة الجائعة كيما يصطادها صاحب الصّنارة؛ إنّه تميّزٌ عظيمٌ لصاحبه، يشتري به السّلطة كيما يُضاعف ثرواته ويتحكّم بالبلاد والعباد إلى ما لا نهاية، باسم حرّيّة مُتفلّنة وديمقراطيةٍ شكليّة.

كان الرّعيمُ، في الماضي، يبيّع تعبهُ وتعبَ عائلته، أملاكه وأملاكها، ليخدّم ناسه ويغدو ممثّلهم في مجلس نيابيٍّ، أو آخرٍ وزاريٍّ؛ وأما اليومُ فغدا صاحبُ المال نائِبًا أو وزيرًا بالقوّة، إذ،

جورج مغماس



## كَرْجِلِ ١٨ حَزِيرَانِ؟!!

أنهض من همم واستقطب من قوى وما حوله تفاوض وتناصر مع أقربين وأبعدين بالسلاح والسياسة والدبلوماسية، من أجل خدمة قضية فرنسا الحرة.. إن هذا الرجل، لا، لم يصبح فريسة (عقدة المسيح) (Complexe messianique)، فراح يدعي أن الشعب ليس شعباً من دونه وأن الوطن ليس وطناً من دونه، به الإنقاذ والخلاص، وبعده سادوم وعمورة.. بعده الطوفان. نعم. كان ديغول برومثيوس (Prométhée) الذي اختلس قَبْساً من نار السماء ليضرم نور الرجاء في روح المواطن والوطن. لكنه، لم يعاند طلبة أيار، وعمال أيار، وإعلامي أيار. لم يصّر على مواجهة سيبتهم.. حتى آخر اتهام أو آخر إيهام. لم ينازلهم كمثل ما ينازل الغزاة.

هورحل. رحل وحسب. ولم يكن من شأنه أن يحاسبهم، أن يحسبهم شارعاً - شريعة غاب.. رُعاغاً. لقد امتثل. امتثل لرؤياهم. لدعواهم. لهوهم. لأمرهم. لصوتهم. لبطريكية مزاجهم.. ورحل! وما هم إن بدا لبعضنا أن بعض المسارح، بلا بعض الممثلين، هي مسارح أشباح!! أليس أن من الناس من يفضلون مشاهدة مسرحية سيئة وهم على كراس مريحة، فيما آخرون يفضلون أن يشاهدوا مسرحية جيدة وهم على كراس مزعجة؛ ولا نقاش يُجدي في خياراتهم؟ بلى. علينا أن لا نتجاهل أن في كل زمن بروتوس يَعدُّ أو يتنصر على قيصر، بل يغير مجرى تاريخ في تاريخ أمة؛ ومن ذا الذي يستطيع أن يتنبأ كيف يكون الربيع ما لم يكن شتاء مطر وتلج وزمهيرير؟ في عالمنا العربي، حيث حكامنا من أزال وأباد، وأنظمتنا محنطات، أما حان لنا أن نعتبر؟ وإلى متى لن نعمل على ألا نتجاجتنا الأدوية والأنواء فتودي بنا؟ فلنهمهم أن ما يحدث لا يحدث للأخريين فحسب، وأن أمّا تزني يمكن أن تكون أمناً. قيمة الحرية أنها الحرية، أنها تتيح لنا إنجاز تماثيلنا، تماثيل أسوارنا وبطولاتنا.. وأخطائنا أيضاً.. والخطايا حتى! إن الوطنية التي تُسند ظهرها إلى نهر الفولغا جدار تتحطم عليه كل قوة نابوليونية أو هتلرية. أليس هذا هو الصحيح الذي يصح، ولو بعد حين؟!

منذ حوالي سبعين سنة، وتحديداً في ١٨ حزيران ١٩٤٠، أطلق شارل ديغول نداء الشهير إلى الأمة الفرنسية لتتحد وتتحرر. حمل شعلة المقاومة. ألهم. ألهب. قاد الناس بالأحلام.. وكذا؛ عندما يرهب أولو الأمر ويسترييون، يُهابُ بالشعوب وتستنهم! رجل ١٨ حزيران، رجل النداء، رجل الشعلة.. من صار ضمير فرنسا، كم يمكن أن نذكره في هذه الأيام العسيرة من واقع حال منطقتنا العربية!

نذكره، لأنه قال باستراتيجية الحركة والقوة الميكانيكية والجيش المحترف، أو بوجوب إحاطة السلطة العسكرية بإطار من السلطة المدنية حتى في زمن الحرب، أو بعدم إمكان نزع الصفة الأخلاقية عن الحروب لأنها تخاض بروح الشعوب ودمها وآلامها، أو بيعت الحريات الديمقراطية، وأنشأ كونسرفاتوار الجمهورية الثالثة...، بل لأنه كان يعرف كيف يعتزل، وكيف يحتكم، وفي يقينه أن بالعزلة يمكن أن نشحن أنفسنا بمشاريع المستقبل، وأن بالاحتكام يمكن أن نحكم كما يجب أن نحكم.

نعم. يجب أن نتعلم كيف لا نهين المستقبل، وكيف نحتمل إلى الناس إذا كنا نريد أن نحكم الناس.. والأصح في الناس وبينهم. والحكم، في كل حال، حرفة ألفها انتهاز الفرصة! فالرجل قال لخصومه ومناوئيه، دائماً وأبداً: بيني وبينكم كلمة فرنسا!

وبغض النظر عن اختلاف البيئة الاجتماعية والانتساب الایدولوجي في الزمنين، فإن الشانزليزية تشهد كيف هتف له في ٢٦ آب ١٩٤٤ فوّلى وجهه صوب الرئاسة في قصر الإليزيه، وكيف هتف ضده في ٣٠ أيار ١٩٦٨ فشدد رُحله صوب مسقط رأسه في كولومبييه ليه دوزغليز (Colombey les deux-églises).

ولكم يراودني تصوّر شعوره في خلوته الأخيرة: أترأه كان متوحداً ممزق الروح بين الوحشة والخيبة، أم ظل كما في منفاه اللندني متوقفاً الايمان بأن الوطن يكون حيث يكون هو وأنه هو الوطن كل الوطن، أم.. يرى لما بعد الحروب ما كان يراه في الحروب: ما خلا بعض المبادئ الأساسية، ليس ثمة إلا ظروف وشخص؟ إن الرجل الذي اجتاز المانش، متجشماً ما تجشّمه قيصر يوم اجتاز الروبيكون (Rubicon)، وجسد الواقعية في دنيا الخيال بما



إيلي مارون خليل

## أخبز والأدب

الأجواء. الأدب كثيرُ الشَّفوفية؟ ولو هو في قلبِ الواقعية الكثيفة السَّوادِ. هو يُحلُّ، لا يجياد. ولا تُطلبُ الجيادية، في الأدب. ألعلم، بأنواعه، جيايدي، بارد. والأدب؟ حارٌّ مثلُ القلبِ النَّابضِ صدقاً. حميمٌ مثلُ همسِ الذاتِ في ذاتها. من هنا كثرةُ الاتجاهاتِ الأدبية، المدارس، المذاهب، الأنواع، الأنماط... من هنا وفرةُ الدلالات، الرموز، الوظائف، الصُّور، المستويات... ألعلمُ يخدمُ الجسد: صحَّة، راحة، رهاها... والأدبُ يخدمُ الفكر، الرُّوح، الخيال... ألعلمُ يُعِدُّك في مستوى الواقع. ويُطلِّقك، الأدبُ، خارجَ ذلك الواقع. ألعلمُ «يربط». الأدبُ «يحرر». ولا مجال، بالنسبةِ إليك، للوقوفِ في حيرة الاختيار. والأدبُ أعمقُ أثرًا؟ هو يجعلنا ندركُ أنفسنا. يجعلنا ندرك. أنت تدرك نفسك، وأنت مستغرقٌ سفرًا يدعى قراءة؛ وأنت منصفٌ تحليلياً يدعى تأويلاً. ألقراءةُ تأويلٌ غني. هذا يجعلك تدركُ قدراتِ نفسك الذهنية. تكتشفُ أن غناك من غناها، وتكتشفُ العكس. فُدراتك الذهنية، هي حقيقتك الإنسانية الحقيقية. بها أنت ذو قيمة. ذو أهداف. ذو رؤى. ذو احتمالات. أي احتمال مشروع نجاح، فأنت تتطلقُ من فُدراتك الحية، الحرة، بوساطتها أنت النَّاضجُ، الواعي، الواثق. وبالأدب تدرك. فالقارئُ المثقفُ، الغني الثقافة، والعميقها، يدرك ذاتك/ذواتك، من خلال قراءتك. يُغنيك. يُغني أدبك وهو يكتشفك. فالأدبُ، إذا، كَشَفٌ واكتشاف، من خلالهما وعبرهما وفيهما، تُفهمُ قدرة الكائن في المعرفة. أليست المعرفة هي الأهم؟ تشقيك وتُسعدك. تُحرِّرك في أي حال: فرداً وجماعة.

أنت تقرأني؟ فأنت تُشعِّلني سعادة. قراءتك لي خبزي اليومي، وخبزك، أنت أيضاً. بك أحيا حياة الرُّوح والفكر. وبها تحيا حياة الرُّوح والفكر. كلُّ قراءة حياة للكاتب والقارئ. ألكاتب، أنت تُحييه في ذهنك، فهمك، تحليلك، تأويلك... ألكاتب، ألكاتب، فكيف يكون موجوداً، حياً، فاعلاً؟ والكاتب، هو كذلك، يُحييك. يدفِّعك إلى الانفعال، التأثير، التفكير... كلُّ كتابة، كلُّ قراءة، احتمالات.

... وينبغي أن أوضح: الأدب، وتالياً، أي فن جميل، يُشقي ويُسعد، الآن وكلَّ آن، هنا وكلَّ هنا. وفي هذا مأساة المُتعة، أو مُتعة المأساة. السُّؤال: كيف يكون الكلام مُتعة، وهو ينبع من قلب المأساة؛ أو كيف يكون الكلام مأسوياً، وهو يتدفق من صميم المُتعة؟

لهذا الحديث تتمة.

وطى الجوز ٢ نوار ٢٠١١

أنت تقرأني؟ فأنت تُشاركني الخبز الأكثر أهمية، وهو الأبعد مدى، الأصفى رؤى، الأغنى إشرافاً، الأعمق أثراً.

الأكثر أهمية، لأنه الأكثر تغذية. يُغذي الرُّوح، النفس، الفكر، الخيال... وهذه ترتقي بالإنسان، تُدنيه من إنسانيته، تُدنيه فيها. فالرُّوح المُغذاة، تقطر إحساساً، تفيضُ محبةً، تؤاخي الجميع.

الإحساس الحق، نُبلٌ قيمٌ تسمو بصاحبها وبالآخر، معاً. هذه إحدى غايات الفكر، إذا البشرية. ألمحبة الكاملة، تدفق النفس، تامَّة، صادقة، منتشية بذاتها وبالآخر، معاً. الأخوة الشفيفة، انتقامٌ من الفردية الأنانية، عيشٌ مشاركة وجدانية صافية. والنفس المُغذاة، تجلُّ تواضعاً، تسمو امتلاءً، تُصادق الجميع. التواضع الراقى، إجلالٌ للذات وللآخر، احترامٌ للذات وللآخر، صفاءٌ في الرُّوح النفس الفكر.

الامتلاء السليم، خصبٌ مواهب، تمدُّ رؤى، انطلاقٌ للذات إلى المدى الأرحب. مُصادقة الجميع، مُصالحة نفوس، استقامة نوايا، تنامُّ أهداف. الأبعد مدى، لأنه الأكثر تأثيراً. كونه الأكثر تأثيراً، يعني أنه الأكثر انفعالاً وتفاعلاً وإيحاءً. الانفعال، في هذه الحالة، لا يكون إلا إيجابياً الملامح والتوجُّهات. إذا فالانفعال، هذا، ارتقاءً بالمقاصد والغايات والإرادة. فالإنسان بناءً مُتوازن، مُكامل، بناءً ألقصدُ التنظيف رغبة، شديدة، بالفرح. لا يكون هذا، إلا عبر التحقيق. كلُّ تحقيق ناقصٌ لأنه يصبو إلى الأكثر، الأبعد، الأهم. ألقاية النبيلة، ارتقاء الذات الكلية، بكليتها، نحو الأمنيات، الأحلام، الرؤى... كلُّ ارتقاء ارتقاء، واعٍ ولا واعٍ، نحو الخير الأبقى، على الصَّعِيدِين الخاصِّ والعامِّ. والإرادة العازمة، انتفاضة نفس، دائمة، حيوية، لا إلى تراجع أو وهن.

الأصفى رؤى، لأنه الأكثر اشتعالاً. ألقاذات المُشتعلة، دائمة النَّبضِ الحيويِّ، الحية، الرائي. مثلُ هذا، لا إلى انطفاء. لا إلى خمود. لا إلى يباس. لا إلى موت. النَّبضُ الحيويُّ، الحية، مُشتعلُ الرُّوح، مُشعلها، في ذاته وفي السَّوى. هذا انعتاقٌ منفتح، واعٍ، حرٌّ، مسؤول. والنَّبضُ الرائي، شموليُّ النظرة الثاقبة، ثابت الهدف الواثق، إصلاحي، فهو أصيلٌ، ناضجٌ، عاصفٌ محبة راقية، نبيلة. ألقظرة الثاقبة، نتيجة أعمال فكر، خلاصة تجارب ناضجة، عديدة ومنوَّعة. ثاقبة؟ فهي قوية، نافذة. قوية بالرؤية الواضحة، بالرؤية الشفيفة. نافذة بعمقها المُطمئن، بصوابها البعيد. وهكذا، فالنَّبضُ الرائي، الثاقب، القوي، النَّافذ، ثابت الأهداف الواعية، الواعية، الوافرة الخير. لا يمكن الخير إلا أن يكون خاصاً عاماً، دائماً معاً، بهذا يكون تامُّ المنفعة العامة.

ألقنى إشرافاً، لأنه الكثير الشَّفوفية، الأصلُ النظرة، البهيُّ





د. أنطوان صفيير

## في عودةٍ إلى اللغتين الساميتين.. ماذا نعرف عن اللغات السامية؟

### الآرامية والعبرية والفينيقية

بين سنة ١٢٠٠ و ٥٠٠ ق.م، كانت الشعوب السامية في الأضقاع الشرقية من الشرق الأوسط، ما تزال تستعمل اللغات ذاتها كما في الأزمنة الغابرة، أي اللغتين الأكادية والآشورية، في زمن بدأت معه اللغة الآرامية في فرض وجودها وسيطرتها بين شعوب تلك المناطق.

حوالي سنة ١٤٠٠ ق.م، كانت الأكادية قد أصبحت اللغة الدبلوماسية المعتمدة في بلاد ما بين النهرين وفي مصر، ذلك أن الناطقين بها شعوب ذات لغات أعجمية، من بينهم الحثيون والحموريون. وهكذا شاعت اللغة الأكادية مهورة ببعض السمات المحلية البلدية في منطقة نيوان Nuan جنوب نينوى كما في الألاخ ومآري وعلى ضفاف الفرات، وبقي استعمال اللغة الأكادية في الوثائق والأوراق الإمبراطورية إلى حين سيطرة الآشوريين على مملكة بابل. ثم تعتمت اللغة الأكادية لغة رسمية طوال عهد الإمبراطورية البابلية الجديدة أي الإمبراطورية الكلدانية من سنة ٦٢٦ إلى ٥٢٢ ق.م. واستمرت لاحقاً في ظل الحكم الفارسي. خلال هذه الحقبة من التاريخ كانت لغة الآشوريين أخذة في الانتشار جنباً إلى جنب مع اللغة الأكادية. والملفت هذا الشبه في الحروف بين اللغتين.. ما عدا في الحروف الصوتية ذات الصرير، وتلك المحاكاة في صيغ الكلام والتراكيب الغارقة في القدم.

في حقبة لاحقة دخلت المجتمع النيوبابلي والمجتمع الفارسي شخصيات آرامية بصفة كبار موظفي البلاط والإمبراطوري، فتعمت معهم لغتهم الأم الآرامية واحتلت مكانة الصدارة وأصبحت الآرامية اللغة الرئيسية في إدارات الدولة الأشمندية وأخمينية Achéménide، واستعملها الفرس في الأمصار التي سيطروا عليها عنوة وانتزعوها من يد الآشوريين والبابليين. وهكذا ومع الوقت، استتب الأمر للغة الآرامية. وحلت مكان اللغات الأكثر قديماً في بلاد ما بين النهرين وفي سوريا- وكم في ذلك من عبرة للرأئي!

واللغات السامية الغربية يمكن توزيعها إلى فرعين رئيسيين: الأول شمالي، والثاني جنوبي. داخل الفرع الأول ناحية بلاد كنعان، بمقدورنا أن نميز بين اللغات الخاصة التالية:

• **السينايتيك Le Sinaitique**، وهي لغة قديمة العهد في حروفها شبه الهجائية والصعبة التفسير. ويعتقد المؤرخون أن استعمالها قد يكون تم مع وصول الهكسوس إلى مصر في أزمنة غارقة في القدم، مختلف على تحديدها بالضبط ما بين القرنين التاسع عشر والخامس عشر قبل المسيح.

• **لغة أوغاريت (رأس شمرا)**. إلى جانب الكتابات الأكادية المكتشفة في هذا الموقع قبالة جزيرة قبرص، ثم العثور أيضاً على نصوص مخطوطة من القرن الرابع عشر ق.م. مكتوبة بلغة قريبة النسب من اللغة الفينيقية، ولكنها تتضمن نسبة عالية من صيغ كلام وتراكيب لغوية ضائعة في الزمن.

• **الفينيقية**. أقدم الكتابات الفينيقية. تم اكتشافها في مدينة جبيل، في حوالي عشر منصوصات، بخط شبه هيروغليفي منها ما نُقش على قبر أحيرام الملك والذي تأرخ حكمه في أزمنة مختلفة بين القرن الثالث عشر والقرن العاشر قبل المسيح. وثمة كتابات مخطوطة في هذه اللغة، وبينها كتابات فونيقية من قرطاج ومستعمراتها.

• **لغات معرآب- آمون وإيدوم**. الأولى تعرفنا إليها من نصب الملك مسحا (القرن التاسع قبل المسيح)، والثانية من بعض الأختام المحفورة. واللغة الأخيرة وصلتنا من كتابة موجزة تعود إلى القرنين الثامن والسابع قبل المسيح، كما من بعض

النصوص الدينية، في وقت كانت فيه لغة أخرى هي الآرامية تعيش في أوج انتشارها.

• الآرامية. الكتابات الأكادية العائدة للقرن الرابع عشر ق.م، تأتي على ذكر قبائل تقطن شمال الجزيرة العربية وشاركت في الغزوات على مصر في القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م. ثم مع الزمن توافد الآراميون باتجاه الشمال إلى منطقة نهر الأردن في فلسطين وانتظموا في دويلات صغيرة أمثال بتر وتدمر وإديسا.

في زمن الإمبراطورية الفارسية كما سبق أن ذكرنا، أصبحت الآرامية اللغة الإدارية المتداولة والمعتمدة رسميًا في مناطق النفوذ الآشوري والبابلي، وانتهى بها الأمر بأن فرضت نفسها لغة رسمية وشعبية في جميع أقطار البلاد السورية.

أما النصوص الآرامية الأقدم عهدًا فهي:

١. كتابات مخطوطات مختصرة عُثر عليها في غوزانا في منطقة تل حلف (ربما تلكخ اليوم في سوريا على الحدود الشماليّة مع لبنان)، ويُرجَّح أن تعود إلى القرن العاشر ق.م.

٢. لوحة صغيرة من العاج تحمل كتابات عن الملك حزائيل (القرن التاسع ق.م.).

٣. كتابة للملك بن أداد- ملك دمشق في عام ٨٥٠ ق.م.

٤. مجسم صغير اكتُشف في جوار مدينة حلب، يعود إلى زاكير Zakir ملك حماة في حوالي عام ٧٧٥ ق.م.

٥. تمثال نيراب Nérab (القرن السادس ق.م.).

٦. وأخيرًا لوحات آرامية أقدم عهدًا (حوالي ٨١٥ ق.م.)، عُثر عليها مع مخطوطات Ostraca الآرامية.

أما المجموعة السامية إلى الجنوب فقد تكوّنت بشكل رئيسي من الشعوب العربية. وتبقى المجموعة الشماليّة التي يمكن توزيعها أيضًا إلى فروع عدّة، والتي ذُكرت في بعض النصوص الأكادية في القرن التاسع ق.م.، ولم يبق منها سوى بعض الأختام والمكعبات تحمل نقوشًا وكتابات ترجع إلى حقبات سابقة في تاريخ ذلك الزمان.

المحرف الجائبة

فونتي	يوناني	فونتي	يوناني
Α	Α	Ⲁ	Ⲁ
Β	Β	Ⲃ	Ⲃ
Γ	Γ	Ⲅ	Ⲅ
Δ	Δ	Ⲇ	Ⲇ
Ε	Ε	Ⲉ	Ⲉ
Υ	Υ	Ⲋ	Ⲋ
Ι	Ι	Ⲍ	Ⲍ
Η	Η	Ⲏ	Ⲏ
Θ	Θ	Ⲑ	Ⲑ
Ζ	Ζ	Ⲓ	Ⲓ
Κ	Κ	Ⲕ	Ⲕ
Λ	Λ	Ⲗ	Ⲗ

العلامات الفارقة المحفورة على جرار من الفخار والأجر يعود تاريخها إلى القرن السابع قبل المسيح.

• العبرية القديمة أو لغة العهد القديم، وتعود إلى زمن ما قبل السبي إلى بابل. أهم المخطوطات هي النصوص المسماة مَحْفَظَة أو روزنامة جيزير Calendrier de Gezer والعائدة إلى ما بين القرن الحادي عشر والقرن التاسع قبل المسيح، يُضاف إليها مقتطفات من منظومة Ostraca (القرن التاسع ق.م.) والكتابات المحفورة على بعض القناطر اليهودية (حوالي ٧٠٠ ق.م.)، فضلاً عن شريحة من الجلد عُثر عليها في منطقة ماربعات (القرن السابع ق.م.) مع رسائل مكتوبة على ألواح مطمورة استُخرجت من المنطقة الجنوبية لفلسطين (حوالي ٥٨٧ ق.م.). والجدير ذكره أنه خلال هذه الحقبة بالذات كُتب القسم الأكبر من أسفار العهد القديم، سبقه كتابات أبعد قديمًا كنشيد ديبورا Le chant de Deborah، وتعود إلى الألف الأول ق.م.، ومن قبلُ نشيد ميريام من القرن الثاني عشر ق.م.. وقد توالى مثل هذه الكتابات والنصوص حتى القرن السابع ق.م. بعد عودة بني إسرائيل من الأسر في سنة ٥٢٨ ق.م.، شاع استعمال اللغة العبرية القديمة في الليتورجيا كما في كتابة



فادية الحاج



## زوادة روحية

يومي التاسع والعاشر من نيسان، كنت في عداد حوالي ٤٠ شخصاً، دعينا لرياضة روحية في بيت المحبة، أدونيس، قضاء جبيل، حيث طرح الأب جوزيف سلوم في اليوم الأول موضوع «سراج العائلة» انطلاقاً من انجيل متى الرسول ١٢/٢٥-١٣ الذي يبحث مثل العذارى «عندئذ يكون مثل ملكوت السموات كمثل عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس، خمس منهن جاهلات وخمس عاقلات ... الحق أقول لكن إنني لا أعرفكن! فاسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة»، وناقشنا في حلقات حوار انتجت لنا العبر والعظات كوقد السراج، والنور، وموقف الحكيمات والجاهلات، والفرح، والنعيم، والاصغاء الى الغير، والعرس الدائم، والصلاة الدائمة، والاستيقاظ، فضلاً عن العبور من عرس آدم وحواء الى عرس يوسف ومريم الى عرس قانا الجليل، ثم عرس العذارى الى عرس الصليب، وعرس يسوع المسيح والكنيسة الأم، ويسوع المسيح العريس الذي يدعو دائماً الى الفرح والحياة والإستعداد الدائم لملاقاة «العريس المنتظر».

أما صفات العروس في هذا الانجيل فخمسة: المزيّنة بالفضائل، الساهرة التي لا تتعس، الحاضرة التي لا تهرب من مسؤولياتها مهما كثرت، الصبورة التي لا تتأفف ولا تتذمر من العمل، والمستعدة للخدمة في داخل المنزل أكثر من خارجه.

وضمن هذه السهرة الروحية في اليوم الأول، كان لنا تأمل في الكنيسة، حيث كانت هامة السيد المسيح معلقة على المذبح إذ بدا لي ينظر إلي ويكلمني وأكلمه: كيف يا رب ترضى بحكام متسلطين مسلطين مُسلطين على رقاب شعوبنا لعشرات السنين والعقود؟ والفساد يسري في البلاد العربية؟ سراج الزيت يا رب! أين سراج الايمان والتقوى، هل اختفى الضمير الواعي؟ أين هو التواضع يا إلهي؟ وأنا أناجي هامة يسوع المسيح، حانت مني التفاتات يميناً ويساراً لأرى هل أحد الزملاء يلاحظني، فلم أر غير وجه يسوع المخلص يحدق لي. وظللت طوال السهرة الروحية اناقشه، وهو على وشك الاجابة بهزة رأس.

«لا تواضع، لا تقوى، ولا إيمان. كلٌ يغني على ليله ويكدّس اموال الفقراء في خزائنه وبنوكه. لقد انتفضت الشعوب من كثرة الفساد وثارَت على أربابها وها هي تدفع ثمن سكوتها الطويل من ارواحها ومدخراتها لصد بلاء الفساد والفاستدين».

وفي اليوم الثاني أعطت إحدى السيدات شهادة حياة عن يسوع المسيح في حياتها، ما أتاح لها أن تربي أولادها رغم عماها منذ ١٨ سنة، التربية الواجبة، فإذا هي مثال للأُم الصالحة في مجتمع تهتز فيه صورة العائلة وتشوّهه. والحق أننا خرجنا من هذه الرياضة بزوادة مفادها: «الشاطر يخلص نفسه. فلنضئ سراجنا ونخرج إليه».

أما أنواع الزيوت التي توقد السراج فهي خمسة: الأيمان، الأعمال الصالحة، الفرح، القناعة، الحب الدائم. لتأخذ صفات العذارى الجاهلات: الإهمال في الأعمال؛ الخيانة؛ عدم الحوار مع الآخرين؛ الأنانية (الأخذ دون عطاء)؛ رفض الآخر (كالاجهاض وأوقات المرض والشيخوخة).



## صلاة

الأب بطرس بو ناصيف

مدير فرع جامعة سيّدة اللويزه  
في الشوف

يا رب! الأيام تمرّ وكأنّها هشيم تتأكله النيران، فلا تترك إلا الرماد خلفها. والرماد يتلاعب به الهواء وينقله من زاوية إلى أخرى، حيث يتحوّل إلى ذرّات صغيرة قد تدعم تربة البشرية الصلبة، أو قد تتفرّق وتتفرّق لتضحي عدماً. ستّ سنوات كتبنا من خلالها أمامك، تاريخ عائلة؛ فكّرت، وعملت، وتعبت، وبكت، وحلمت، وتأمّلت، وجاهدت... وبنيت لها هويّة؛ قد تكون للأيّام مثلاً، أو قد تندثر مع الأيام الآتية، إذا ما تناقضت المبادئ، واختلفت الأهداف... إنّها مسيرة حياتنا البشرية، التي تحكمها القيم، وتزرعها القناعات، وتميها الإستمرارية، ويعطيها ملء قيمتها عدم انتظارنا لثمار نقطفها. فنحن لسنا سوى عبيد بطلين(١)، تحملنا عنايتك إلى كرمك، فتعب فيه، ولكنّ النموّ هو فيك(٢)، ولك وحدك الحقّ بأن تتصرّف بممتلكاتك(٣).

نحن لا نستطيع إلا أن نقول لك، لقد قمنا بما علينا(٤)؛ بنقص؟ طبعاً... بضعف؟ أكيد، بأخطاء؟ ومن لا يدرك أنّ الخطأ صديق التعب والعمل... ولكن بما أعطينا عملنا، بما أمكننا قدّمنا، بما استطعنا سهرنا، ويبقى لك الحكم، لأنك لا تنظر إلى الوجوه فقط، إنّما تعرف ما في القلوب وتفهم النوايا الحسنة التي حرّكت كلّ قرار صعب، وكلّ مطالبة محقّة، وكلّ أمانة لما نحن عليه مؤتمنون(٥). إلى جامعة أمك دعوتنا. ففهمنا أنّنا لسنا أصحاب البيت، إنّما أمناء. والمؤمن لا يستطيع أن يتصرّف بالبيت كما يحلو له، إنّما عليه أن يسهر بجِدٍّ ومسؤوليّة على الأمانة ليقدّمها لك أنت صاحب البيت، كاملةً وناصعةً وواضحة(٦). يصعب علينا أن نكتب أحياناً على الرياح، وبيكيننا أن نغني على أنين الغارقين في معاناتهم اليومية، ويهدّنا القرار الذي فيه نقول لمن لا يعرف ماذا يريد، ويزرع زوّاناً في بيادر القمح(٧)، أن لا مكان لك في عائلة مريميّة مدركة لتوجّهاًها ومتأكّدة من رؤيتها. فكّم أماننا عدم عرفان الجميل، وكّم جرّحتنا الأحكام المسبقة، وكّم حاولت تجريدنا من كرامتنا آفات الحقد والكراهية والمصالح الشخصية. يصعب علينا يا ربّ، أن ندرك أنّ ما زرعه في النور، حصدناه في الظلام، وما بنيناه على الصخور اجتاحته صحاري الرمال الجافّة. ولكنّ تعزيتنا تتبع دائماً من كلمات كتابك المقدّس: «لا تستشر المرأة في منافستها، ولا الجبان في الحرب، ولا التاجر في التجارة، ولا المشتري في البيع، ولا الحاسد في عرفان الجميل، ولا الجافي في الرقّة، ولا الكسلان في شيء من الشغل، ولا الأجير الموسميّ في إنجاز الشغل، ولا العبد البطلّ في كثرة العمل، فلا تعتمد على هؤلاء لشيء من المشورة(٨)». دعوتنا، فتعلّمنا أنّ الورد، لا بدّ من أن يسيّجه الشوك(٩)؛ والحقيقة، لا بدّ من أن يحاصرها المنطق المنتمنطق بالأكاذيب الخادعة(١٠)، والسلام، لا يكون إلا بالزلازل التي تحدث تغييراً في التوجّهات الصالحة(١١)؛ والتواضع، بالنسبة للمتكبّرين هو مطيّة لفرأغهم(١٢)؛ والصمت الخائف، هو موسيقى يستمتع بها العازفون على أوتار السرقة والإستفادة؛ والأمل الوهمي، هو الوعد الكاذب الذي لا جذور له ويتقن الوصوليون استعماله؛ والخدمة أو الوساطة، هي طريق الابتزاز؛ والنعمة المزيّفة، هي طريق السخرة؛ واللفظ النجس، هو ابتسامة تخفي النيوب المسنّنة(١٣)...

١١. راجع متى ٢/٢٨

٦. راجع متى ٢٤/٤٥

١. راجع لوقا ١٧/١٠

١٢. راجع المزمور ١١٩/٢١-٥١-٦٩-

٧. راجع متى ١٣/٣٨

٢. راجع ١ كور ٣/٧

٨٥-٧٨

٨. يشوع بن سيراخ ٣٧/١١

٣. راجع متى ١٨/٢٣

١٣. راجع حكمة ٥/٨-١٤

٩. راجع متى ١٣/٢٧

٤. راجع يوحنا ٢/٥

١٠. راجع متى ٢٣/١٣-٢٢

٥. راجع متى ٢٥/٢١

أن نكون في العالم، وأن لا نكون كالعالم، أمر صعب (١٤). فالنور في عالم من الظلام، يبدو مزعجاً. والإبتسامة في مآتم الأحياء، تظهر استفزازاً. والحكمة للأحمق، جهل مدقع. والمغفرة، لا معنى لها إذا ما رافقها الإصرار الواعي على الخطأ. وثمار الكرمة في خفارة السكاري، تضحي إدماناً. لذلك، نطلب منك يا رب أن تعلمنا تقبل الواقع، والتأكيد على السجود لحكمتك التي ترى أبعد منه، وتسمع اختلاف جمال التناغم في الألحان المتكاملة، وهي تعلمنا «أن البرّ خالد» (١٥).

سألنا مراراً وتكراراً، لماذا يا ربّ يمتطي الناس، بعضهم أكتاف بعض، إذا أرادوا النمو؟ لماذا يجب أن يدفع البعض ثمن طموحات البعض الآخر؟ لماذا يجمع البعض تراباً فتضجّ الحياة بهم، وتكافؤهم، بينما الذين يصهرون الذهب وينقونه من التراب يحاكمون؟ لماذا تتعلّق أنظار البشر بثياب جميلة، ولا تهتمّ لقلوب تنبض خلفها؟ وإذا ما استمرّيت بالتساؤل قد لا أتوقّف أبداً! ولكنّي أدرك، في عمق ذاتي، بأنّ الحقيقة فيك مختلفة؛ أنت تعلم ما في القلوب، فشكراً وشكراً وألف شكر لك، لأنك العدل والحقيقة والحياة، والمتوكّلون عليك: «سيدركون الحقّ، والأمناء في المحبّة سيلازمونك، لأنّ النعمة والرحمة لمختاريك» (١٦).

في مسيرتنا نحوك، التقينا بأشخاص اختلفت أذواقهم، وأراؤهم، وطرق تفكيرهم، ونظراتهم إلى الواقع... وهذا دليل عافية وصحة، وإنّي أشكرك عليهم جميعاً لأنّي منهم تعلّمت، وعلى وقع إيقاعات حبّهم مشيت؛ والذين تباينت القناعات معهم، لهم ومن أجلهم أصلي، لأنّ كنوز القناعات يكتبها الواقع. وأصحاب القناعات الإنسانية هم أساس هذه الجامعة المباركة.

ست سنوات استمتعت فيها بقراءة طريقتين: أناس يزرعون، وآخرون يقطفون. أناس يتعبون، وآخرون يستريحون. أناس محظوظون، وآخرون منبوذون. أناس لا يخطئون، وأناس دائماً مدانون. أناس ينظرون، وآخرون يطبقون. أناس يبذلون، وآخرون يجمعون. أناس يشكرون، وآخرون دائماً مغبونون. وأنا أشكرك يا ربّ، لأنك سمحت لي أن أتعرف إلى الذين يزرعون ويتعبون، ويتبذلون ويُدانون، ويطبقون ويجمعون ويشكرون، لأنّ هؤلاء هم عشاق الحقيقة، وهم أساسات الجامعة وحجر زاويتها الذي يحمل كلّ المباني وما فيها على أكتافه. «فالقليل القليل مع العدل، ولا الرزق الكثير بغير إنصاف» (١٧).

أشكرك يا ربّ! على كلّ من التقيت بهم، وعلى كلّ من عملت معهم، من إخوتي الرهبان، ومن الأصدقاء؛ من الذين استطاعوا أن يتشاركوا معي قلوبهم وإمكاناتهم. وأطلب السماح للذين أرادوا أن يتشاركوا معي مصالحهم وحاجاتهم، وأعمالهم كبرياً وهم وغيرتهم. ولعظمتك أقدم الشكر على كلّ لحظة وكلّ ثانية قضيتها في هذه الجامعة، وقد شرفني هذا؛ لأنّها جامعة أمك مريم، ولأنّها جامعة أمّي الرهبانية، ولأنّها جامعة الذين أحببتهم وكانوا حياة حياتي اليومية.

أشكرك يا ربّ على كلّ شيء!!

أشكرك لأنك علمتني أنّ المسؤولية أمانة، وليست امتيازاً.

أشكرك لأنك أفهمتني أنّ النظام عدل، وليس تسلطاً.

أشكرك لأنك مكنتني من التأكد بأنّ التساهل واللامبالاة، ليسا طريق المحبّة.

أشكرك لأنك سحقتني لأعمل من دون انتظار مقابل، لا في الحاضر ولا في المستقبل.

أشكرك لأنك دعوتني في سلطتي المحدودة إلى الخدمة، وليس إلى بناء هياكل كرتونية في مجتمعات تهوى الزحف، وتقدّس المظاهر.

أشكرك لأنك خلال السنوات الست الماضية، جعلتني أدرك بأنّ طرح الأفكار مهمّ، ولكنّ تطبيقها والوصول بها إلى الميناء الأمين هو الأهمّ.

١٤. راجع يوحنا ١٧/ ١٥-١٦

١٥. حكمة ١/ ١٥

١٦. راجع حكمة ٣/ ٩

١٧. أمثال ١٦/ ٨

أشكرك لأنك سمحت لي بأن أختبر أن متقن فنّ مزج الألوان ودهنها، ليس أذكى ممّن يتقن فنّ الإصغاء إلى حكمتك.

أشكرك لأنك شجعتني لأن أعيش ذاتي مقتنعاً قانعاً مكتفياً، ولم أساوم لأجل مركز أو لأجل غاية.

أشكرك لأنك أعطيتني إمكانية أن أبقى على اختلاف في مجتمعات تهوى اللون الواحد، والفكر الواحد، وأشباه الحقيقة الواحدة.

أشكرك لأنه لم يكن لأحد فضل في ما قمت به إلا: لمن عاونني، ولرهبانيّتي، ولرحمتك وأمانتك أنت.

أشكرك لأنك حميتني من شوك المتكبرين، ومن سخافة الوصوليّين، رافضاً استعمال مبدأ الوساطة إن في المساعدة، أو في التوظيف، أو في الإدارة، فحاولت أن أجمع الجميع تحت شعار واحد «حقك لك، وقيمتك بذاتك، ومستقبلك بين يديك وحدك».

أشكرك لأنك أغدقت عطاياك الساهرة على أمانتي، فلم أمدّ يدي لأحد، ولم أخرج العاملين معي، ليقفوا على باب المقتردين متسولين.

أشكرك لأنك دعمتني برحمتك لأعطي كلّ صاحب حقّ حقه. فالجميع تعب، وكلّ من تعب أخذ حقه كاملاً.

أشكرك لأنك نورتني كي لا أستعمل مركزي لا للبيع ولا للشراء.

أشكرك لأنّي بنعمتك استطعت أن أبلغ في واقعي، ما يحاول الآخرون بلوغه في أحلامهم.

أشكرك لأنّ بين يديك وحدك مستقبلي، كما كان ماضيّ دائماً برغم كلّ ضعفي. فليتاجر المتاجرون، وليسع الطامحون، وليفعل الصائدون في الماء العكر ما يريدون. فأنا لست ممّن يصنعهم المركز، وكرامتي هي وديعتك في، فسأبقى كما أردتني دائماً على عهد معموديّتي.

أشكرك لأنه عندما نصّحت بالمواربة، وتمرير الأمور، والمساومة من أجل مستقبل أفضل، استطعت أن أقول بقناعة «لا»، لأنّي فضّلت أن يكون الحاضر أفضل، والمستقبل تركته بين يديك لتتحمّ أنت به.

أشكرك لأنّي بفضلك استطعت أن أزج الكذّابين بصدقي، والسارقين بأمانتي، والمتطاولين بصلابتي، والذين يفضّلون الفوضى بنظامي، ومدّعي العلم بثقافتي، والجالسين على هدير الموج بصمتي، والطامحين إلى المراكز بقدرتي، والذين يهوون التلاعب بعائلي الجامعيّة بأبوتي، والذين ألقوا البور قبلي بعلمي، والذين تباهاوا بأرقام خياليّة بواقعيّتي. أشكرك لأنك تسمح لي بأن أقول ما أقول وأنا مطمئنّ البال ومرتاح الضمير.

أشكرك يا ربّ، لأنّي عندما أستيقظ كلّ صباح أكرّر ما قاله سقراط «الحياة التي لا تُفهم لا تستحقّ أن تعاش»، وأنّ الحياة تستحقّ أن تعاش لأنك أنت ما زلت مشرفاً بشمسك على الوجود.

أشكرك يا ربّ لأنّي أدنت بسبب جذريّة قناعاتي، وجدّيتي، وسهري على النظام، وعدم مساومتي، وعدم سجودي الأعمى لملوك عبيد... ولم أدن بسبب كذبي، وسرقتي، وقلة ضميري، وحقدي، وكبريائي، وعدم جدّيتي، وعدم كفاءتي، وبرجوازيّتي، وتعلّقي بالمراكز، واستلطاف أصحاب السلطة، ومواربتي، وتعدديّة تصرّفاتني بحسب حاجة مراكزي، وسرقة طلاّبي، وبيع قناعاتي في أسواق تجار الضمير.

أشكرك يا ربّ! لأنّي إن أعدت حساباتي في كلّ ما قمت به خلال السنوات الستّ التي مضت، أقول مفاخرًا: إن عاد بي الزمن ستّ سنوات إلى الوراء فلن أغيّر قيد أنملة ممّا قمت به، لأنه كان قناعاتي وهويّتي.

وإنّي أطلب منك يا ربّ السماح عمّا قصّرت به، وعمّا لم أستطع عمله، وعن كلّ لحظة ضاعت بسبب ضعفي، وعن كلّ تصرّف قد يظنّ أحد أنّي أخطأت به إليه، وعن كلّ كلمة كتبها أو قلتها ولم تعجب أخصامي وعن كلّ موقف غابته مقدّسة ولكنّ أسلوبه كان قاسياً، وعن كلّ رأي لم أكن أعجب فيه من لا يحبّون القراءة إلا في كتاب واحد. وأطلب السماح لمن تعمّدوا الإساءة لي، وعن كلّ من أهانوا نفوسهم عندما حاولوا أن يهينوني في غيابي.

ممّا لك قدّمت لك يا ربّ، أساندةً وموظّفين وطلّاباً، في جامعة سيّدة اللويزة- فرع الشوف. فباركهم جميعاً، وكن لهم المستقبل، لأنّ فيك وحدك الحياة يا سيّد الحياة إلى الأبد. آمين.



د. جميل الدويهي

## كلمات

كلمات تتساقط عليه، فتصيبه في رأسه، في عينيه، في فمه الممتلئ جوعاً وأسئلة. كلمات من كل مكان، بعضها جمر، وبعضها رماد، وبعضها غبار من كتب قديمة.

يجتاز الشارع، ويتوقف أمام المقهى، فتتناهى إليه أصوات رجال خائفين من أصواتهم... وأغنية من كلمات، تهجم عليه، وتضربه في وجهه، فيسيل الدم من أنفه، ويحاول أن يهرب، فيفاجئه سائق بالصراخ: حذار أيها المريض!

ويرتاح الضجيج قليلاً... قليلاً فقط، كأن الشتاء انتهى، لكن السماء تعود إلى ثورتها: كلمة عرجاء من هنا، وأخرى بدينة ثقيلة، ثم كلمة يلقيها نيابة عن الشحاذين خطيب متوتر، وبين الفينة والفينة تطير وجبة أسنانه، فتتحطم على رخام الكلمات...

رأى الجياع يمدون أسننتهم في الشارع، فتطول، وتلتفت على أعمدة الكهرباء، وتتسلق على السطوح والأشجار، وتلتهم مكبرات الصوت الموضوعة فوق المباني... مكبرات لا عمل لها سوى ترديد الكلمات، المحشوة بالكلمات، والمعلبة بالكلمات...

ورأى صورة كبيرة معلقة في الشارع، أسقطتها الرياح الغاضبة، وهوت على السيارات، فأغمض عينيه لكي يتفادى هول المشهد، غير أن الصورة أصبحت فوقه كغمامة، كوباء، كجحيم لا يُطاق، ثم هبطت فجأة عليه، فدخل رأسه فيها... ولولا أنها مصنوعة من ورق لكانت طحنت رأسه المتمرد... وعندما تحرر منها، لم يصدق أنه بخير...

وسمع جلبة في الساحة العامة، حيث اجتمع رهط من الشعراء المرموقين، ليكملوا المسيرة المباركة التي بدأ بها أبو الطيب المتنبي، ثم مات مقتولاً من أجل شتيمة. وشعر بأن الفضاء يطبق على روحه، وأن مطر الكلمات يشتد هطولاً، ويكاد يتحوّل إلى عاصفة رعدية مخيفة تقتلع البشر والمنازل.

أصابته كلمة من جمر في رأسه، فصرخ من الألم، وأسرع يخبئ تحت شرفة، فسمع رجالاً يتناقشون في نوع الملائكة، فتخرج الكلمات من النوافذ والأبواب، على هيئة قطع من الماعز، فتهاجم المارة، وتعضهم، وتمزق أثوابهم إرباً إرباً، قبل أن تنطفئ في التراب...



توقّفت سيارّة فخمة في الشارع وترجّل منها رجل أنيق، يحيط به حارسان ينظران في كلّ اتّجاه، كأنّهما خائفان من مؤامرة... من مؤامرة...

خرج من تحت الشرفة، ووقف أمام الرجال الثلاثة بشجاعة... حدّق في وجوههم، وأراد أن يصرخ: قبيحة هي الكلمات التي لا تشبع جائعاً، ولا تكسو عرياناً، ولا تحرّر أسيراً، ولا تستعيد كرامة!

وفارغون أنتم يا أصحاب الكلمات الفارغة التي خدّشتني في كلّ أنحاء جسدي، وتركت في روحي جروحاً عميقة لا يشفيها دواء... لا يشفيها دواء...

ومزعجةً أسماؤكم، وعناوينكم، وإذاعاتكم، وخُطبكم!

وخبيثةً هي المؤامرة التي ولدتكم من رحمها، وأرضعتكم من ثدييها، وأصبحتم أوصياء على ميراثها!

وجبناءً هؤلاء الناس الذين يبكون في كهوف الذلّ والخيبة، ولا يرفعون حذاء في وجه كلمة!

كان يريد أن يفتح فمه ليقول كلّ ذلك، لكنّه أصبح يخاف من الكلمات. حمله الحارسان كما يحملان كيساً من القشّ، ورميا به إلى برميل للقمامة، ولم يكد يرفع رأسه، حتّى كان الثلاثة قد اختفوا...

قفز من البرميل مثل هرّ متوحّش، وراح يمشي تحت الكلمات المنهمرة... كلمات نازلة من الشبايبك، والسطوح، والشرفات، والغيوم... كلماتٍ بغير معنى، يتبعها تصفيقٌ شديد.

كان يتوجّع كأنّه يقطع الجلجلة. أخذ قارورة صغيرة من جيب سرواله، وراح يمتصّ من عروقها، ويتذكّر جميع الكلمات التي هطلت عليه في حياته... تذكّرها جميعاً، ما عدا كلمة واحدة، لم يسمعها في أيّ مكان. إنّها «الحقيقة»... الحقيقة المرّة التي لا يقولها إلاّ الخطأة، والخائفون، ومن يكرهون أبا الطيّب المتنبّي ونبوءاته، وانتظاره لمواعيد لا تأتي. الحقيقة الرائعة التي يتلفّظ بها الشعراء الصعاليك والمنبوذون... يبوحون بها عندما تضع منهم العقول، ويسخرون من بلاد عقولها ضائعة.





أنطوان رعد

## قيامه الشهيد

يَا نَجْمَةٌ تَزْهُو عَلَى الْأَنْجَمِ  
يَا نَجْمَةٌ تَحْسُدُهَا الْكَوَاكِبُ  
يَا وَرْدَةٌ تَفْتَحَتْ فَوْقَ سِيَّاحِ الدَّمِ  
يَا وَرْدَةٌ صَارَ لَهَا مَخَالِبُ  
يَا أَيُّهَا الشَّهِيدُ  
تَمُوتُ عَنَّا مَرَّةً  
وَبَعْدَهَا تُولَدُ مِنْ جَدِيدٍ  
تُولَدُ أَلْفَ مَرَّةً  
فِي وَرَقِ الْأَشْجَارِ فِي الْبَرَاعِمِ  
فِي غَلَّةِ الْمَوَاسِمِ  
فِي الْغَابِ فِي تَنْفَسِ النَّبَاتِ  
تُولَدُ فِي مَنْجِيذَةِ الرَّعَاةِ  
فِي هَيْصَةِ الْأَوْلَادِ فِي مَلَاعِبِ الْمَدَارِسِ  
فِي قُبِّ الْكِنَائِسِ  
فِي الْبَحْرِ فِي الْأَنْهَارِ فِي الْجَنَائِنِ  
فِي كُلِّ مَوَالٍ وَكُلِّ آهٍ  
فِي شَمَخَةِ الْمَآذِنِ  
تَشْهَدُ لِإِلَهٍ إِلَّا لِلَّهِ. \*\*\*  
لَأَنَّكَ الْعَلِيُّ وَالْعَظِيمُ وَالْقَدِيرُ  
لَأَنَّكَ الْعَطَاءُ وَالنُّورَةُ وَالْتَعْيِيرُ  
عَدَا عَدَا يَطِيرُ  
مِنْ كُلِّ بُنْدُقِيَّةٍ  
سَرَبُ مِنَ الْحَمَامِ  
فِي كُلِّ حُوذَةٍ عَدَا  
تَبَيَّتْ وَسَطَ النَّارِ وَالرُّكَامِ  
سَنَابِلُ الْوَيْثَامِ  
لَأَنَّكَ الرَّبِيعُ فِي مَوَاسِمِ الْيَبَاسِ  
لَأَنَّكَ الْعَلَامَةُ  
فَلْتَقَرَّعِ الْأَجْرَاسِ  
وَلْتَعْلَنِ الْقِيَامَةَ.

يَا أَيُّهَا الْمُشْرِقُ مِنْ أَحْرَانِنَا  
كَالشَّمْسِ كَالْحَرِيَّةِ  
لَأَنَّكَ الْإِيمَانُ وَالشَّهَادَةُ  
مَوْتُكَ صَارَ الْعُرْسُ وَالْوِلَادَةُ. \*\*\*  
سَمِعْتُهَا تَقُولُ فِي عُرْسِ ابْنِهَا  
الَّذِي مَضَى بِلا كَفْنٍ  
وَلَمْ يَعُدْ مُلْكًا لَهَا  
بَلْ صَارَ مُلْكًا لِلْوَطَنِ  
غَنِيْنٌ يَا صَبَايَا  
غَنِيْنٌ يَا صَبَايَا  
لِعَاشِقٍ يُعَازِلُ الْمَنَايَا  
لِعَاشِقٍ يُعَانِقُ الشَّطَايَا  
مُهَلَّلًا يَمْتَحِمُ الْأَخْطَارُ  
وَبِالدَّمِ الْقَانِي بِجَبْرِ النَّارِ  
يَرْسُمُ بِالْأَحْمَرِ بِالْأَخْضَرِ بِالْبَيْضِ  
عَلَى امْتِدَادِ الْأَفْقِ الْمَضْرَجِ  
يَرْسُمُ فِي السَّرِّ وَفِي الْعَلَنِ  
خَرِيْطَةَ الْوَطَنِ. \*\*\*  
هَذَا زِفَافُ الْغَارِ وَالزَيْتُونِ  
فِي يَوْمِكَ الْمَيْمُونِ  
غَنِيْنٌ يَا صَبَايَا  
غَنِيْنٌ يَا صَبَايَا  
لِفَارِسِ الْفِدَاءِ  
لِفَارِسِ تَمْهَلُ فِي عُرْوِقِهِ الدَّمَاءُ  
يَهْتَفُ وَهُوَ صَامِدٌ يَسْتَقْبِلُ الرَّدَى  
بِصَدْرِهِ يَدًا عَلَى الزَّنَادِ  
يَدًا عَلَى الضَّمَادِ  
مُرْدَدًا بِكُلِّ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ عَزْمٍ وَمِنْ إِيْمَانٍ  
لِيَبِيكَ يَا لُبْنَانَ. \*\*\*

لَأَنَّكَ الْقَرَارُ  
تَخُطُّهُ بِالنَّارِ  
تُعْلَنُهُ مُدَوِّيًّا  
كَالرَّعْدِ كَالْإِعْصَارِ  
فَلْتَخْفُقِ الْبِيَارِقُ  
بِيَارِقِ الْأَحْرَارِ  
وَلْتَصْدَحِ الْأَبْوَابُ  
وَلْتَلْعَلِ الْبِنَادِقُ  
وَلْتَسْقُطِ الْأَسْوَارُ  
وَلْيَسْقُطِ اللَّيْلُ عَلَى بَوَابَةِ النَّهَارِ. \*\*\*  
يَا أَكْرَمَ الرِّجَالِ  
فِي دِمَكِ الْهَادِرِ كَالسَّلَالِ  
زَحْمٌ يَهْدُ قَلْعَةَ الْإِرْهَابِ  
يُطَهِّرُ الْأَرْضَ الَّتِي دَسَّهَا الْأَغْرَابُ  
وَمِنْ جِرَاحِ خُصْبَتِ بِاللَّهْبِ  
يَمُدُّ جَسْرَ الشَّمْسِ فَوْقَ الْحِقَبِ  
وَمِنْ صُحُورِ الْعِزِّ مِنْ حِجَارَةِ الْكِرَامَةِ الْوَهَّاجَةِ  
يَرْفَعُ قَلْعَةَ أَمَامِ مَجْدِهَا  
تَخْشَعُ بَعْلَبُكَ فِي جَلَالِهَا  
وَتَنْحَنِي قَرْطَاجَهُ. \*\*\*  
يَا أَيُّهَا الدَّمُ الَّذِي  
مَنْ أَجَلْنَا أُرَيْقُ  
صِرْتَ لَنَا الطَّرِيقُ  
وَصِرْتَ فِينَا شُعْلَةً وَرَمَزًا  
وَوَرْدَةً وَخُبْرًا  
وَعُنْفُونًا جَارِحًا وَعِزًّا  
يَا أَيُّهَا الْجُرْحُ الَّذِي  
فِي وَهْجِهِ نَعْتَسِلُ  
يَا أَيُّهَا النَّهْرُ الَّذِي يَشْتَعِلُ  
يَا أَيُّهَا الطَّلَعُ مَنْ أَوْجَاعِنَا  
كَزَهْرَةِ بَرِّيَّةِ



فريد حلو

## يا رَبِّي

يا رَبِّي ماذا أَقُولُ  
 هل لِقَلْبٍ مِنْ عَزاءٍ  
 يا رَبِّي أَيَّنَ الأمانِي  
 واستَحالَ الفَجْرُ لَيْلاً  
 يا رَبِّيعاً فَدَّ تَهَاوَى  
 يا شَهَاباً فَدَّ تَوَارَى  
 مَنْ يُحاكي البَدْرَ عَنَّا  
 مَنْ يَزِيدُ الصُّبْحَ ضَوْءاً  
 يا رَبِّي رُدِّي عَلَيْنَا  
 وَاُمْلِئْنَا عُنُقُواناً  
 يا رَبِّي عودِي لِرَبِّ  
 وَاغْفِرِي أَنَّا عَجِزْنَا

والهوى دَمْعٌ يَسِيلُ؟  
 في شَبابٍ لا يَطُولُ؟  
 بَعْدَ أَنْ سادَ العَويلُ  
 وانقَضَى العَلْمُ الجَميلُ؟  
 مِثْلما يَهوي العَليلُ  
 بَيْنَما عَزَّ البَدِيلُ  
 أو يحاكيه الأصيلُ؟  
 كَيَّ بِهِ يَجَلو السَّبيلُ؟  
 فالأسى قاسٍ نَزِيلُ  
 قَبْلَ أَنْ يَدنو الرَحيلُ  
 فَدُ قَضَى وَهُوَ الوَكيلُ  
 لا يَصيرُ المُستَحيلُ



# هي بطلة كرة الطاولة اللبنانية ربي

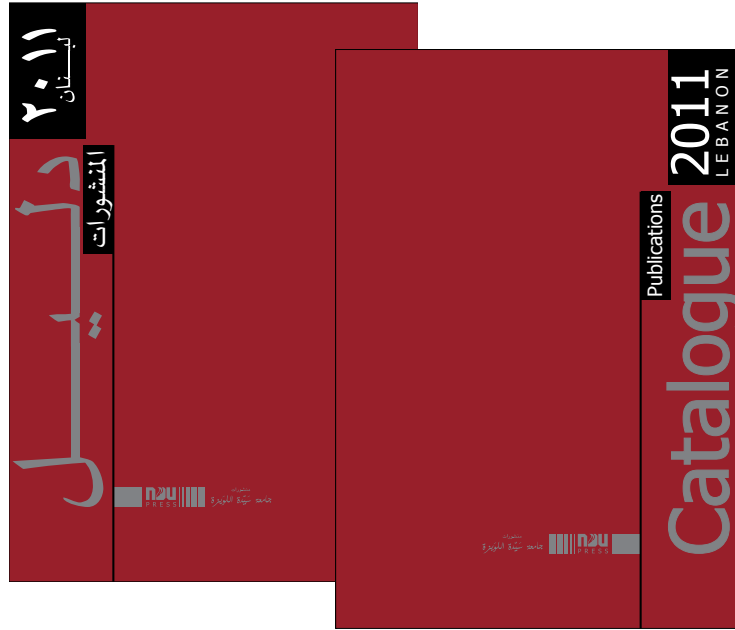
بصيص التي قضت بدمها في العشرين  
من عمرها، وكانت طالبة في جامعة سيده  
اللويزة (٢٠٠٨-٢٠٠٩).

## هواها القلب

وغابَ البدرُ مُذْ بَرَعَتْ ضِياها  
 وقد سلبَ الشذا منه شذاها  
 إذا طَلَعَتْ عليه ومَسَّ فاها  
 فقد غَنَى وأشجى من غناها  
 ففي العينين قد جَمَعَتْ صباها  
 غزالٌ شارِدٌ يَحْتالُ جاها  
 حريزٌ اللمس في كِبَرِ علاها  
 فحطَّ بِشعرِها وغفا وتاها  
 وكم أهوى ويهواني لقاها  
 وخلتُ الجَنَّةَ الدنيا جماها  
 فلستُ أريدُ معشوقاً سِواها  
 إذا لَمَسْتُ يداً مِنِّي يداها  
 فأحلى العمرِ عندي أن أراها  
 فلستُ أعيشُ إلا في سَناها  
 وخَبِرَها بأُتَي مَن شكاها  
 وصارَ الحُلمُ بعضاً من مُناها  
 فليس يطولُ إن حَجَبَتْ بهاها  
 فهل وَصَلُ الهوى من مشتهاها؟  
 وكم حَفَقَ الفؤادُ على خُطاها  
 وأمسى الصَفْوَ نُفْجاً من صفاها  
 فلستُ بطالِبٍ إلا رِضاها  
 فهذا الحبُّ أنبلُ مَن رعاها  
 جَعَلْتُ القلبَ ما رَغِبْتُ فِداها

هواها القلبُ كم أهوى هواها  
 ووردُ الروض قد مات امتعاضاً  
 نسيماً الصبح يزدادُ انتعاشاً  
 وطيرُ الدوح إن غَنَى وأشجى  
 عيونُ كُلِّها شوقٌ وسحرٌ  
 وقد شامخٌ ضجَّ اعتداداً  
 وشعراً أسودٌ ماج أنسياباً  
 كأنَّ الليلَ لم يردِ ارتحالاً  
 هواها القلبُ كم أهوى هواها  
 سهرتُ الليلَ في شوقٍ إليها  
 خَنَمْتُ العشقُ مُذْ نَزَلَتْ بقلبي  
 وبِتْ كَمَنْ تلامسُهُ الأمانِي  
 وباتَ العُمُرُ مرهوناً لديها  
 فإن بَعُدَتْ وغابَتْ مت ضيقاً  
 رسولَ الحبِّ بَلِّغها سلامي  
 فقد صارَ الفؤادُ سجينَ حبِّ  
 وحَدَّثَها بصبرٍ في نَفادِ  
 ولا يجلو غرامٌ دون وصلِ  
 هواها القلبُ كم أهوى هواها  
 أَلِفْتُ الفِكرَ مشدوداً إليها  
 وحلَّ السعدُ إن رَضِيَتْ بعهدي  
 فإن رَغِبَتْ بِحبِّ لا يُجافي  
 وإن رَغِبَتْ بِقلبٍ لا يُعادي





is now available on NDU website, under [www.ndu.edu.lb/research/ndupress/spirit](http://www.ndu.edu.lb/research/ndupress/spirit)

سلسلة الشأن العام	General Public Internet Series
سلسلة الأبحاث المجتمعية	Societal Research Series
سلسلة دراسات الإنتشار اللبناني	Lebanese Emigration Research Series
سلسلة الأبحاث المائية و البيئية	Water, Energy & Environment Research Series
سلسلة الدراسات المالية والاقتصادية	Financial & Economic Studies Series
سلسلة الدراسات التاريخية	Historical Studies Series
سلسلة أنوار الأديان	Religious Illuminations Series
سلسلة آفاق ثقافية	Cultural Horizons Series
سلسلة الانسانيات	Humanities Series
سلسلة المخطوطات اللبنانية	Lebanese Manuscripts Series
سلسلة الموركس	Christian Education Series
سلسلة التنشئة المسيحية	Compendium Of The Virgin Mary in Lebanon
موسوعة العذراء مريم في لبنان	University Text book Series
سلسلة المقررات الجامعية	

